الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ

الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر (1700 – 1830)

رسالة لنيل شهادة الماجستير

من إعداد الطالب: بوشنافي محمد

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور: بلقاسمي بوعلام

السنة الجامعية: 1422 هـ – 1423 هـ

2001 م – 2002 م

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين

وإلى إخوتي : عبد القادر، عمر، كمال.

وإلى كل من علمني منذ السنة الأولى ابتدائي إلى غاية الدراسات الجامعية.

وإلى كل أصدقائي وزملائي، ومن ساعدني في إنجاز هذا العمل.

بوشنافي محمد

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بلقاسمي بوعلام، الذي لم يبخل علينا يوما بإرشاداته ونصائحه القيمة ولولاها ما كنا لننجز هذا العمل.

كما نشكر كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة وهران الذين تتلمذنا على أيديهم في مرحلة التدرج وما بعد التدرج وتلقينا على أيديهم القواعد الأولى للبحث العلمي.

كما ننوه بالمساعدات التي تلقيناها من عمال المكتبات ومراكز الأرشيف والذين سهلوا علينا مشقة البحث والاطلاع.

ونشكر كذلك كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل من أساتذة وأصدقاء وزملاء.

قائمة المختصرات

C.T.	Cahiers de Tunisie
R.A.	Revue Africaine
R.H.	Revue historique
R.H.C.M	Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb.
R.O.M.M	Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: حياة الإنكشارية داخل المجتمع الجزائري 1700 – 1830 .

الفصل الثالث: دورهم السياسي والعسكري.

المقدمة

1.دواعي اختيار الموضوع:

تتميز الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث (1516-1830) بخصوصيات جعلتها أطول الفترات من حيث التواصل التاريخي، وعرفت الجزائر خلالها سيادة ووحدة وقوة عسكرية أرهبت بها القوى الكبرى آنذاك، مما جعل هذه الأخيرة تعمل جاهدة للقضاء عليها وإنهاء وجودها، وكان من نتائج ذلك أن واجهت الجزائر غارات متتابعة طيلة هذا العهد، وقد دفعها هذا الوضع إلى بناء قوة عسكرية بإمكانها حماية البلاد والعباد والتي كانت في حالة استنفار دائم، مما أكسبها خبرة حربية تضاهي بها أكبر القوى آنذاك.

ورغم هذه الأهمية تبقى الدراسات الأكاديمية حول هذه الفترة وخاصة الجانب العسكري منها قليلة جدا، لأسباب مختلفة ومتعددة. وقد عمدت المدرسة التاريخية الاستعمارية على دراسة هذه الحقبة التاريخية مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، كان معظم إنتاجها لضباط من الجيش الفرنسي الذين درسوا تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، باعتمادهم على تزوير الحقائق وتدليسها أو طمسها في أحيان أخرى، فحرفوا الأحداث محاولة منهم إبراز فراغ تلك الفترة من أي محتوى يكسب الجزائر مكانة دولية هامة بين القوى العظمى آنذاك، وبالتالي فإن مجيء الفرنسيين – حسبهم – كان لرفع الغبن والظلم الذي سلطه الأتراك على الجزائريين، ولعل من أمثلة هذا التحريف كذلك محاولة إظهار أن القوة العسكرية التي شكلتها الجزائر، لم تكن مكونة سوى من مجموعة من اللصوص والمنحرفين الذين فروا من مدن وموانئ البحر المتوسط إلى الجزائر.

دفعتني هذه الأسباب دفعا إلى الإطلاع على الكثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالفترة العثمانية، وبعد قراءة متأنية وتمحيص وتفكير وقع اختياري على موضوع "**الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700-1830**". وكان الدافع وراء هذا الاختيار الدور الكبير والخطير الذي لعبته هذه الفرقة العسكرية في التطور السياسي والعسكري لإيالة الجزائر، من خلال تأثيرها الفعلي في تثبيت دعائم الإيالة وتوسيع حدودها،وقمع الانتفاضات المحلية ومواجهة الأخطار الخارجية، أو من خلال دورها في إثارة الفوضى والاضطرابات والاغتيالات.

وقد حددت لبحثي إطارا زمنيا يمتد من مطلع القرن الثامن عشر وينتهي مع مجيء الاحتلال الفرنسي في 5 جويلية 1830، ويمكن حصر أسباب هذا التحديد في الأوضاع السياسية، العسكرية والاقتصادية التي أصبحت تعيشها الإيالة ابتداء من هذا التاريخ، حيث دخلت عهدا خطيرا من الفوضى والاضطرابات أثرت بشكل مباشر على تناسق وإمكانيات الجيش الإنكشاري الذي تراجعت قدراته القتالية وتبدلت أخلاقه وطباعه، فأصبح يثير المشاكل وتحول من عامل في بناء الإيالة والدفاع عن سيادتها إلى معول لهدم أسسها وأركانها.

كما شهدت هذه الفترة تراجعا كبيرا في مداخيل غنائم البحر، التي كان نصيب كبير منها يخصص لدفع أجور هؤلاء الجنود أو لجلب أعداد جديدة من المتطوعين، ولتعويض هذا النقص لجأت الحكومة إلى فرض مزيد من الضرائب على السكان الذين أعلنوا التمرد والثورة بقيادة مجموعة من رجال الدين، وقد ساهم هذا الوضع في تراجع دور الإنكشارية فقل عددهم بعدما أنهكتهم الحروب، وهكذا مع مجيء الحملة الفرنسية فإنهم أثبتوا فشلهم في صدها،وكان مصيرهم أن طردوا جماعيا من الجزائر.

2. الصعوبات:

كمعظم الباحثين فلقد واجهتني عند إنجاز هذا الموضوع مجموعة من الصعوبات، وعلى سبيل المثال ندرة الوثائق والدراسات المتخصصة في هذا المجال، وحتى الموجود من الوثائق في مراكز الأرشيف يصعب قراءته لأنه كتب بالخط العثماني الممزوج بالخط المغاربي.

وإلى جانب ذلك فإن عناصر هذا الجيش لم تترك لنا وثائقا كالمذكرات مثلا ويعود ذلك إلى طبيعة التركيبة البشرية التي تكونه، إذ أن معظمهم أميون وينحدرون من طبقات دنيا في المجتمع. وكل ما هو موجود عبارة عن وثائق رسمية كدفاتر أجور الإنكشارية أو بعض المراسلات.

يضاف إلى ما سبق ذكره جهلي للرصيد الأرشيفي الذي تحتويه دور الأرشيف في الخارج وبالخصوص فرنسا وتركيا، وتداخل المعلومات في المصادر التي اعتمدت عليها، مما اضطرني إلى التريث عند دراستها وترتيبها، ثم استخلاص أهم الحقائق التي تخدم بحثي.

غير أنه أمكنني تخطي كل هذه الصعاب بفضل الله تعالى أولا، ومساعدة وإرشادات أستاذي المشرف التي شحنتني بإرادة وعزيمة قوية.

3. نقد المصادر والمراجع:

يمكن حصرها فيما يلي:

أ-. المحفوظات الوطنية:

تتمثل أساسا في سجلات البايلك ووثائق خط همايون الموضوعة في المركز الوطني للأرشيف بالجزائر العاصمة، ففيما يخص سجلات البايلك استطعت من خلال الإطلاع على بعض العلب الحصول على معلومات هامة حول الأملاك الموقوفة على ثكنات مدينة الجزائر ومقدار ما كانت تدره من أموال تصرف على الاعتناء بهذه الثكنات والجنود المقيمين بها.

أما وثائق خط همايون فهي عبارة عن مراسلات وعرائض تكمن أهميتها في احتوائها على معلومات قيمة حول العلاقات العسكرية والسياسية بين إيالة الجزائر والباب العالي معظمها تعود إلى أواخر العهد العثماني، ومن بين ما تحتويه معلومات تتعلق بتجنيد المتطوعين من خلال المراسيم التي كان يصدرها السلطان العثماني بإباحة العملية أو منعها حسب الظروف المتحكمة في العلاقات بينهما، إلى جانب ما كان يقدمه الباب العالي من مساعدات عسكرية للإيالة استجابة لطلب هذه الأخيرة.

في المكتبة الوطنية – قسم المخطوطات بالحامة – تمكنت من الإطلاع على مجموعة كبيرة من الوثائق تحوي معلومات جد هامة حول الحياة العسكرية لإيالة الجزائر خاصة في أواخر العهد العثماني، وهي تتمثل في مراسلات بين حكام الإيالة والوكلاء المكلفين بالتجنيد من مدن الدولة العثمانية وخاصة مدينة أزمير، حيث كانت الجزائر تملك خانا مخصصا لهذا الغرض، كما تطلعنا على الصعوبات التي أصبح يلاقيها هؤلاء الوكلاء في جمع المتطوعين سواء بسبب رفض الباب العالي لذلك نتيجة توتر

العلاقات بين الطرفين، أو بسبب الاصطلاحات العسكرية التي بادر بها السلاطين في العهود المتأخرة، وإلى جانب ذلك فهي تخبرنا على طبيعة العلاقات التي تربط البايات وقادة الجيوش في مقاطعات الإيالة مع باشا الجزائر حول قضايا عسكرية محضة، إضافة إلى القوانين التي تنظم الجنود داخل وحداتهم والتي أطلق عليها "عهود الأمان "، كما نجد فيها نماذجا لرخص سلمها باشا الجزائر لبعض الجنود لزيارة أهاليهم أو لأداء فريضة الحج.

وهنا لا بد من الإشارة أن الأستاذ خليفة حماش إبراهيم قام بمجهود جبار لتنظيم هذه الوثائق من خلال مجموعة من الملفات، ثم أعطى لكل وثيقة ملخصا مما يسهل على الباحث عملية استغلالها[1].

ب-. المخطوطات:

رغم قلة المعلومات التي تحويها حول الموضوع، فقد ارتأيت ضرورة الرجوع إلى بعضها.

جـ-. المصادر العربية والأجنبية المطبوعة:

1- المصادر العربية:

كثير منها يحتوي على معلومات قيمة حول الجوانب العسكرية للإيالة وبالتالي يستحيل الاستغناء عنها، فلقد تمكنت من استخلاص الكثير من الحقائق، ولعل أهمها كتاب " المرآة " للسيد حمدان خوجة الذي خصص جزءا هاما منه للحياة العسكرية في المرحلة المتأخرة، ومذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر والتي حققها المرحوم أحمد توفيق المدني، وهو كتاب قيم لما يحمل

---

[1]- المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد 13 – 14 زغوان: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر 1996.

بين طياته من معلومات وحقائق رغم ما يغلب عليه من سرد للأحداث، أو كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية " لمحمد بن ميمون الجزائري والذي قدمه وحققه الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وهو عبارة عن قصيدة طويلة خصصها صاحبها لفتح وهران الأول في عهد الداي محمد بكداش (1707 – 1710). كما توجد مصادر متقدمة تعود إلى بداية العهد العثماني بالجزائر ومن أهمها كتاب " غزوات عروج وخير الدين " الذي صححه وعلق عليه نور الدين عبد القادر، أو كتاب " الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة " الذي حققه سليم بابا عمر ونشره في مجلة تاريخ وحضارة المغرب.

2- المصادر الأجنبية:

معظمها تتمثل في ملاحظات ومذكرات لبعض الرحالة والقناصلة ورجال الدين الذين زاروا الجزائر واستقروا بها، حيث سجلوا ما شاهدوه وعاشوه في مذكرات، ومن أمثلة ذلك كتابي "هايدو Haedo" الطوبوغرافيا Topographie "و" تاريخ ملوك الجزائر Histoire des rois d'Alger "، تكمن أهمية هذين الكتابين في أنهما من أهم المصادر المتعلقة بتاريخ إيالة الجزائر أثناء القرن السادس عشر وبداية السابع عشر ولا يمكن الاستغناء عنهما في كل الأحوال. وإلى جانبهما هناك الكثير من المصادر المتعلقة بفترة البحث، ومنها كتاب الدكتور "شو shaw " رحلة إلى إيالة الجزائر Voyage dans la régence d'Alger"، و" لوجي دوتاسي Laugier de Tassy " تاريخ مملكة الجزائر Histoire du d'Alger royaume، وكتاب "فانتوردي بارادي Venture de paradis " تونس والجزائر في القرن الثامن عشر Tunis et Alger au XVIIIe siècle"، ومذكرات الأسير "كاثكارت"، أو تقرير الجاسوس بوتان Boutin، أو مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر وليام شالر "W. Shaler".

تكمن أهمية هذه المصادر، في أنها كتبت من طرف شهود عيان، غير أن المعلومات والملاحظات التي تحتويها تحتاج إلى كثير من التمحيص، وأخذ الحيطة لأنها نابعة عن كره وحقد على الإيالة وحكومتها وجيشها.

د- المراجع المتأخرة:

هي كتب صدرت بعد الاحتلال الفرنسي، ويظهر أن معظمها اعتمدت على المصادر السابقة الذكر، ولعل أهمها في هذا المجال كتاب دي غرامون De Grammont" تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي (1830-1515) Histoire d'Alger sous la domination turque " وأطروحة ناعوم، ويسمان Nahoum, Weissman" الإنكشارية Les janissaires " المقدمة في عام 1938 بجامعة باريس، أو كتاب بيار، بويار Pièrre, Boyer " الحياة اليومية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française".

هـ- الأطروحات الجامعية:

ذات أهمية وقيمة علمية باعتبارها دراسات أكاديمية اعتمد أصحابها على المنهج العلمي في كتابة التاريخ بعيدا عن السرد الممل، ولهذا فالاستغناء عنها مستحيل.

و- المقالات:

معظمها مقالات باللغة الفرنسية، وبالخصوص تلك الصادرة في " المجلة الإفريقية La revue Africaine "، التي تحوي كما هائلا من المقالات حول الموضوع، وهي ذات أهمية لاعتمادها على وثائق أصلية وكمثال مقال "دوني Deny" دفاتر أجور الإنكشارية Les registres de solde des

"janissaires" وهو ملخص للدفاتر المحفوظة بالمكتبة الوطنية، ومقال "دوفو Devoulx وباربروجر Berbrugger، "ثكنات الإنكشارية Les casernes des janissaires"، أو مقال "مارسيل كولومب Marcel colombe"مساهمة في دراسة تجنيد أوجاق الجزائر في السنوات المتأخرة من تاريخ إيالة الجزائر « Contribution à l'étude du recrutement de l'odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence d'Alger ».

وإلى جانب ما ورد في هذه المجلة من دراسات متخصصة في الموضوع، هناك مجلات أخرى لجأت إليها ومن أهمها " المجلة التاريخية المغربية " المتخصصة في الدراسات العثمانية والموريسكية، والتي تصدر عن مؤسسة التميمي بزغوان (تونس).

لا بد من الإشارة إلى أنني استعملت بعض المصطلحات التاريخية لإعطاء البحث صيغة تاريخية محضة، وكمثال فقد استعملت مصطلحين للتعبير عن جنود هذه الفرقة، فأحيانا أوظف كلمة "إنكشارية" أو "*يني تشاري* " والتي تعني الجيش الجديد، وأحيانا أخرى أستعمل مصطلح " *يولداش* " ومعناها الرفيق أو الصديق، كما استعملت مصطلح " *علوفة* " كتعويض لكلمة أجرة أو جراية، هذا إلى جانب كلمات عثمانية أخرى كمصطلح " أودة " والتي تعني غرفة أو " سفرة " أي مائدة، ونعني بها فرقة مكونة من عدد من الجنود تقيم في إحدى الحاميات، إلى جانب مصطلحات عسكرية معاصرة لتلك الفترة والتي ورد معظمها في الوثائق والمصادر.

4- خطة البحث:

ارتأيت أن أقسم بحثي إلى مدخل وأربعة فصول كما يلي:

أ- المدخل:

خصصته للظروف السياسية التي قدم فيها الأتراك إلى المغرب الأوسط – الجزائر فيما بعد –، باعتبار أنه يستحيل دراسة تاريخ إنكشارية الجزائر دون الرجوع إلى النواة الأولى لتأسيسها، فتطرقت فيه إلى التحرشات الإسبانية على المنطقة وعجز السكان على مواجهتها، مما أضطرهم إلى الاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين، وكان من نتائج ذلك أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، وقد قام السلطان العثماني سليم الأول في 1520 بتدعيمها بقوة عسكرية مكونة من ألفي إنكشاري وأربعة آلاف متطوع، ويعتبر هذا الجيش نواة الإنكشارية وبداية تأريخها في الجزائر.

ب- الفصل الأول:

عالجت فيه بداية ظهور " الجيش الإنكشاري في الجزائر "، فتناولت الطرق التي كانت تعتمدها الإيالة لإستقدام المتطوعين من منطقة الأناضول وغيرها من مناطق الإمبراطورية العثمانية، ذلك أن القوانين العسكرية كانت تمنع صراحة إنخراط السكان في الجيش. وقد ساهم عامل التجنيد بدور فعال في تحديد طبيعة العلاقات بين الباب العالي وإيالة الجزائر.

أما إقامة هؤلاء الجنود فكانت داخل ثكنات، وقد دفعني ذلك إلى وصف طرازها المعماري الراقي، أهميتها ودورها، إلى جانب حياة الجنود داخلها وألبستهم العسكرية المتميزة، إضافة إلى عتادهم

الحربي، كما تحدثت عن تنظيمهم وقوانينهم العسكرية، خاصة طريقة الترقية في الرتب وتخطيطاتهم العسكرية خلال المعارك، ومقابل كل هذه المهام كان الجندي يتقاضى كل شهرين قمريين مرتبا يتزايد سنويا، مع حصوله على مواد غذائية مجانا أو بأسعار منخفضة.

ج- الفصل الثاني:

تطرقت فيه إلى " حياة الإنكشارية داخل المجتمع "، ومن خلاله حاولت أن أبرز طبيعة العلاقة التي ميزت هؤلاء الجنود مع بقية فئات المجتمع آنذاك، خاصة وأن الإنكشارية اعتبروا أنفسهم جماعة متميزة، مما جعلهم يتصرفون بتعالي مع باقي السكان، ويظهر هذا التمايز في خضوعهم لنظام قضائي خاص، وحصولهم على امتيازات اقتصادية واجتماعية متعددة، غير أن ذلك لم يمنعهم من إقامة علاقات مع المجتمع من خلال المصاهرة التي نتج عنها ظهور فئة اجتماعية جديدة أطلق عليها " الكراغلة "، أو بدافع المصلحة خاصة مع المرابطين وقبائل المخزن بهدف مراقبة كل جهات الإيالة وإخضاع المتمردين، أو لأهداف اقتصادية خاصة مع اليهود بهدف زيادة ثرواتهم وملء الخزينة لسد أجور الجنود.

د-الفصل الثالث:

ركزت فيه على دورهم السياسي والعسكري، فلقد كان لهؤلاء دوربارز وخطير في هذا المجال باعتبارهم الأساس الذي يقوم عليه بقاء الإيالة وديمومتها، ففي المجال السياسي كان للإنكشارية دور كبير في تعيين الحكام وعزلهم، وكثيرا ما نتج عن ذلك اضطرابات وصراعات دموية خطيرة. أما عن دورهم العسكري فإنه لم ينحصر في مدينة الجزائر فقط، بل تعداه إلى كامل أرجاء الإيالة وحتى في البحر، حيث كانوا يشتركون مع الرياس في الحملات البحرية بهدف الحصول على جزء من الغنائم.

وكان الجنود يوجهون سنويا للعمل في إحدى المحلات وهي عبارة عن فرق عسكرية متنقلة، هدفها جمع الضرائب ومعاقبة المتمردين، وآخرون كانوا يوجهون إلى إحدى الحاميات التي كانت تتشكل من فرق عسكرية مستقرة في المدن الهامة، أو على طول الطرق الرئيسية التي تعبرها القوات العسكرية وقوافل التجارة، أو على السواحل بهدف صد أي محاولة غزو خارجي، خاصة ضد مدينة الجزائر التي كانت جيدة التحصين.

هـ- الفصل الرابع:

تناولت فيه انهيار فرقة الإنكشارية والعوامل التي ساعدت على ذلك، فلقد دب بين أفرادها الضعف والفوضى فأصبحت تشكل خطرا على استقرار الإيالة، وساهمت بشكل مباشر في تدهور أوضاعها وانتشار اللاأمن والثورات في كل الجهات.

وقد شهدت الفترة المتأخرة سلسلة من الاغتيالات راح ضحيتها عدد من الدايات، الذين لم يحكم بعضهم سوى لأيام قليلة، وهكذا أصبح اليولداش أكثر شراسة وذو نفسية متقلبة وعنيفة، وقد رافق هذه الوضعية تناقص فادح في أعداد الجنود بسبب تراجع عملية التجنيد أو فرار هؤلاء من وحداتهم ورجوعهم إلى أوطانهم، رغم الإجراءات المتخذة للحد من هذا النـــزيف، وسيتوج عهد الفوضى بنتيجة ومصير مأساوي بدأ في عام 1830 مع الاحتلال الفرنسي للجزائر والطرد الجماعي للجنود الإنكشارية من الإيالة، ونهاية عهدهم الذي دام أكثر من ثلاثة قرون من الزمن.

وقد ختمت هذا البحث بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة للموضوع، حاولت من خلالها إعطاء تقييم شامل مع إبراز أهم الاستنتاجات المتوصل إليها.

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي المشرف بلقاسمي بوعلام الذي لم يبخل علي يوما بتوجيهاته ونصائحه القيمة، فكان نعم المشرف الذي سهل علي طريق البحث في هذا الموضوع الذي لم أكن لأغوص فيه لولا إرشاداته الصائبة، كما أشكر كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة وهران، الذين لولاهم ما كنت لأتحصل على المعلومات والقواعد الأساسية لدخول عالم البحث العلمي، كما أشكر كل عمال المكتبات ومراكز الوثائق على مساعداتهم والتسهيلات التي منحت من طرفهم للإطلاع على الكتب أو الوثائق والمجلات.

المدخل

الجزائر العثمانية 1516 – 1700

استطاع عروج وخير الدين بعد أن استنجد بهما سكان مدينة الجزائر عام 1516 لصد الهجمات الصليبية الإسبانية على سواحل الجزائر، بناء قوة عسكرية مكونة من رفاقهما ومن السكان المحليين، وقد تمكنت هذه القوة من صد الخطر الإسباني وقمع التمردات المحلية. وبعد استشهاد عروج في عام 1518 وإعلان خليفته خير الدين تبعيته للباب العالي، دعمه السلطان سليم الأول بقوات مكونة من ألفين من خيرة الجنود الإنكشارية، ثم أتبعهم بأربعة آلاف متطوع، فشكل هؤلاء النواة الأولى لظهور الجيش الإنكشاري بالجزائر، إذ ومنذ ذلك العهد اعتمدت الإيالة على تجنيد المتطوعين من مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية.

في مطلع القرن السادس الميلادي، كانت منطقة شمال إفريقيا تعيش مرحلة خطيرة من الفوضى والضعف نتجت عن تفكك وحدتها السياسية بعد زوال دولة الموحدين في القرن الثامن الهجري/الثالث عشر ميلادي، وقد أدت هذه الوضعية إلى انقسام المنطقة إلى وحدات سياسية حيث تشكلت بها ثلاث دويلات هي: دولة بني حفص التي كانت نظريا تهيمن على المنطقة المحصورة بين طرابلس الغرب وتونس وقسم من الشرق الجزائري – دولة بني مرين التي حكمت من شواطئ الأطلسي حتى مدينة وجدة شرقا – دولة بني زيان الذين حكموا المنطقة المحصورة بين الإمارتين، غير أن حكمهم الفعلي لم يتعد مدينة تلمسان وضواحيها[1].

وكان من نتائج هذا الانقسام، أن أصبحت منطقة المغرب الأوسط الأكثر تعرضا للأخطار والعدوان الذي هددها من كل الجهات، فمن الحدود الشرقية جاء خطر بني حفص الذين عملوا على مد نفوذهم غربا، أما من جهة الغرب فوجد بنو مرين، ويضاف إلى ذلك الخطر المسيحي الذي هدد الثغور الساحلية[2].

من المؤكد أن هذه الأحوال ساهمت بشكل كبير في إضعاف إمارة بني زيان التي عجزت عن مد نفوذها على كل المنطقة، وهكذا ظهرت حركات استقلالية تزعمها مجموعة من الشيوخ والمرابطين تفاوتت من حيث القوة والانتشار، ولعل أقواها كانت إمارة كوكو بجبال جرجرة[3]، تلك الإمارة التي سيعتمد عليها الإخوة " باربروس " لتوطيد نفوذهم في المنطقة.

مما سبق ذكره نستنتج أن منطقة المغرب الأوسط أصبحت عبارة عن فسيفساء من الإمارات مشكلة خريطة جيو ستراتيجية جديدة يمكن أن نحدد معالمها على الشكل التالي: الجزء الداخلي كان خاضعا لنفوذ الطرق الصوفية، إذ ظهرت كيانات مستقلة في بعض الواحات كفقيق ومنطقة الونشريس، وبلاد القبائل والمتيجة، أما الجزء الشرقي فكانت خاضعة للحكم الحفصي، وشكلت المدن الساحلية شبه جمهوريات مستقلة تعتمد على ممارسة التجارة والجهاد البحري، ومن أهمها مدينة الجزائر، تنس، بجاية، وهران[4].

في الوقت ذاته تشكلت في الضفة الشمالية للبحر المتوسط قوة مسيحية جديدة، مع ظهور إسبانيا كقوة في غرب للبحر المتوسط والتي نتجت عن إتحاد مملكتي أراغون وقشتالة، بعد زواج سياسي تم عام 1469م بين الملك "فرديناند الكاثوليكي FERDINAND"و"الملكة إليزابيث ELISABETH"[5]، اللذين حددا هدفهما الرئيسي في طرد ما تبقى من مسلمي الأندلس في إطار ما سمي بعملية "الإسترداد " "Reconquesta"

لقد نتج عن هذه الواقعة لجوء عدد كبير من مسلمي إسبانيا (أي الموريسكيون) إلى شمال إفريقيا، هروبا من الاضطهاد المسلط عليهم هناك، وهذا ما أدخل المنطقة وخاصة المغرب الأوسط في صراع وجود مرير ضد القوى المسيحية، حيث أن الإسبان لم يكتفوا بطرد المسلمين، بل لاحقوهم في

إطار حركة توسع استعماري، خطط لها بالاتفاق مع البرتغال لتقسيم المغرب الإسلامي من خلال معاهدة " توردیسلاس TORDESILLAS" عام 1469.

وما يلاحظ هو الطابع الصليبي الذي اتخذته هذه الحملات، إذ هدفت إلى محاربة الإسلام والمسلمين، ويستخلص ذلك من مباركة البابوات وتشجيع الكنيسة، التي لم تكتف بالدعوات بل دعمتها بالأموال والسلاح والدعاية، ويأتي على رأس هؤلاء الكاردينال " كسماس دي سيسنيروس XIMENES DE Cianeros" أسقف طليطلة[6]. إلا أن ذلك لا يجعلنا نهمل العوامل الأخرى للتوسع الإسباني، فلقد كان الإسبان على علم بما آلت إليه المنطقة من ضعف، حيث كتب سكرتير ملك إسبانيا عام 1495م " ... إن البلاد – يقصد شمال إفريقيا – في حالة يبدو وكأن الله يريد أن يمنحها إلى جلالتكم"[7]. ويضاف إلى ذلك أنهم (أي الإسبان) تخوفوا من عودة خطر الأندلسيين المطرودين الذين لقوا دعما وتعاطفا من طرف سكان بلاد المغرب لوحدة العرض والمعتقد، فربطوا مصيرهم بمصير هؤلاء المطرودين، وهكذا شكلت المنطقة قاعدة خلفية لنشاطهم، فاستغلت إسبانيا ذلك كحجة لشن حملة عسكرية واسعة متهمة المغاربة بتحريض الموريسكيين على استرجاع ملكهم الضائع.

ومن جهة أخرى يعتبر الدافع الاقتصادي عاملا هاما في حركة التوسع، فلقد سعى الإسبان إلى تأسيس مراكز تجارية على السواحل الجنوبية للبحر المتوسط، تمكنهم من ممارسة ومراقبة النشاط التجاري في المنطقة. أضف إلى ذلك العامل الإستراتيجي، إذ عمل الإسبان على تأمين الحدود الجنوبية للبحر المتوسط وضمان سلامة المواصلات بين إسبانيا وإيطاليا، خاصة مع تزايد خطر القرصنة.

ورغم موت الملكة " إليزابيت" عام 1504م، إلا أن ذلك لم يؤثر على حركة التوسع الإسباني، فقبل وفاتها تركت وصية بمواصلة التحضير للحملة[8]. وتحت دعوات " الكاردينال كسمناس" انطلقت الأرمادة الإسبانية بقيادة "بيدرونافارو PEDRO DE NAVARO"، باتجاه سواحل المغرب الأوسط فاستولت على المرسى الكبير في عام 1505، ثم وهران في 1509م وبجاية في 1510م، ولعل أهم ما يلاحظ هي السهولة التي وجدها الإسبان في احتلال هذه المناطق، إذ لم تعترضهم أي مقاومة تذكر من السكان، فقد نتج عن سقوط مدينة وهران مثلا " مقتل أربعة آلاف من السكان وأسر خمسة آلاف آخرين وغنيمة قدرت بنصف مليون دوكة ذهبية"[9].

ويذكر حسن الوزان (ليون الإفريقي) " أن احتلال وهران تم بعد يوم واحد من المعركة، حيث هجرها سكانها بعد تلقيهم لخسائر فادحة "[10]، أما عن بجاية فيذكر " أن بيد رونافارو نزل بأربعة عشر سفينة، وأن سكانها بما فيهم (الملك) هربوا إلى الجبال المجاورة تاركين المدينة خالية أمام مصير مأساوي بعد عجزهم عن الدفاع عنها أمام الإسبان "[11].

ويستنتج من وصف حسن الوزان الذي عايش بعض هذه الأحداث مدى الضعف الذي كانت المنطقة تعاني منه والسهولة التي وجدها الإسبان في السيطرة عليها، فبعد وصول أخبار هذه الهزائم إلى المدن الساحلية الأخرى سارعت إلى طلب الصلح مع الإسبان خوفا من نفس المصير.

ومن بين المدن التي أعلنت خضوعها كانت مدينة الجزائر، ففي يوم 31 جانفي 1510م توجه وفد من أعيان المدينة إلى بجاية لمقابلة القائد "بيدرو نافارو"، وقد تمخض عن هذه المفاوضات التوقيع على معاهدة الخضوع والتبعية للملك "فرديناند "، إلى جانب التعهد بتحرير كل الأسرى ودفع ضريبة سنوية، ولكن أخطر شرط ورد في هذه المعاهدة، تمثل في منح المدينة إحدى الجزر الموجودة قرب

سواحلها للإسبان حتى يقيموا عليها قلعة لمراقبتهما، إنها قلعة الصخرة أو "البانيون PENON "[12] ومن المؤكد أن هذه القلعة قد شكلت لمدة من الزمن " شوكة في قلب المدينة"[13] كان يجب التخلص منها يوما ما.

ومهما يكن فإن السكان رأوا في هذه المعاهدة حفظا لحياتهم وأموالهم، ولهذا سارعوا بالتوجه إلى إسبانيا لتأكيد رغبتهم في الصلح مع الملك، ويذكر حسن الوزان أن " سكان مدينة الجزائر اضطروا إلى التوقيع على معاهدة صلح مع الإسبان لمدة عشر سنوات مقابل دفع ضريبة يحدد الملك قيمتها، وقد قبل هذا الأخير طلبهم، وبالتالي ضمنوا السلم والأمن لمدة من الزمن"[14].

إلا أن ما يلاحظ هو تركيز الإسبان لوجودهم على السواحل فقط دون المغامرة بالتوغل إلى الداخل رغم أن كل الظروف كانت ملائمة لاحتلال كامل للمنطقة، وقد يشكل اهتمام الملك "فرديناند" بثروات إيطاليا إحدى الأسباب الهامة لذلك[15]، كما يمكن أن يكون ظهور الاخوة "باربروس" في منطقة البحر المتوسط سببا في تراجع الإسبان عن محاولة التوسع إلى الداخل، وعلى العموم فإنه يظهر أن تركيزهم في هذه المرحلة أنصب على احتواء الخطر الإسلامي في شمال إفريقيا، ولهذا جعلوا من المراكز الساحلية المحتلة حصونا تقيم فيها حاميات عسكرية مهمتها مراقبة سكان المناطق المجاورة[16].

وهكذا نستخلص أن منطقة شمال إفريقيا شكلت في تلك الفترة إحدى اهتمامات الإسبان، بعد سقوط غرناطة في عام 1492م، وبداية تنفيذ مشروع الاحتلال الذي انطلق إلا في عام 1505م، غير أن اكتشاف قارة أمريكا (أو العالم الجديد) في 1492م من طرف البحار "كريستوف كولومبس

Christophe COLOMB"، جعل كثيرا من المغامرين الذين كان يمكن أن يعتمد عليهم في احتلال بلاد المغرب، يوجهون أنظارهم نحو أمريكا بحثا عن الثروة والمال.

كل الظروف السابقة كانت توحي بأن بلاد المغرب الأوسط ستخضع لحكم إسباني مباشر دون عناء كبير، إلا أن ظهور مجموعة من البحارة الأتراك العثمانيين في منطقة غرب المتوسط، أدى إلى تغيير كل الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت إلى حد تلك اللحظة لصالح الإسبان، فقد تمكن الإخوة برباروس ورفاقهما من الحد من التوسعات الإسبانية في المغرب الأوسط.

يذكر صاحب كتاب "الغزوات" أن أصل هؤلاء الإخوة من جزيرة " مدلي " أو " ليسوس "، والدهم كان جنديا إنكشاريا يدعى يعقوب تزوج بامرأة مسيحية أنجبت له أربعة أبناء هم: إسحاق، عروج، خير الدين، وإلياس[17]. وكان عروج وخير الدين[18] أبرزهم، إذ سيكون لهما دور كبير في تأسيس إيالة الجزائر، ووضع القواعد الأولى لفرقة الإنكشارية.

لا بد من الإشارة إلى أن حياة عروج كانت مليئة بالأحداث والمغامرات، فلقد تميز منذ صغره بشجاعة نادرة وحب فائق للبحر، ففي عام 1502م استقر به المقام مع جماعة من أصحابه بجزيرة جربة التونسية، والتي استخدمها قاعدة أمامية في الجهاد ضد المسيحيين، فمنها كانت سفنه تنطلق لتجوب البحر المتوسط، حيث تحصل على الغنائم وتساعد مسلمي الأندلس، ويعود اختيار هذه الجزيرة لقربها من الأراضي المسيحية كصقلية، مالطة والجنوب الإيطالي، وكان ذلك بعد اتفاق تم بين عروج والأمير الحفصي أبو عبد الله محمد ينص على منحه الجزيرة مقابل خمس الغنائم[19].

من المؤكد أن أعمال عروج البطولية ساهمت في تزايد شعبيته، فذاع صيته في كل المنطقة، وأصبح سكان المدن الساحلية ينظرون إليه على أنه " الرجل المنقذ " الذي سيخلصهم من السيطرة

الإسبانية، وكان أول اصطدام بين الإسبان والقوة العثمانية الجديدة في عام 1512م عندما استنجد سكان مدينة بجاية بعروج، حيث قدم إليها وحاصرها دون أن يتمكن من اقتحام أسوارها[30]، ويمكن إرجاع سبب هذا الفشل إلى ضعف مدفعيته التي عجزت عن إحداث أي ضرر في الحصن الإسباني، وقد أعاد عروج حصار بجاية ثانية في عام 1514م ولكن دون جدوى، رغم أن تعداد قواته بلغ هذه المرة أكثر من عشرين ألف مقاتل[31].

في نفس العام – 1514م – قام عروج بعمل إستراتيجي كبير وهام، تمثل في نقل قاعدته من حلق الوادي إلى جيجل، التي كان قد حررها من سيطرة الجنويين، ويقال أن سبب هذا الانتقال يرجع إلى خلاف حاد بين القائد عروج والأمير حفصي[32]. وبهذا اقترب عروج أكثر من خط المواجهة مع الإسبان.

وهنا لا بد من الإشارة أن موت الملك " فرديناند " الإسباني[33]، قد شكل تحولا هاما في موقف سكان مدينة الجزائر من التواجد الإسباني الذي تركز إلى حد الآن في قلعة البانيون والتي لا تبعد عن المدينة إلا بثلاثمائة متر فقط، لقد وجد هؤلاء في موته فرصة للتخلص من قيود المعاهدة التي كبلت حريتهم ونشاطهم التجاري منذ 1511م، والذي تضرر كثيرا بفعل الحصار وارتفاع قيمة الضرائب المفروضة عليهم، ولهذا قرروا الاستنجاد بعروج المتواجد بجيجل.

يذكر الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي" أن أول اتصال بين سكان المدينة والاخوة باربروس كان عندما أرسى خير الدين بأسطوله في ميناء الجزائر بعد موت الملك فرديناند، فطلبوا حمايته من الإسبان مقابل تعيينه أميرا على المدينة، ولكنه سخط عليهم وغادرهم سنة كاملة، ثم ألحوا عليه في العودة فاشترط عليهم إشراك أخيه عروج في ذلك"[34]. غير أن معظم المؤرخين لا يذكرون هذه الأحداث

ويتفقون على أن أول إتصال بين السكان والعثمانيين كان عن طريق الوفد الذي أُرسل إلى جيجل لمقابلة عروج[25].

ويبدو أنه لم يكن هناك إجماع بين سكان المدينة حول قضية الاستنجاد بعروج، حيث وجد طرف يرى ضرورة مواصلة دفع الضريبة، ويعتبر العملية مغامرة خطيرة على مستقبل المدينة خوفا من الإنتقام الإسباني، وكان على رأس هؤلاء سليم التومي شيخ المدينة. أما الطرف الثاني فيرى غير ذلك ويعتبرها فرصة لاستعادة السيادة[26]، وهو الرأي الذي وقع عليه الإجماع، إذ تقرر تكوين وفد يتوجه إلى جيجل لمقابلة عروج.

عند وصول الوفد استقبله عروج بحفاوة، فشكوا له معاناة المدينة بسبب الحصار الإسباني، وطلبوا منه التدخل بمساعدتهم وتخليصهم من تلك الشوكة قائلين: " سمعنا بكم أناسا تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون. لابد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة"[27].

من الملاحظ أن عروج قد قبل طلبهم بدون تردد، ويرجع ذلك حسب بعض المؤرخين إلى الموقع الإستراتيجي للمدينة، وخاصة الميناء الذي يعتبر أنسب منطقة لممارسة الجهاد البحري، يضاف إليها غناها بالثروات وكثرة سكانها، هذا إلى جانب أن عروج كان يطمح في أن يصبح سيد المنطقة كلها، إلا أنه أخفى كل طموحاته ووعد السكان بمساعدتهم[28]. وهكذا أبعد هؤلاء المؤرخين دافع الجهاد في موافقة عروج، هذا الدافع الذي ركز عليه صاحب "الغزوات " حيث يذكر أنه لما وصل إليه الكتاب "أدركته حمية الإسلام ودخلته نخوة الجهاد، واستخار الله تعالى في الذهاب إليهم"[29]. وهكذا قرر التوجه إلى مدينة الجزائر لتخليصها من سيطرة الإسبان.

يذكر " هايدو " HAEDO: " أن عروج قام بإرسال جيش قدره بستة عشرة سفينة شراعية على متنها خمسمائة تركي إلى جانب المدافع والبارود والمؤونة، أما هو فسلك طريق البر على رأس ثمانمائة تركي من رفاقه المسلحين بالبنادق، إلى جانب ثلاثة آلاف رجل من السكان مدفوعين برغبة الحصول على جزء من الغنائم "[30]، أما صاحب كتاب " الزهرة النائرة " فيذكر: "أن عروج توجه إلى مدينة الجزائر على ظهر سفينتين وأرسل إليه أخوه خير الدين مائتين وثمانون رجلا "[31]. ومن الضروري التنبيه إلى ذلك التلاحم الذي تولد بين الأتراك وسكان المنطقة ضد العدو المشترك.

مما سبق يلاحظ أن معظم قوات عروج سلكت طريق البر، وكان وراء ذلك دوافع إستراتيجية كثيرة، منها محاولة كسب أنصار جدد من سكان المنطقة؛ كما أن عروج سعى إلى التخلص من قارة حسن أحد أتباعه الذي كان حاكما على شرشال، ويقال أنه تخوف من تزايد نفوذه، وبعد القضاء عليه غادر المدينة تاركا وراءه حامية مكونة من مائة رجل[32].

تذكر المصادر أن عروج عند دخوله إلى مدينة الجزائر، استقبله سكانها استقبال الفاتحين المنقذين، وأن إقامته كانت في قصر ابن التومي، وهو نفس العمل الذي قام به الأعيان مع جنوده[33]، ثم قام بعقد اتفاقية مع السكان نصت على احترام سيادتهم على المدينة، وألا يدفعوا أتاوات جديدة، ولا يتدخل في تجارتهم، وأن تقتصر مساعدته لهم على استعادة قلعة الصخرة وتحطيم أسوارها[34]. ومنذ الغد من ذلك وجه نيران مدفعيته نحو القلعة لإظهار حسن نيته، ولكن بعد عشرين يوما فشل في تحطيمها لضعف مدافعه التي لم تشكل أي خطر على الجنود الإسبان الذين ردوا على ذلك بقصف أعالي المدينة[35].

وكان من نتائج هذا الفشل، ظهور تذمر بين السكان الذين رأوا بأنهم أخطأوا التصرف باستقدام هذا "الرجل الخطير"[36]، خاصة بعدما أصبح يتصرف وجنوده كأسياد في المدينة، وقد ولد ذلك معارضة سرية قادها الأعيان وعلى رأسهم سليم بن التومي، الذي يقال أنه اتصل خفية بالإسبان، بعدما رأى عروج يهدد عرشه ويتصرف كحاكم مطلق في المدينة[37]. غير أن هذا الأخير استطاع أن يتفطن للمؤامرة في الوقت المناسب ويتخلص من خصمه العنيد ابن التومي.

لقد ركز كثير من الأوربيين على قضية اغتيال ابن التومي، فيعطينا "هايدو" تفاصيلا دقيقة حول القضية، ومضمونها أن عروج قام بخنق سليم بن التومي في حمامه حينما كان يستعد لأداء صلاة الظهر[38]، أما " لوجي دوتاسي Laugier de Tassy" الذي زار الجزائر في عام 1725م، فيذكر أن عروج أعجب "بزفيرة " أو " سافرة " زوجة ابن التومي، وحاول كسب ودها ولكنه فشل في ذلك، ولهذا قرر اغتيال الزوج ليتزوجها بمجرد ما تصبح أرملة إلا أنها فضلت الانتحار بالسم على الزواج به[39]، وقد يكون من وراء سعي عروج للاقتران بزفيرة – إن صدقت رواية تاسي – محاولته كسب تأييد القبائل العربية المتمركزة في المنطقة، خاصة وأن "زفيرة " كانت تنتمي إلى قبيلة ذات شأن ومكانة في منطقة المتيجة[40].

ومهما كانت تبريرات الأوربيين وتفسيراتهم لعملية الاغتيال، فإنه قد تكون تصرفات إبن التومي دافعا لهذا العمل، حيث يورد الأستاذ توفيق المدني وثيقة تدينه، وهي عبارة عن رسالة بعثها أحد الإقطاعيين إلى الكاردينال " كسمناس أو خمينيس " يطلب دعم إسبانيا ضد عروج، ويرى أن تأسيس دولة إسلامية في المنطقة يهدد مصالحهم ونفوذهم[41]، وبعبارة أخرى فإن ابن التومي كان يدبر مؤامرة

ضد عروج وجنوده وضد مصلحة المدينة، وما قد يدعم هذا الرأي هو هروب يحي بن سليم إلى حاكم وهران الإسباني بعد مقتل أبيه ومن هناك نقل إلى إسبانيا[42] .

لقد أصبح عروج ملكا على مدينة الجزائر بعد مبايعته من طرف جنوده والسكان المناصرين له، ويظهر أن هذه المبايعة لم تلق أي معارضة علنية خاصة من طرف الأعيان[43]. وهكذا بدأ في تنفيذ مشروعه الطموح وكان ذلك بوضع القواعد لدولته، فقام بصك النقود، وعمل على تحصين المدينة وتدعيم دفاعاتها خاصة حصن القصبة، كما أنه نجح في صد حملة إسبانية ضد المدينة في سبتمبر 1516م[44]، وتمكن من التخلص من اثنين وعشرين متآمرا من أعيان المدينة داخل المسجد أثناء أداء صلاة الجمعة[45].

لا بد من الإشارة أن مدينة الجزائر لم تكن إلا قاعدة لتأسيس دولة قوية وشاسعة مثلما كانت جربة سابقا ثم جيجل بعدها. فبمجرد توطيد حكمه بها، شرع عروج في مد نفوذه غربا، حيث استغل فرصة استنجاد سكان مدينة تنس به ضد حاكمهم حميد العبيدي عميل الإسبان، وقبل خروجه قسم المملكة إلى قسمين: قسم شرقي عاصمته دلس وعين عليه أخاه خير الدين، وقسم غربي عاصمته مدينة الجزائر بقي تحت إشرافه[46]، ويعتبر هذا العمل أول تنظيم إداري أحدثه عروج بعدما أصبح حاكما على الجزائر، وستتبعه تنظيمات أخرى خاصة في عهد خير الدين ثم ابنه حسن باشا.

يذكر صاحب " الزهرة النائرة " أن عروج قبل خروجه إلى تنس لقتال حاكمها " استفتى علماء المدينة، فأفتوه بإباحة دمه ودم من معه من المفسدين".[47] وفي طريقه انظم إليه سكان منطقة متيجة، مليانة، المدية، الشلف، وجزء من جبال الظهرة والونشريس[48]. وقد تمكن من إخضاعها في جوان 1517م بعدما تخلص من حاكمها الموالي للإسبان.

ساهمت انتصارات عروج في تزايد عدد المتطوعين في جيشه، كما زاد عدد المستنجدين به، فخلال إقامته بتنس اتصلت به جماعة من سكان مدينة تلمسان لمساعدتهم على التخلص من حاكمهم أبو حمو الزياني عميل الإسبان، والذي كان قد بادر بسجن الوريث الشرعي للعرش مولاي بن زيان[49].

لم يتأخر عروج لحظة في الاستجابة لطلبهم، وتوجه مباشرة نحو تلمسان سالكا في ذلك طريق البر، ويظهر أنه حاول قدر المستطاع تفادي الاصطدام بالإسبان الذين كانوا يعسكرون بوهران، وفي طريقه أخضع قلعة بني راشد التي عين عليها أخاه إسحاق.

تمكن عروج من دخول تلمسان دون عناء كبير حيث حرر الوريث الشرعي وعينه على العرش، أما أبو حمو فلجأ إلى وهران. إلا أن عروج ما لبث أن تخلص من أبي زيان وسبعين شخصا من عائلته، ونجهل السبب الذي جعله يقدم على هذا العمل، ولكن الأستاذ توفيق المدني يرجع السبب إلى تجدد الفتن، وهذا ما أعاقه على تحقيق مشروعه في بناء دولة جزائرية موحدة[50].

غير أن الانتصارات التي حققها عروج في المغرب الأوسط هددت مباشرة مصالح إسبانيا في المنطقة، خاصة بعدما أصبح على مقربة من وهران، كما هددت سلطة الأمراء الصغار ومنهم أبو حمو، فقررت إسبانيا توجيه حملة ضده والتي نجحت في السيطرة على قلعة بني راشد والتخلص من إسحاق، ثم توجهت نحو تلمسان التي حاصرتها لمدة ستة أشهر حيث تمكنت من دخولها، أما عروج فلجأ إلى قلعة المشور في انتظار الدعم الذي كان سيصله من سلطان فاس "مولاي أحمد" بعد اتفاق تم بينهما سابقا[51]، إلا أن تأخر وصوله جعله يضطر للتوجه نحو البحر، ولكن الإسبان تمكنوا من اللحاق به، وبعد قتال طويل استشهد عروج مع عدد كبير من جنوده.

إلا أن المؤرخين لا يتفقون على رأي واحد في تحديد المكان الذي قتل فيه عروج، فبعضهم يرجح أنه قتل قرب واد المالح حينما كان متوجها نحو البحر للحاق بالسفن العثمانية التي كانت بانتظاره هناك[52]، بينما يرى آخرون أنه قتل في جبل بني موسى غرب تلمسان قرب نهر وحدة على الحدود الجزائرية المغربية[53]، أما " باربروجر Berbrugger" فيرى بأنه قتل في جبل بني يــزناسن[54]، ويمكن أن يكون للرأيين الأخيرين نصيب كبير من الصواب، وما يدعم ذلك هو الاتفاق الذي كان بين عروج وسلطان المغرب. أما عن عمره عند استشهاده، فتؤكد المصادر أنه كان أربع وأربعين سنة[55]، وقد شكل هذا الحادث فرصة لإقامة احتفالات عظيمة في كثير من مدن إسبانيا[56].

أهم ما يستخلص مما سبق ذكره، أن عروج لعب دورا كبيرا في وضع الأسس الأولى لتكوين الإيالة الجزائرية وجيشها، إذ تمكن في فترة وجيزة من توطيد وجوده في مدينة الجزائر، كما دحر كل المؤامرات التي دبرت ضده، هذا إلى جانب توسيع حدود مملكته التي امتدت حتى تلمسان، ولولا قلة الجنود والعتاد لأمكنه مواجهة الإسبان وتحقيق نصر ساحق ضدهم.

وقد نالت شجاعته وعبقريته العسكرية إعجاب الجميع حتى الأعداء، فلقد مدحه الراهب "هايدو" وذكر بأنه "قاتل الإسبان بشجاعة نادرة رغم أنه لم يكن يملك إلا يدا واحدة "[57]، كما يُرجع إليه الفضل في "وضع الأسس الأولى لمملكة الجزائر"[58]، أما "لوجي دوتاسي" فرغم أنه ينظر إليه كظالم ومستبد قهر السكان، فذلك لم يمنعه من الإعجاب به والاعتراف بشجاعته"[59].

لقد كانت الفترة الممتدة ما بين مقتل عروج في ماي 1518م وإلحاق الجزائر بالإمبراطورية العثمانية، مرحلة حرجة في تاريخ الجزائر العثمانية، حيث وجد خير الدين خليفته على مدينة الجزائر نفسه في وضع حرج، فإلى جانب قلة عدد جنوده الذين قتل خيرهم مع عروج حيث لم يبق معه إلا

ثلاثمائة جندي[60]، كانت هناك أخطار تهدده مع رجاله ومنها مؤامرات أعيان المدينة بغرض طرده منها، يضاف إليها ثورات الجيران وتمرد المناطق التي تم إخضاعها[61].

يخبرنا "هايدو" أن خير الدين باربروس لما وصلته أخبار مقتل أخيه" انتابه خوف من وصول الإسبان إلى مدينة الجزائر، وهذا ما جعله يتخذ قراره بمغادرتها مع ما بقي من رفاقه على متن اثنين وعشرين سفينة تاركا السكان أمام مصيرهم المحتوم، إلا أن بعض أصحابه أقنعوه بالبقاء إلى غاية معرفة ما سيقرره قائد الحملة الذي فضل الرجوع إلى وهران مما أعاد الثقة لخير الدين"[62]. وربما أن " هايدو" من خلال هذه الشهادة يبدي تعاطفا مع الإسبان وفي نفس الوقت يعبر عن كره وحقد على العثمانيين. أما الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي فيرجع سبب إصرار خير الدين على مغادرة البلاد إلى مؤامرات الأعيان ضده والذين تخوفوا على مصالحهم وامتيازاتهم"[63]، وهنا لا بد من الإشارة أن العثمانيين كانوا مكروهين من طرف الحضر ورجال القبائل وحتى البدو بسبب تصرفاتهم كمحتلين.

ومهما كان من الأمر فإن معظم المصادر تتفق على أن خير الدين كان شجاعا وعسكريا فذا، وربما أن قلة جنوده منعته من الدخول في مغامرة فاشلة ضد الإسبان، حيث أنه لم يكن يتخوف من مواجهتهم كما ذكر "هايدو"، وإنما كان لعامل الطقس أثره في عدم خروجه لمواجهتهم إذ أن الأحوال الجوية الرديئة حالت دون ذلك بسبب حلول فصل الشتاء، وهذا ما يؤكد عليه صاحب "الغزوات" الذي يذكر أن خير الدين لما علم بالخبر " لم يقدر على الحركة لحلول فصل الشتاء، وعند مجيء فصل الربيع خرج بمحلة كبيرة من ستمائة مقاتل من الجيش وعشرين ألف فارس، وبقي يحرس العمالة خوفا عليها من سلطان تلمسان ... وأرسل إلى سكان المناطق الغربية يطالبهم بالتظاهر بالطاعة لسلطان تلمسان ومصانعته بالهدايا حتى لا يلحقهم ضرره"[64].

استطاع خير الدين في فترة وجيزة إعادة بناء قوة عسكرية، وتمكن من صد حملة إسبانية في عام 1519م وألحق بها خسائرا فادحة[65]، وقد أكسبته هذه الانتصارات شعبية كبيرة لدى السكان، إلا أنه بعدما رأى أن مهمته قد انتهت وأن المدينة أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها قرر مغادرتها والعودة إلى ممارسة الجهاد البحري، فقام بجمع الأعيان وأخبرهم بقراره قائلا " إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان، وقد آمنت الآن على بلادكم لما أخلفه عندكم من العسكر المجاهدين ... وعندكم من السلاح والعدة ما تقومون به بأمر الجهاد ... وإني لما قدمت إليكم لم يكن عندكم مدفع واحد، والآن قد تحصل بأيديكم مما خلفه العدو أكثر من أربعمائة مدفع، فاختاروا واحدا منكم يكون من خياركم تقدمونه أميرا عليكم"[66]. وهكذا أصبحت مدينة الجزائر أقوى من ذي قبل ورغم ذلك فقد ألح السكان على خير الدين للبقاء معهم[67].

غير أن الإشكال الذي يطرح من خلال هذه الحادثة: هل حقيقة أن خير الدين كان ينوي مغادرة البلاد ؟ خاصة وأنه بذلك سيضيع كل ما شيده مع أخيه منذ مطلع القرن السادس عشر، أم أنه لا يعدو أن يكون مجرد مناورة تمكنه من معرفة مدى شعبيته بين السكان ومحاولة كسب تأييدهم ؟ بعض الأوربيين يعتبرون أن ما قام به خير الدين لم يكن إلا مجرد مسرحية مثلها ببراعة وإتقان ليقنع السكان بربط مصيرهم بالدولة العثمانية، وإعلان ولائهم لسلطانها وكانت النتيجة مطابقة لما خطط له[68].

وأمام إصرار السكان على بقائه، فإن خير الدين عرض عليهم ضرورة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وإعلان خضوعهم للسلطان سليم الأول[69]، ولقد نجح في ذلك حيث قبلوا اقتراحه واعترفوا به خليفة لأخيه وحاكما على المدينة هؤلاء الذين " لا يلبثون على حال"[70]، ويمكن أن نجمل الأسباب التي

دفعت السكان إلى قبول العرض بسرعة ودون تردد إلى وحدة الدين الإسلامي والمزايا والامتيازات الكبيرة التي ستجنيها مدينتهم من هذه التبعية والتحالف.

بعد الموافقة طلب خير الدين من السكان كتابة رسالة إلى السلطان سليم الأول (1512-1520) والتي تضمنت سردا لمعاناتهم من الإسبان، إذ تبدأ منذ سقوط غرناطة عام 1492 وما تبع ذلك من اعتداءات على سواحل المنطقة ثم سقوط وهران، واضطرارهم إلى التوقيع على معاهدة صلح مع الإسبان لحقن الدماء وحفظ حياتهم وأملاكهم، ثم يذكرون كيف استقبلوا عروج واستشهاده في معركة تلمسان، ثم مجيء خير الدين مكانه للدفاع عن السكان والمدينة، وتنتهي الرسالة بإبداء مظاهر الخضوع والتبعية للباب العالي[71]، كما كتب خير الدين رسالة بدوره إلى السلطان ليطلعه على أوضاع المنطقة. بعد ذلك تكون وفد من الأعيان حمل هدية ثمينة وسافر على متن أربع سفن لمقابلة السلطان سليم الأول[72].

غير أن المصادر لا تتفق على رأي واحد فيما يتعلق بالسنة التي أرسل فيها الوفد، ومن كان على رأسه، ومتى كانت عودته إلى الجزائر، ويرجع هذا أساسا إلى قلة المعلومات المتعلقة بتلك الفترة. ولكن المؤكد أن هناك تاريخين مختلفين لسفر الوفد، فبينما يرى البعض أنه توجه لمقابلة السلطان خلال عام 1518م[73]، يرى آخرون أن التاريخ الحقيقي هو أوائل نوفمبر 1519م[74]، وهو التاريخ الصائب بالنظر إلى تطور الأحداث التي شهدتها الجزائر بعد مقتل عروج، وانشغال خير الدين خليفته بترتيب أموره ومواجهة الخطر الإسباني والانتفاضات المحلية، وما يؤكد هذا الرأي أن الرسالة التي كتبها السكان يعود تاريخها إلى أوائل ذي القعدة 925هـ الموافق لما بين 26 أكتوبر و3 نوفمبر 1519[75].

أما عن الشخصية التي أرسلت على رأس الوفد، فلا بد من ذكر أن خير الدين كان ينوي السفر بنفسه إلى إسطنبول – كما سبق ذكره – ولكن أمام إصرار السكان على بقاءه، قام بتعيين شخص ليمثله لدى السلطان، فيذكر صاحب " الغزوات"[76] وصاحب " الزهرة النائرة"[77] اسم " الحاج حسين"، وهي نفس الشخصية التي يذكرها الأستاذ توفيق المدني[78] والأستاذ عبد الرحمن الجيلالي[79]، ويظهر أنهما اعتمدا على كتاب الغزوات في سرد هذه الواقعة، في حين هناك مصادر أخرى تسكت عن ذكر اسم الشخصية التي ترأست الوفد، "فهايدو" يذكر مثلا أن خير الدين " أرسل هدية ثمينة إلى السلطان، يحملها أحد أتباعه[80]، أما "دي غرامون De Grammont " فيرى أن خير الدين " أرسل رسلا إلى القسطنطينية ليعرضوا على السلطان سليم الأول خضوع إمارة الجزائر مقابل حمايته"[81].

غير أن الرسالة التي بعثها الأهالي إلى السلطان تذكر شخصية الفقيه والعالم الأستاذ أبو العباس أحمد بن القاضي، والذي لم يرد اسمه في أي مصدر آخر[82]، إنه شيخ إمارة كوكو بجبال جرجرة، وكان من أكبر المساندين والموازرين لعروج إذ شارك في كل الأحداث الهامة للإيالة ومنها حصار بجاية في عام 1514 ودخول مدينة الجزائر في عام 1516 ثم تلمسان سنة 1518، وكان ذلك دافعا أساسيا جعل خير الدين يثق فيه ويقرر إرساله على رأس الوفد، ويمكن أن يكون هدفه من إرسال شخص من سكان المنطقة إظهار تعلق السكان بالسلطان.

إن كل المصادر تتفق على الحفاوة التي استقبل بها الوفد من طرف السلطان[83] والذي أحسن ضيافتهم، وبعد عرض القضية عليه قبل دون تردد، وقرر إرسال مساعدة عسكرية إلى خير الدين لمواجهة الأخطار المحدقة به، وكانت عبارة عن عتاد حربي ومدافع، إلى جانب ألفي جندي من خيرة

الجنود الإنكشارية، وأتبعهم بأربعة آلاف متطوع من منطقة الأناضول مع تمتعهم بنفس حقوق الإنكشارية في القسطنطينية وضمان النقل المجاني[84].

أما خير الدين فقد تحصل على لقب بيلرباي (باي البايات) وفرمان الحماية وسمح له بالخطابة باسم السلطان على المنابر وصك النقود[85]. ويظهر أن السلطان سليم الأول قد وجد في هذا العرض فرصة لمد حدود سلطنته غربا باعتبار أن الجزائر تحتل موقعا إستراتيجيا وتشكل قاعدة أمامية في الصراع العثماني – الإسباني. أما تاريخ عودة الوفد فقد حدده المؤرخ محمد شكري بعام 1520م وهو تاريخ بداية إيالة الجزائر العثمانية[86].

لقد ساهم استقدام هذه الجماعة الإنكشارية والمتطوعين في إيجاد قوة دافعت عن الإيالة ضد كل الأخطار، كما ساهمت في توسيع حدودها وإنعاش الخزينة بواسطة جباية الضرائب والأتاوات خاصة بعد تراجع غنائم الجهاد البحري منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ولعل أهم نتيجة هي ظهور فرقة عسكرية جديدة تتمثل في "ديوان الإنكشارية " الذي سيكون له دور هام وخطير في حكومة الإيالة مستقبلا[87].

أما أول ما ركز عليه خير الدين بعد تلقيه لقب "بيلرباي" كان تقوية وتنظيم الإيالة، فقام بإحداث تنظيم إداري جديد بتقسيمها إلى قسمين: قسم شرقي ضم بلاد القبائل وعين عليه أحمد بن القاضي وقسم غربي عين عليه محمد بن علي[88]، واستقر هو بمدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة ومقرا للسلطة المركزية، ويعبر هذا العمل على عبقرية واستراتيجية من خلال إشراك السكان المحليين في حكم بلادهم.

وبفضل قوة رفاقه والجنود الجدد القادمين من الأناضول، تمكن خير الدين من إفشال مؤامرة الأعيان ضده، كما استطاع الرجوع إلى مدينة الجزائر عام 1526م بعدما خرج منها منهزما أمام إبن القاضي في 1521م حيث لجأ إلى جيجل، وفي 1529م تمكن من تحطيم حصن البانيون، وهكذا أزال الخطر الذي هدد المدينة لفترة طويلة من الزمن[89].

رغم أن الأخوين " باربروس " لم يكونا من سكان البلاد، ورغم قلة جنودهما وعتادهما، وعدم تمتعهما بدعم أو تحالف مع دولة قوية في بداية الأمر، فلقد تمكنا في مدة وجيزة من بناء دولة قوية ومستقرة أمام كثرة التمردات الداخلية وكثافة الهجومات الخارجية، ويرجع الفضل في ذلك بنسبة كبيرة إلى منظمة الجيش الإنكشاري الحديثة النشأة، والتي استطاعت في فترة وجيزة فرض هيبتها على السكان بفضل قوتها وانضباطها وقوة تسليحها رغم قلة جنودها لدرجة أن إنكشاريا واحدا كان في مواجهة مائتي شخص من السكان[90].

لا أحد ينكر الدور الذي لعبته فرقة الإنكشارية وديوانها في الأحداث والتطورات السياسية التي عرفتها إيالة الجزائر طيلة العهد العثماني بمراحله المختلفة، هؤلاء الذين صنعوا كثيرا من الانتصارات وسيزداد تأثيرهم في شؤون الإيالة مع توافد أعداد جديدة من المتطوعين المندفعين بحب الغنيمة والثروة، ويمكن أن نستخلص ذلك من خلال تتبع تطور دورهم عبر العهود الأربعة التي مرت بها الجزائر أثناء الحكم العثماني:

1- عهد البيلربايات 1520 - 1587:

بعد الألفي إنكشاري والأربعة آلاف متطوع الذين أرسلهم سليم الأول، تزايد عدد المجندين الوافدين من الأناضول ومناطق البحر المتوسط الأخرى، وقد عرف هؤلاء بانضباطهم ومهاراتهم الحربية وحبهم للجهاد، وإليهم يرجع الفضل في تثبيت تقاليد عسكرية جعلت من الجزائر قوة عسكرية طيلة ثلاثة قرون من الزمن، وقد نالت هذه القوات إعجاب الكثير من الرحالة الأوربيين الذين بينوا مدى انضباطهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[91].

إلا أن ما يلاحظ هو محدودية الدور الذي لعبه الإنكشارية في هذه المرحلة، إذ أن خير الدين كان يتخوف من هؤلاء الوافدين الجدد، مما جعله يبادر إلى تشكيل فرقة من الحرس الخاص تتكون من ستمائة رجل من " الأعلاج"[92] إلى جانب فرقة أخرى تضم ما بين سبعة آلاف وثمانية آلاف رجل يوناني وألباني كان معظمهم ينتمون إلى طائفة الرياس وأسند قيادتها إلى رفقائه القدماء الذين كانوا بدورهم يكنون كرها شديدا لهؤلاء المجندين الجدد[93].

وهكذا أبعد الإنكشارية عن الأمور السياسية للإيالة، واقتصرت مهام ديوانهم على أمور الجنود فقط كالترقيات في الرتب، رغم أن بعض الضباط تم قبولهم في مجلس الباشا[94]، وهذا لا يعني أنهم كانوا بعيدين عن شؤون الحكم، بل حاولوا الاستيلاء على مقاليد السلطة مرات كثيرة دون جدوى. وأول تمرد قاموا به كان في عام 1556م بقيادة حسن قورصو الذي نصبوه حاكما على الجزائر، ورفضوا استقبال الباشا محمد تكرلي المبعوث من طرف السلطان، إلا أن محاولتهم فشلت بعد اتفاق تم بين الباشا الجديد وطائفة الرياس التي وقفت ضد التمرد[95].

2- عهد الباشاوات الثلاثيين 1587 - 1659

خوفا من انفصال إيالة الجزائر عن الباب العالي، بادر السلطان العثماني بعد مغادرة علج علي آخر بيلربايات الجزائر عام 1587، إلى تعيين حاكم برتبة "باشا " يشرف على تسيير شؤون الإيالة لمدة ثلاث سنوات. وخلال هذا العهد استطاع الإنكشارية أن يصبحوا ثاني قوة سياسية بعد الباشا الذي لم يتركوا له إلا المظاهر.

في عام 1618م تمكن ديوان الإنكشارية من السيطرة على الشؤون السياسية للإيالة، وأصبح الجنود القوة الأولى أمام قوة البحرية (الرياس)، فلقد أصبح ديوانهم يشرف على الشؤون الداخلية والخارجية. وخوفا على منصبه كان الباشا يضطر إلى موافقتهم والأخذ برأيهم في أي قرار يتخذه فكان يصدر مراسيمه باستعمال العبارة التالية: "نحن الباشا وديوان إنكشارية الجزائر التي لا تقهر"[96].

وللحد من تزايد نفوذهم حاول خيضر باشا (1595 – 1596) التخلص منهم عام 1596 إلا أن محاولته باءت بالفشل[97].

3- عهد الأغوات 1659م – 1671م:

تمكن الإنكشارية من الاستيلاء على الحكم وشكلوا " جمهورية عسكرية " على رأسها آغا الإنكشارية الذي يبقى في منصبه لمدة شهرين فقط[98]، واضطر الباب العالي إلى تقبل الوضع الجديد وأوقف إرسال الباشا للإشراف على الإيالة لمدة ثلاث سنوات.

إلا أن ما يميز هذا العهد هو سيادة الفوضى والاضطراب، فلقد أغتيل الأغوات الأربعة من طرف الجنود الذين عينوهم[99]، ويرجع ذلك إلى محاولة احتفاظهم بالمنصب لأكثر من شهرين أو لعجزهم عن تلبية متطلبات الجنود المادية ومنها زيادة الأجور.

في 1671م أتهم الرياس الآغا علي (1665م – 1671م) بعجزه عن مواجهة الطلبات الفرنسية والاختلاس، فقاموا باغتياله، ثم استغلوا فرصة شغور المنصب وعينوا أحد ضباطهم برتبة "داي"[100]. تؤكد هذه الأوضاع أن الإنكشارية في هذه المرحلة لم تكن لهم تقاليد في الحكم، كما أن الأغا لم يكن مؤهلا سياسيا لتسيير شؤون الإيالة.

4- عهد الدايات 1671م – 1830م:

أصبح الداي يحكم مدى الحياة عن طريق الانتخاب، وكان الدايات الأربعة الأوائل من طائفة الرياس، ولكن في عام 1689م استطاع الإنكشارية الاستيلاء على الحكم إلى غاية سنة 1830م.[101] وفي عام 1711م استطاع علي شاوش الجمع بين منصب الداي والباشا بعدما طرد الباشا مبعوث السلطان[102].

ما يميز إنكشارية هذا العهد هو تخليهم عن المطالبة بحقوقهم السياسية والتركيز على مطالب مادية محضة كالأجرة المرتفعة وامتيازات أخرى[103]، وربما يرجع ذلك إلى التركيبة البشرية لهؤلاء المجندين الذين كان معظمهم من المشردين والهاربين من العدالة. وهكذا أصبحوا يعينون الدايات ويعزلونهم حسب أهوائهم، وللإشارة فإنه من 1515م إلى غاية 1659م لم يقتل إلا البيلرباي محمد تكرلي، بينما قتل جميع الأغوات وأكثر من نصف الدايات[104]. يبرهن هذا الوضع على سيادة الفوضى التي سينجر عنها تدهور القوة العسكرية للإيالة وبالتالي سقوطها تحت طائلة الاستعمار الفرنسي عام 1830م.

إذن فإن تاريخ إنكشارية الجزائر بدأ منذ 1520 مع أول قدوم لهم إلى الإيالة، و لم ينته إلا في عام 1830 بعد الحملة الفرنسية على الجزائر. وخلال هذه الفترة الطويلة عرف هذا الجيش مرحلتين بارزتين:

تبدأ المرحلة الأولى منذ 1520 وتمتد على طول القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، أي أنها شملت عهد البيلربايات (1520 –1579)، وعهد الباشاوات (1598 –

1659)، وعهد الآغاوات (1659 – 1671)، وجزءا من عهد الدايات، وقد سبق ذكر مميزات هذه المراحل.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مجيء الانكشارية الأوائل إلى الجزائر، كان بدافع الجهاد في سبيل الله، وحماية أراضيها وسكانها من الخطر الصليبي، فاستطاعوا بفضل ذلك كسب دعم وتأييد السكان، خاصة بعدما تمكنوا من صد غارات الأساطيل الأوروبية وردها خائبة ومن ذلك مثلا تمكنهم من إفشال حملة شارل الخامس لعام 1541، والذي خسر أكثر من اثني عشر ألف شخص بين قتيل وجريح وأسير إلى جانب مائتي مركب[105]، ويعود ذلك إلى استبسال الجنود والسكان في الدفاع عن المدينة.

كما كان لهؤلاء الجنود دور كبير في تثبيت دعائم الوجود العثماني بالجزائر، ويظهر ذلك من خلال العمل على توسيع حدود الايالة، خاصة في عهد البيلرباي صالح رايس، حيث اشتركوا إلى جانبه في اخضاع إمارة تقرت التي كان يحكمها بنو جلاب، وإمارة بني ورجلان التي كان يشرف عليها شيوخ من الإباضية. وتذكر المصادر أن الإنكشارية غنموا في هذه الحملة حوالي خمسة عشرة جملا محملا بالذهب، إلى جانب الأقمشة والحلي والجلود وقطعان الماشية، وأكثر من خمسة آلاف عبد من الزنوج[106]. كما كان للإنكشارية دور في ضم مدينة تلمسان إلى الحكومة المركزية عام 1554 بعد إبعاد الأطماع الإسبانية والسعدية عنها، إلى جانب مساهمتهم في طرد الإسبان نهائيا من بجاية عام 1555[107].

غير أن الدور البارز للجيش الانكشاري لم يمنعه من القيام باضطرابات وتمردات أثناء القرن السادس عشر، ومنها التمرد الذي قام به الجنود ضد البيلرباي تكرلي عام 1555 والذي ذكرناه

آنفا. وفي 1560 قاموا بحركة انقلابية ضد البيلرباي حسن بن خير الدين، عندما اقتحموا قصره وقاموا بتقييده ثم إرساله إلى السلطان بتهمة أنه كان يسعى للانفصال عن الدولة العثمانية[108]. وفي 1571 تمردوا ضد البيلرباي علج علي بسبب تأخره في تسديد أجورهم[109].

في أواخر القرن السادس عشر تزايد عدد الجنود الانكشارية بشكل ملفت للانتباه، وأصبح ديوانهم أكثر تأثيرا في الحياة السياسة للإيالة، وقد دفع هذا الوضع السلطان العثماني إلى إنهاء عهد البيلربايات الذي هيمن عليه رياس البحر، ولجأ إلى تعيين باشا يحكم الإيالة لمدة ثلاث سنوات، وذلك خوفا من انفصالها عن السلطنة.

مع مطلع القرن السابع عشر أصبحت فرقة الإنكشارية ثاني قوة رئيسية في الجزائر بعد الباشا، فرضت سيطرتها على شؤون الإيالة، ويرجع ذلك إلى حالة اللاإستقرار التي عرفتها البلاد، خاصة بعد تمرد الكراغلة عام 1629، أو ثورات القبائل المتكررة، إلى جانب تواصل الاعتداءات الخارجية ومنها حملة 1601،والحملات الانجليزية لأعوام 1620، 1623، 1624، و1662، أو حملة فرسان مالطا عام 1647، والحملات الفرنسية لأعوام 1663، 1664 و1665 وغيرها كثير[110]، ويضاف إلى كل ذلك الصراع الخطير بين الجيش الإنكشاري ورياس البحر.

سيصبح حكم الجيش الانكشاري للإيالة فعليا وأكثر تأثيرا بداية من عام 1659، كما أصبح آغا الانكشارية المسؤول الأول على الجزائر كما سبق الحديث عنه، ويعتبر هذا العهد أضعف مراحل الحكم العثماني، وربما لأن هؤلاء الجنود لم تكن لهم تقاليد سياسية تمكنهم من القيام بهذه المهمة.

في عام 1671 عاد الصراع من جديد بين الانكشارية والرياس الذين تمكنوا من السيطرة على الحكم بتعيين أحد قوادهم بلقب داي، غير أن الانكشارية سرعان ما تمكنوا من استرجاع مقاليد

الحكم، بعدما كان الداي حسب ميزومورتو (1683 – 1688) قد تمكن من عزلهم، وللتخلص منهم أرسلهم إلى الحرب ضد تونس، غير أن محاولته باءت بالفشل، مما اضطره إلى الهروب والنجاة بنفسه[113].

في أواخر القرن السابع عشر تغيرت أحوال الجيش الانكشاري، فرغم هيمنته على الشؤون الداخلية والخارجية للإيالة، فإن عدد الجنود تناقص بعد تراجع عملية التجنيد، يضاف إلى ذلك التركية البشرية لهؤلاء المجندين الذين كان معظمهم من اللصوص والمطاردين من العدالة، أو من الفقراء والمتشردين، وهكذا أهمل هؤلاء امتيازاتهم السياسية التي تحصلوا عليها سابقا، وركزوا اهتمامهم على مطالب مادية محضة وخاصة الزيادة في الأجور والعطايا، فعملوا على تغيير الدايات إما بالقتل أو العزل، وانحطت أخلاقهم وتغيرت تصرفاتهم تجاه مسؤوليهم والسكان[117].

مع مطلع القرن الثامن عشر دخل الجيش الانكشاري عهدا جديدا، ميزته تراجع قدراته القتالية بعدما انهكته الحروب المتواصلة، كما أن طباعه ومعاملته للرعية أصبحت تتسم بالعنف، مما ولد تنافرا بين الطرفين، وهكذا يبدأ عهد الانحطاط الذي تواصل إلى غاية مجيء الحملة الفرنسية عام 1830. وتشكل هذه المرحلة بكل مظاهرها موضوع بحثنا هذا.

هوامش المدخل

1. المدني، أحمد توفيق، ***حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)***، الطبعة الثانية. المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 93.

2. بوعزيز، يحيى، ***علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830***. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 10.

3. كان على رأس هذه الإمارة عند مجيء العثمانيين أحمد بن القاضي، الذي سيرد ذكر دوره في دعم الأخوين عروج وخير الدين لاحقا في هذا المدخل.

4. جوليان، شارل أندري، ***تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى 1830*** (تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة)، الجزء الثاني، الطبعة الثانية الدار التونسية للنشر، تونس، 1983 ، ص 322.

5. Braudel, Fernand : ***La méditerranée et le monde méditerranien à l'époque de phillipe II***, 2ème édition, tome II. librairie Armond colin, Paris, 1966. p19.

6. أنظر: المدني، أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 80.

Yamilé, Bouabba : ***Les turcs au Maghreb central du 16ème au 19ème siècle***. SNED, Alger, 1972, p8.

7. د.فارس، محمد خير، ***تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي***، الطبعة الأولى مطابع ألف باء، الأديب، . دمشق، 1969، ص 16.

8. جون، ب. وولف، ***الجزائر وأوربا 1500-1830*** (ترجمة وتعليق سعد الله أبو القاسم)،

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 25.

9. Sir Godfrey, fisher. ***Légende barbaresque, guerre, commerce et piraterie en Afrique du nord de 1415-1830*** (traduit et annoté par Farida Hellal). O.P.U, Alger, 1991, p68.

10. Léon, l'africain. ***Description de l'Afrique et des choses mémorable qui y sont contenues*** (traduction de Jean Temporal), tome I, livre 4ème . Paris, 1830, p 612.

11. Ibid, tome II, livre 5ème, p 04.

12. يسميها البكري " أسطفلة ". عن المدني، أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 127.

13. سبنسر، وليم، ***الجزائر في عهد رياس البحر*** (ترجمة وتعليق زبادية عبد القادر)، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ، ص 28.

14. Léon, l'Africain. Op.cit, tome I, livre 4ème, p 622. وأيضا

15. أنظر: جوليان، شارل أندري، المرجع السابق، ص 324.

Braudel, Fernand . op.cit, p 181.

16. د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 21.

17. مجهول، ***غزوات عروج وخير الدين*** (تصحيح وتعليق نور الدين، عبد القادر). المطبعة الثعالبية

والمكتبة الأدبية، الجزائر ، 1934 ، ص 06.

18. حول حياة الاخوة بارباروس راجع: مجهول، ***غزوات عروج وخير الدين*** ... وراجع أيضا:

ابن القاسم، محمد بن أحمد، ***سيرة المجاهد خير الدين***، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2603.

19. نور الدين، عبد القادر، *صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي*. كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1965، ص 43.

20. كان من نتائج هذه المعركة فقدان عروج لذراعه بسبب طلقة نارية:
عن: د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 24.

21. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، *تاريخ الجزائر العام*، الجزء الثالث، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 38.

22. بوعزيز، يحيى، المرجع السابق، ص 35.

23. كان عمره عند موته 62 سنة، أنظر:

Haedo (Fray Diego de). « Histoire des rois d'Alger » traduit et annotée par H.D de Grammont ***R.A*** 24-25, p 52.

24. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، المرجع السابق، ص 40.

25. أنظر: د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 25.

Watbled, Ernest. «Etablissement de la domination turque en Algérie ». ***R.A***, Tome 17 (1873), p 295.

26. Watbled, Ernest. Op.cit, p 295.

27. الجديري، محمد "الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، (تحقيق سليم بابا عمر). *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، العدد الثالث يوليو 1976، ص 04.

28. Haedo : « Histoire des rois d'Alger », p 53.

29. مجهول، **غزوات** ...، ص 27.

30. Haedo, « histoire des rois d'Alger », p 53.

31. الجديري، محمد، المصدر السابق، ص 4.

32. إبن أشنهو، عبد الحميد بن أبي زيان، ***دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر***. الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص 68.

33. إبن أشنهو، نفس المرجع، ص 69.

34. سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص 31.

35. المدني، أحمد توفيق، ***حرب الثلاثمائة*** سنة ...، ص 37.

36. E.cat، ***Histoire de l'Algérie***, Tunisie, Maroc avant 1830, Tome I. collection Adolph Joudon, Alger, 1889, p 240.

37. Watbled, Ernest « Etablissement ... », p 354.

38. Haedo, « histoire des rois d'Alger », pp 56-57.

39. Laugier de Tassy، Histoire du royaume d'Alger (1724). Edition Loysel, Paris, 1992, p 22.

40. لا بد من الإشارة إلى انتشار ظاهرة الزواج السياسي بين الحكام العثمانيين والسكان خلال المراحل المختلفة للعهد العثماني بالجزائر، حول الموضوع راجع الفصل الثاني.

41. يذكر السيد توفيق المدني أن هذه الوثيقة موجودة في أرشيف سيمانكس أنظر: المدني، أحمد توفيق، ***حرب الثلاثمائة*** سنة، ص 175.

42. نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 49، و

Haedo « Histoire des rois ... », p 57.

43. شوفالييه، كورين، *الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر* (**1541-1510**)، (ترجمة حمادنة جمال). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 29.

44. أنظر: Léon, l'Africain. Op.cit, Tome I, livre 4ème, p 624.

45. Haedo, « Histoire des rois d'Alger », p 60.

46. د. فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 26.

47. الجديري، محمد، *الزهرة النائرة* ...، ص 7.

48. سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص 34.

49. Gaïd, Mouloud. « ***L'Algérie sous les turcs*** », 2ème édition. édition Mimouni, Alger, 1991, p 41.

50. المدني، أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 189.

51. نفس المرجع، ص 190.

52. Grammont (H.D de). « Quel est le lieu de la mort d'Aroudj barbarousse ? » ***RA*** (1878). pp 388-399 et 432.

53. نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 51.

54. Berbrugger (A). « La mort du fondateur de la régence d'Alger ». ***R.A*** n°4 (1859), p 2.

55. أنظر: Haedo, « Histoire des rois d'Alger », p117.

Essaie sur l'histoire politique de la régence d'Alger et de son territoire depuis 1505 jusqu'aux temps actuel .(manuscrit à la bibliothèque nationale d'Alger sous le n° 3178).

56. بقي الإسبان يتذكرون عروج لمدة طويلة من الزمن ويفتخرون بنصرهم عليه، ففي عام 1796 نظمت قصيدة تخلد الحدث ثم جسد ذلك في مسرحية عام 1827. أنظر:

Sir Godfrey, fisher. op. cit, p 87.

57. Haedo, « Histoire des rois d'Alger », p 69.

58. Ibid, p 116.

59. Laugier de Tassy. Op.cit, p 33.

60. Gaïd Mouloud : L'Algérie sous les turcs … , p 41.

61. Grammont (H.D de) : ***Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)***. Ernest LEROUX, éditeur, Paris, 1887, p 29.

62. Haedo : « Histoire des rois d'Alger », p118.

63. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، المرجع السابق، ص 46.

64. مجهول، غزوات …، ص 34.

65. شوفالييه، كورين، المرجع السابق، ص 41.

66. مجهول غزوات …، ص 41.

67. نفس المرجع والصفحة. وكذلك الجديري، محمد، المصدر السابق، ص 13.

68. Watbled, Ernest. « Etablissement … », p 362.

69. مجهول، الغزوات …، ص 42.

70. سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص 35.

71. حول النص الكامل للرسالة راجع: التميمي، عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغربية*، العدد 06،، تونس، جويلية 1976ص 119-120.

72. الجديري، محمد، **الزهرة...**، ص 14.

73. Nahoum, Weissman. ***Les janissaires*** (Etude sur l'organisation militaire des ottoman). Librairie orient, Paris, 1964, p59.

74. أنظر:التميمي، عبد الجليل، المرجع السابق، ص 116. وكذلك: حماش، خليفة إبراهيم، ***العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830***، (رسالة ماجستير). كلية الآداب، القاهرة، 1988، ، ص 30.

75. ورد في نهاية الرسالة تاريخ (أوائل ذي القعدة 925 هـ) ويقدره التميمي ما بين 26 أكتوبر و3 نوفمبر 1519. لمزيد من التوضيح راجع: التميمي، نفس المرجع، ص 119.

76. مجهول، **غزوات...**، ص 42.

77. الجديري، محمد، المصدر السابق، ص 14.

78. المدني، أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 198.

79. الجيلالي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 46.

80. Haedo, « Histoire des Rois d'Alger », p118.

81. Grammont (H.D de). Op.cit,p 30.

82. التميمي، عبد الجليل، المرجع السابق، ص 118.

83. يظهر أن العلاقات بين الإخوة باربروس والسلطان العثماني تعود إلى عام 1514م، فبعد تحرير جيجل من الجنويين، قام عروج بإرسال جزء من الغنائم إلى السلطان كمظهر للإعتراف به. حول الفكرة أنظر:

Gaid mouloud. Op.cit, p36.

Sir Godfrey, Fisher. op.cit, p 69.

84. شوفالييه، كورين، المرجع السابق، ص40.

85. Watbled (E).op.cit,p 362.

86. شكري، محمد نقلا من حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 30.

87. جون، ب.وولف، المرجع السابق، ص ص 32-33.

88. المدني، أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 211.

89. لمزيد من التفاصيل راجع:

Haedo, « histoire des rois d'Alger », pp 124-125.

جون، ب.وولف، المرجع السابق، ص41.

90. Nahoum, Weissman. Op.cit, p 59.

91. Godfrey, fisher. Op.cit, p 95.

92. الأعلاج: مصطلح يعني أولئك المسيحيين الذين أسلموا وأصبحوا أفرادا في القوات الجزائرية البرية والبحرية.

93. Grammont (H.D de). ***Histoire ...***, p47.

94. شوفالييه، كورين، المرجع السابق، ص 77.

95. أنظر:

- Kaddache, Mahfoud. ***L'Algérie durant la période ottomane***. : O.P.U, Alger, 1998, p 25.

- Devoulx (A). « la première révolte des janissaires à Alger » ***R.A***, T15, (1871), pp1-6.

96. راجع:د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 60.

شاكر، مصطفى: ***موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها***، الجزء الثالث، الطبعة الأولى. دار العلم للملايين، بيروت، 1993 ، ص 1807.

97. شاكر، مصطفى، نفس المرجع، ص 1808.

98. Boyer (P). « Introduction à une histoire intérieure de la régence d'Alger ».***R.H***, n° 478 (1966), p 304.

99. هؤلاء الأغوات هم: خليل آغا (1659-1660)–رمضان آغا (1660-1661)–شعبان آغا (1661-1665) – علي آغا (1665-1671).

100. Bouabba, Yamilé.op.cit, p 39.

وكلمة "داي" هي لقب عثماني يعني الخال، ثم تطور وأصبح يدل على حاكم الإيالة.

101.د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 70.

102. شاكر، مصطفى، المرجع السابق، ص 1808.

103. Cat (E).op.cit, p 300.

104. Grammont (H.D de). Histoire ... p 227.

105. Ibid, pp 56 –57.

106. جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص70.

107. بوعزيز، يحي، المرجع السابق، ص 19.

108. نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص98.

109. Yamilé, Bouabba. Op.Cit, p 35.

110. بوعزيز، يحي، المرجع السابق، ص ص 17 -18.

111. Grammont (H.D. de). op. cit. p 235.

112 - تشكل هذه المظاهر بداية لفترة جديدة في تاريخ إنكشارية الجزائر وهو ما سنتطرق إليه في الفصول اللاحقة.

الفصل الأول

الجيش الإنكشاري: التنظيم والتدريب 1700 – 1830

أ- نبذة تاريخية

ب- التجنيد.

ج- المعسكرات والثكنات.

د - الجندي الانكشاري.

1. لباسه.
2. سلاحه.

هـ- الرتب في الجيش الانكشاري ونظام الترقية.

و- التنظيم العسكري والخطط الحربية.

ز- القيادات العسكرية ودورها.

ح -الأجور.

1. نقدية.
2. عينية

اقتصر الانخراط في الجيش الانكشاري على المتطوعين الذين تم جلبهم من مختلف مناطق الإمبراطورية العثمانية وخارجها، و لم يستنجد حكام الايالة بالسكان المحليين في الجيش الانكشاري، لتخوفهم من تحولهم إلى قوة قد تهدد الوجود العثماني بالجزائر، تولدت عن هذه الوضعية تقاليد عسكرية تواصلت طيلة العهد العثماني بالجزائر، ومنها إتباع أساليب معينة في التجنيد. وكان الجند بمجرد وصوله يتم توجيهه إلى إحدى ثكنات المدينة، حيث يقدم له لباس عسكري متميز ومجموعة من الأسلحة (بندقية، مسدسين، وسيف)، على أن يُقتطع ثمنها من أجرته (*علوفته*) التي كان يتقاضاها كل شهرين قمريين، والتي تبدأ زهيدة ثم تتزايد مع الأقدمية إلى أن تصل إلى حدها الأقصى، أو ما يسمى بالأجرة المغلقة.

مقابل هذه الامتيازات تمكن الإنكشارية من توفير الأمن داخل الإيالة، بصدهم للهجومات والاعتداءات الخارجية، وقمعهم للانتفاضات المحلية، وذلك بفضل انضباطهم وتنظيمهم المحكم عند دخولهم في المعارك، ولكن هذا لم يمنعهم من الوقوع في أخطاء إستراتيجية كلفتهم هزائما وخسائرا مادية وبشرية خاصة في العهود الأخيرة لما تراجعت قوتهم وقل انضباطهم.

أ- نبذة تاريخية:

شكل الانكشارية أهم فرق الجيش في الإمبراطورية العثمانية، ويرجع ذلك إلى الدور الخطير الذي لعبته الفرقة في بناء الدولة وتوسعها. ولقد زادت أهميتها لما أصبحت تؤثر في سياسة الإمبراطورية، التي ارتبط تاريخها بتاريخ هذا الجيش. فكيف تشكلت هذه الفرقة؟ وما هو التنظيم الذي خضعت له؟

قبل ظهور فرقة الانكشارية، كان الجيش العثماني يتشكل في معظمه من الفرسان الذين يطلق عليهم "*أقينجي*" أي الفرسان الخفاف[1]. وكان هؤلاء ينتمون إلى طبقة الاقطاعيين والأرسطوقراطيين، وذلك حتى يتمكنوا من تسليح أنفسهم والاعتناء بأحصنتهم بمالهم الخاص، لأن الدولة لم تكن تؤمن[2] ذلك. وكان يدعم فرقة الفرسان عدد قليل من المشاة يطلق عليهم "عزاب".

تميز هذا الجيش بعدم الانضباط وقلة التنظيم، حيث كان لا يجمع إلا وقت الحاجة. وبسبب سعي السلاطين إلى تقوية وتوسيع حدود الدولة، تطلب ذلك إنشاء جيش نظامي يمكنه القيام بهذه المهمة، فظهرت في عهد السلطان أورخان (1326 – 1360 م) فرقة من المشاة، والتي كانت تتقاضى مبلغا ماليا مقابل كل حملة تشارك فيها. غير أن هذه الفرقة أصبحت تثير الشغب والفوضى، مما اضطر السلطان إلى حلها[3].

أمام هذا الوضع اقترح الوزير علاء الدين أخو السلطان أورخان، والباشا قرة خليل جندرلي تأسيس فرقة الانكشارية، والتي تشكلت من أبناء المسيحيين الذي أُسروا في الحرب، وبعد اعتناقهم الإسلام يصبحون جنودا في هذه الفرقة[4].

أطلق على جنود هذه الفرقة اسم "يني تشاري" ومعناها الجيش الجديد،[5] وكانت "*الدوشرمة*" هي الطريقة المعتمدة في جمع هؤلاء الصبيان، وهي تعني "إجبار أبناء النصارى على الانخراط قصرا في فرقة الانكشارية وعلى الخدمة في القصور السلطانية"[6]. وكانت عملية الجمع تتم كل خمس سنوات من المناطق المسيحية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية، وخاصة من اليونان، مقدونيا، ألبانيا، الصرب، بلغاريا، البوسنة والهرسك وأرمينيا[7].

وكانت عملية *"الدوشرمة"* تتم بعد إصدار السلطان لفرمان ينص على ذلك، حيث يكلف ضابط في الجيش الانكشاري برتبة *"باياباشي"*، أو من رتبة سامية أخرى بتنفيذ هذا القرار، ويساعده على ذلك جماعة من السائقين "سروجي"[8]، وخلال ذلك يتم جمع أبناء المسيحيين الذي تتراوح أعمارهم ما بين عشر وخمسة عشر سنة، ليختار أقواهم وأصلحهم للخدمة العسكرية، ويكون ذلك بمساعدة شيوخ القرية[9].

كان نظام *"الدوشرمة"* ينص على تجنيد طفل واحد من بين خمسة أطفال، مع إعفاء المتزوجين منهم، وكثيرا ما وجد الآباء في ذلك فرصة لتخليص أبنائهم من التجنيد، فكانوا يبادرون إلى تزويجهم في سن مبكرة، أو يدفعوهم إلى اعتناق الدين الإسلامي لأن هذه العملية تخص المسيحيين دون غيرهم. وفي المقابل وجدت عائلات كانت تسارع إلى تقديم أبنائها، نتيجة ما كان ينتظر هؤلاء من امتيازات ومناصب سامية في المستقبل[10].

رغم ذلك فإن عملية الجمع لم تنجو من المخالفات والإخلال بالقانون، فكثيرا ما لجأ المكلفون بالعملية إلى إعفاء بعض الأطفال مقابل مبالغ من المال، تقدم لهم كرشوة، وفي أحيان أخرى يقومون ببيع عدد من الغلمان الذي جمعوهم إلى النخاسين لحسابهم الخاص. وإلى جانب ذلك فإن كثيرا من الأتراك قاموا بدس أبنائهم في الفرقة طمعا في المستقبل الزاهر الذي ينتظر هؤلاء[11].

بعدما يتم جمع العدد الكافي من الصبيان، يتم توجيههم إلى العاصمة، ومن هناك يتم توزيعهم فيستبقى عدد منهم للعمل في حدائق السلطان والقصور المخصصة لتدريبهم، أما ما تبقى منهم فيسلمون إلى الباشاوات وكبار الموظفين وأصحاب الحرف والأراضي بغرض تربيتهم على مبادئ الإسلام وتعليمهم. وبعد خمس سنوات من ذلك يتم تدريبهم على استعمال السلاح في ثكنات مخصصة لهذا الغرض، أما

الذين نشأوا في قصر السلطان فيشكلون خدمه الخاص، وقد تمكن الكثير منهم من تولي مناصب عليا في الدولة كمنصب الوزارة أوالموظفين السامين[12].

لقد اعتبر الانكشارية جنود السلطان المخلصين، حتى أطلق عليهم "*كابو كولار*" أي عبيد السلطان. وكان عدد كبير منهم يعسكر بعاصمة الخلافة قرب السلطان لحمايته وخدمته بإخلاص، ولهذا تميزوا في عهودهم الأولى بالخضوع والانضباط، كما لم يكن لهم حق الزواج بغرض تخصيص كل حياتهم لخدمة الإمبراطورية، إلا أن هذا القانون ألغي في عهد السلطان سليم الأول (1512- 1520)[13].

وإلى جانب الخضوع المطلق للسلطان، تميز الجنود الانكشارية بتعلقهم بالدين الإسلامي والطرق الصوفية، وبالخصوص الطريقة البكتاشية الكائن مقرها بأماسية، حتى أن جنود هذه الفرقة أطلق عليهم "أبناء الشيخ بكتاش"، لأنه أول من بارك هؤلاء الجنود ودعى لهم بالخير، كما يرجع إليه الفضل في تسميتهم "*يني تشاري*" أو الجيش الجديد[14]. ومن مظاهر تعلق الجيش بهذه الطريقة، أنه كان عند خروجه إلى المعارك يصطحب معه بعض أتباعها، الذي كانوا يرددون أناشيدا تحث على الجهاد، وكان بعضهم الآخر يقيم في التكنات مع الجنود[15].

ولكن مع حلول القرن السادس عشر ميلادي بدأ الفساد والضعف يدب في صفوف هذه الفرقة، بعدما أصبح يُدس فيها غير المسيحين من الأتراك واليهود، كما أن الميزانية المخصصة لجنودها كانت تكلف الدولة نصيبا كبيرا من الميزانية العامة، ففي عام 1517 خصصت الدولة 31 % من ميزانيتها لهذا الجيش ثم ارتفعت إلى 42 % في 1567 [16]. وأمام هذا الوضع اضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن نظام "*الدوشرمة*" وكان ذلك خلال القرن السابع عشر ميلادي.

ب - التجنيد:

يمثل إرسال السلطان سليم الأول لألفين من خيرة الجنود الإنكشارية ثم إتباعهم بأربعة آلاف متطوع، بداية لمرحلة طويلة من عملية تجنيد المتطوعين اعتمدت عليها الجزائر طيلة العهد العثماني، وتعتبر هذه العملية من أهم الأسباب التي أبقت على العلاقات قائمة بين الإيالة والباب العالي رغم ما كان يشوبها من توتر في كثير من الأحيان، ذلك أن الجزائر كانت مضطرة إلى استقدام أعداد من المتطوعين لتدعيم جيشها الذي كان دائم التعرض للاعتداءات الخارجية والاضطرابات الداخلية، خاصة وأن العثمانيين أبعدوا الرعية عن الانخراط في الجيش كما ذكرنا[17].

وأمام الحاجة المستمرة والمتزايدة إلى المتطوعين، كانت إيالة الجزائر تنصب ممثلين عنها في أهم المدن الرئيسية للدولة العثمانية وخاصة مدينة أزمير، أوكلت إليهم مهمة جمع المجندين وإرسالهم إلى الإيالة، وكان يطلق على هؤلاء اسم "*الدائيات*" الذين يرأسهم شخص يدعى "*الباش دائي*"[18]، وهم من إنكشارية الجزائر يقودهم ضابط سامي أو أحد الموظفين السامين للإيالة، وكانت توضع تحت تصرفهم مبالغ مالية يتم جمعها عن طريق غنائم الجهاد البحري أو ممارسة التجارة في موانئ الإمبراطورية العثمانية وسواحل بحر إيجه.

كان هؤلاء الوكلاء يقيمون في خان، وهو عبارة عن مبنى يتكون من اثنين وثلاثين غرفة موجود بمدينة أزمير، وتعود ملكيته للإيالة حيث كان يتم فيه جمع المتطوعين في انتظار نقلهم إلى الجزائر[19]، وتسهر الإيالة على الاعتناء به وترميمه كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وأحيانا أخرى كانت تضطر إلى مضاعفة عدد "*الدائيات*" لتسهيل عملية التجنيد، وقد يكون ذلك بعد طلب يقدمه ممثلها في

أزمير، ففي صفر 1242هـ/ سبتمبر 1826م بعث الحاج خليل أفندي مفتي الجزائر في أزمير رسالة إلى الداي حسين (1818-1830) يطلب منه إرسال ثلاثة عشر دائيا للإشراف على إدارة الخان[20].

لقد كان أي نقص في عدد *"الدائيات"* يعرقل عملية التجنيد وقد يؤخر وصول المتطوعين إلى الجزائر، وكان من أسباب تناقص أعدادهم، عودة هؤلاء إلى الجزائر برفقة ما جمعوه من متطوعين[21]، وأحيانا أخرى يعود إلى تخليهم عن المهمة التي كلفتهم الإيالة للقيام بها، وامتهانهم لنشاطات أخرى كممارسة التجارة، أو رجوع بعضهم إلى أهاليهم، ففي رسالة بعث بها المدعو حسين *"باش دائي"* الجزائر في أزمير إلى الداي حسين بتاريخ أول ربيع الأول 1242هـ/25-26 أكتوبر 1826م يشكو فيها سوء تصرفات "الدائيات" الذين أرسلتهم الإيالة لجمع المتطوعين، إذ يذكر أن بعضهم انتقل إلى موطنه الأصلي، وآخرين لجأوا إلى الراحة، بينما آخرين امتهنوا التجارة، وكتعويض لهم يطلب منه إرسال عشرة *"دائيات"* آخرين[22].

وإلى جانب الوكلاء المقيمين في المدن الساحلية للدولة العثمانية وجزر بحر إيجه، كانت الإيالة ترسل من فترة لأخرى بعثات إلى المنطقة للمساعدة في عملية التجنيد كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وتعطينا الوثائق معلومات قيمة حول هذه البعثات، ومنها البعثة التي انطلقت يوم 20 جمادى الأولى 1215هـ/21-22 سبتمبر 1800م بأمر من الداي مصطفى باشا (1798-1805) وكانت مكونة من إثني عشرة رجلا على رأسهم ضابط برتبة " *بلوكباشي*"، حيث توجهت نحو جزيرة رودس وعادت يوم أول ربيع الأول 1216هـ/28 جويلية 1801م تحمل مائة وسبعة عشر متطوعا جديدا، وبعثة أخرى مكونة من اثنين وعشرين رجلا توجهت نحو أزمير في عام 1215هـ/1800م، وعادت في 17 ربيع الأول 1216هـ/1800م وعلى متنها مائتين وتسعة وسبعين متطوعا[23].

غير أن عملية التجنيد من مدن الأناضول وغيرها من مناطق الدولة العثمانية لم يكن يسمح بها إلا بعد الحصول على تصريح رسمي من السلطان نفسه، والذي كان يصدر فرمانا لهذا الغرض ولهذا كانت المراسيم تستدعي أن يقوم باشا الجزائر بإرسال مبعوث خاص إلى أزمير يحمل معه طلبا، وبمجرد وصوله يقدمه إلى القبطان باشا الذي يحمله بدوره إلى الباب العالي، وكان هذا الطلب يتضمن التماسا إلى السلطان بالسماح لوكلاء الإيالة القيام بعملية التجنيد، وإلى جانب ذلك يرسل معه مبلغا ماليا هاما لنفس الغرض[24]، بعد ذلك يتم التأكد من طرف موظفي الباب العالي من عدم وجود أسباب تمنع الإيالة من القيام بهذه العملية، فإذا انعدمت " يصدر السلطان فرمانا شاهانيا يقضي السماح لأوجاف الجزائر جمع الجنود المتطوعين"[25].

وكان يتم إرسال الفرمان إلى حكام وعلماء وضباط وقضاة الأناضول والمدن الأخرى للسماح وتسهيل مهمة مبعوث الإيالة في تجنيد المتطوعين وفق شروط محددة في الفرمان، إذ كان يمنع على الوكلاء اللجوء إلى الضغط أو الإكراه خلال عملية جمع المتطوعين، والإكتفاء بتجنيد من يرغب في ذلك، كما يمنع عليهم تجنيد الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد. وبعد إتمام العملية يحرر المبعوث تقريرا إلى السلطان يبين فيه عدد الجنود الذين تم تسجيلهم[26].

ولتسهيل عملية التجنيد كانت الإيالة تضطر إلى إرسال مجموعة من الهدايا إلى كبار موظفي الباب العالي، وخاصة إلى القبطان باشا المكلف بالشؤون الجزائرية لدى الحكومة العثمانية ومساعديه في مختلف الرتب[27]، وتعطينا كثير من المصادر والوثائق أنواعا من هذه الهدايا القيمة التي كان يتلقاها كبار الموظفين كمكافأة لهم على المجهودات التي يبذلونها لتسهيل عملية التجنيد، ففي عام 1233هـ/1817م تلقى أميرال البحرية العثمانية خزروف باشا هدية تتكون من: "معطفين حمراوين من الصوف،

مسدسين، ثلاث سبحات من العقيق، ثلاث سبحات أخرى من الأصداف، حزام، ساعة، جلد أسد، جلد نمر، وعبد أسود "، كما تلقى أعوانه كذلك هدايا قيمة، وفي نفس العام تلقى حاكم مدينة أيدين مقابل دوره الفعال في تسهيل عملية التجنيد بمنطقته هدية تتمثل في "ساعة، معطف، جلد أسد، جلد نمر وحزام"[28].

أما عن الطريقة المعتمدة في التجنيد، فقد كان الوكلاء يجوبون المناطق التركية، حيث ينصبون خيمة كبيرة تسمى* *أوطاق*" يتوافد عليها الراغبون في التطوع، وهناك يستمعون إلى الخطب والإغراءات التي تحمسهم على التجند في أوجاق الجزائر، حيث يصف لهم الوكلاء حياة الرفاهية التي تنتظرهم في الإيالة، إلى جانب ما سيتقاضونه من أجور مرتفعة وامتيازات متنوعة، وخاصة الغنائم التي سيحصلون عليها بعد مشاركتهم في الجهاد البحري[29].

بعد ذلك يجمع المتطوعون في انتظار نقلهم إلى الجزائر، وهكذا تقع تكاليف إطعامهم وإلباسهم على عاتق الإيالة، وقد يقوم الوكلاء بتوزيع بعض النقود عليهم للإبقاء على عزمهم وإرادتهم في التجنيد[30]، ويظهر أن هذه الوعود والإغراءات كان فيها كثير من المبالغة، إذ أن هؤلاء المجندين كانوا غالبا ما يصابون بخيبة أمل كبيرة بمجرد وصولهم إلى الجزائر واصطدامهم بالواقع المر، وخاصة في أواخر العهد العثماني نتيجة تدهور الأوضاع العسكرية والاقتصادية للإيالة، مما أضطر الكثير منهم إلى الهروب والرجوع إلى بلادهم[31].

بعد جمع العدد الكافي من المتطوعين يتم نقلهم إلى الجزائر، وكانت الإيالة تعتمد على سفنها الخاصة لهذا الغرض، فقد يصادف ذلك وصول إحدى السفن الجزائرية صدفة إلى موانئ التجنيد، وهذا بعد قيامها بأعمال جهادية في شرقي البحر المتوسط، أو خلال إشتراكها مع الأسطول العثماني في

إحدى المعارك، أو تكون قد وصلت إلى المنطقة لممارسة التجارة مع إحدى المدن الساحلية للأناصول، وهكذا أثناء رجوعها تحمل معها هؤلاء المتطوعين[32].

أما إذا انعدمت السفن الجزائرية فإن الوكلاء يضطرون إلى إستئجار إحدى السفن الأجنبية أوربية أو إسلامية لنقل هؤلاء المجندين، ففي محرم 1234هـ/أكتوبر 1818م قام أحد اليونانيين ويدعى "ديميتري ميكريان DIMITRI MICRIANT " بنقل سبعة وعشرين متطوعا جديدا إلى الجزائر، ثم مائة وسبعة وعشرين متطوعا آخرا في ربيع الثاني 1235هـ/جانفي 1820م، وخمسة وثمانين متطوعا في ذي القعدة 1236هـ/1821م. كما قامت سفن هولندية بنقل أربعين متطوعا جديدا في 1241هـ/1826م، ونفس العمل قامت به سفن إنجليزية والتي نقلت ستة وثلاثين متطوعا في 1239هـ/1823م وثلاثة وتسعين متطوعا في 1241هـ/1826م، ثم مائة وخمسة وخمسين متطوعا وسبعة وتسعين آخرا في 1242هـ/1827م[33].

إلا أن عملية نقل المجندين لم تكن تتم دون مشاكل في كل الأحيان، فكثيرا ما اعترضتها عراقيل نتج عنها تأخر في وصولهم إلى الجزائر، ومن هذه العراقيل إنعدام السفن خاصة خلال فصل الشتاء مع تدهور الأحوال الجوية واضطراب حالة البحر، وهذا ما يجبر الوكلاء على الانتظار إلى غاية تحسن الظروف الجوية، وقد يدوم ذلك لفترة طويلة تصل إلى حلول فصل الربيع، وتذكر إحدى رسائل " الباش دائي " في أزمير بعثها إلى داي الجزائر " أنه جمع مائة وخمسين متطوعا، ولكنه بقي ينتظر لعدة شهور وصول سفينة مناسبة لاستئجارها، ولكن دون جدوى بسبب فصل الشتاء، حتى عثر على سفينة فرنسية إستئجرها بقيمة أربعة آلاف دورو"[34].

وإلى جانب العامل الطبيعي فإن بعض السفن الأوربية كانت ترفض نقل المجندين إلى الإيالة دون ترخيص من حكوماتها، ففي عام 1241هـ/1826م رفض صاحب سفينة فرنسية نقل مائة وخمسة عشر متطوعا جديدا إلى الجزائر لأنه لم يتحصل على الإذن بذلك، وقد بقي هؤلاء المجندون ينتظرون لمدة خمسة عشرة أو ستة عشرة يوما في الميناء[35].

وبمجرد وصول المتطوعين إلى مدينة الجزائر، كانوا يوجهون مباشرة إلى "*المقاطعة جي*"حيث يتم تسجيلهم في دفتر أجور الإنكشارية بأخذ المعلومات المتعلقة بكل مجند: اسمه، اسم أبيه، تاريخ وصوله، موطنه الأصلي، مهنته السابقة، الثكنة التي سيوجه إليها، "*الأوداباشي*" الذي سيعمل تحت أوامره، رتبته، وحدته، قيمة أجرته[36]. وكثيرا ما كان هؤلاء المجندون يحضرون معهم إلى الداي مجموعة من الهدايا كتعبير عن احترامهم وتقديرهم له، فقد أحضرت جماعة من المتطوعين الجدد هدية تتضمن ما يلي:

"صندوقا من الأشياء المتنوعة، صندوقا من الحلوى، صندوقا من الزبيب الغليظ وصندوقين من راحة الحلقوم "[37]. أما أول إمتياز يحصل عليه "*اليولداش*" الجديد هو تقاضيه لأول أجرة إذا وصل مع موعد دفع الأجور، وإلا فعليه أن ينتظر مرور شهرين قمريين كاملين[38].

وإلى جانب الطرق الرسمية التي اعتمدتها الإيالة في تجنيد المتطوعين عن طريق "*الدائيات*" والمبعوثين أو عن طريق الدولة العثمانية نفسها، وجدت طرق أخرى بعيدة عن مراقبة الباب العالي، ومنها طريقة الجنود أنفسهم، فكان هؤلاء بعد حصولهم على عطلتهم يعودون إلى موطنهم الأصلي لزيارة أهاليهم، حيث يخبروهم عن حياة الترف والنعيم التي يعيشونها في إيالة الجزائر، وبعد انتهاء العطلة يصطحب كل واحد منهم عددا من الأفراد حيث يقدمهم إلى "*المقاطعة جي*" ليسجلهم في دفتر الأجور، "ثم يتكفل بتدريبهم عسكريا، ويعلمهم واجباتهم الجديدة، ويخبرهم بإمكانية الارتقاء إلى أعلى

المراتب والحصول على راحة بعد تعب الحرب، ويعيشوا في رفاهية في أوساط المجتمع وأن يتزوجوا بالأهالي"[39]، وكمثال على ذلك في 23 شوال 1241هـ/بداية ماي 1826م بعث عبيدي خوجة *"علمدار باشا"* الجزائر في أزمير رسالة إلى الخزناجي، يخبره فيها بأن جنديا جزائريا يدعى كرد أغلي استقر في إسطنبول لمدة ثلاث سنوات بعدما غرقت السفينة التي كان على متنها، وخلال هذه المدة استطاع أن يجمع عددا من المتطوعين، وجاء بهم إلى أزمير ليتوجه معهم إلى الإيالة، ولهذا فهو يرجو من الباشا العفو على الجندي المذكور[40].

ومن الطرق الأخرى المعتمدة في التجنيد، مجيء هؤلاء المتطوعين على متن سفن التجار والحجاج أو يرسلهم الوكلاء الموجودين في أرجاء الدولة العثمانية[41]، والبعض الآخر كان يصل إلى الإيالة برا خاصة من تونس وطرابلس، ومن منطقة جبل طارق، وليفورنة، وربما كان هؤلاء من المسيحيين الذين أسلموا أو الأسرى العثمانيين الذين أطلق سراحهم[42].

ونظرا للأهمية التي أولتها إيالة الجزائر لعملية التجنيد، فإنها لم تغامر أبدا بقطع علاقاتها مع الباب العالي رغم ما كان يعترضها من توتر وخلاف، كما أن الباب العالي كثيرا ما لجأ إلى استعمال ورقة التجنيد كوسيلة للضغط على الإيالة في كثير من المواقف، ففي عام 1798م بعد إحتلال " نابليون بونابرت NAPOLEON BONAPARTE " لمصر، أصدر السلطان أمرا إلى الداي مصطفى باشا (1798-1805) لإعلان الحرب على فرنسا إلى جانب " القبض على كل الفرنسيين وسجنهم، كما طالبهم بالإستيلاء على سفنهم أو إغراقها، وسجن قنصل فرنسا في الجزائر"[43]، ولكن القنصل لم يسجن إلا شهرا واحدا وأطلق سراحه، مما سبب غضب السلطان الذي رفض هدايا الداي التي بعثها إليه عن طريق وفد يتكون من المدعو يوسف خوجة ومصطفى خوجة، كما أصدر قرارا يمنع سفن إيالات كل

من تونس، طرابلس والجزائر من الدخول إلى الموانئ التركية، وفي حالة قيامهم بذلك يتم القبض على رؤسائها وسجنهم، كما أصبح الباب العالي يهدد بطرد وكلاء الجزائر المكلفين بالتجنيد من أزمير وإيقاف وصول المجندين إلى الإيالة[44]، ونتيجة هذا الضغط اضطر الداي بعد كثير من التردد إلى إعلان الحرب على فرنسا في يوم 19 ديسمبر 1798[45].

وقد تكررت عمليات المنع مرات عديدة ولأسباب مختلفة، ففي عام 1239هـ/1823م أصدر السلطان محمود الثاني فرمانا يمنع الجزائريين تجنيد المتطوعين من أزمير وضواحيها وهذا بعد إعتداء الأسطول الجزائري على بعض رعايا الدولة العثمانية في بحر إيجه، وقد إشترط الفرمان لرفع المنع أن يتخلى الجزائريون عن تلك الأعمال ويطلبوا العفو رسميا من السلطان، ولأن الجزائر كانت بحاجة ماسة إلى متطوعين فقد اضطر الداي عمر باشا (1815-1817) إلى تقديم اعتذاره للسلطان، وهو نفس العمل الذي قام به الداي حسين (1818-1830)، وقد قبل السلطان إعتذارهما وأرسل فرمانا إلى مناطق التجنيد يتضمن رفع حالة المنع[46].

كما أن المنع قد يقع أثناء عملية نقل المجندين بسبب حدث طارئ، فخلال عام 1817م أرسل الباب العالي عددا كبيرا من المجندين الذين تم جمعهم، ولكنه أوقف إرسال ما تبقى منهم بعدما اعتدى الأسطول الجزائري على بعض التجار من رعايا الدولة العثمانية، كما استولى على سفينة تابعة لدولة "صاروونيا" المتحالفة مع بريطانيا، وهذا ما جعل السفير البريطاني لدى الباب العالي يسارع إلى تقديم شكوى إلى السلطان، وبعد وفاة الداي علي باشا (1817-1818) تعهد خليفته الداي حسين (1818-1830) بعدم الاعتداء على السفن الصديقة للدولة العثمانية وعلى سفن التجار الرعايا، كما

أرجع كل ما سلب من " صاروونيا " وبالتالي تم حل الخلاف وأصدر السلطان فرمانا يسمح بإرسال ما تبقى من الجنود المتطوعين[47].

وهكذا فإن منع وصول المجندين لم يكن إلا ظرفيا (أي وسيلة ضغط فقط)، إذ سرعان ما يزول قرار المنع بمجرد تراجع الإيالة وخضوعها لقرارات الباب العالي، وبالتالي يصدر فرمانا يلغي القرار ويسمح بمواصلة عملية التجنيد، هذه العملية التي أبقت الحبل موصولا بين الطرفين والذي لم ينقطع إلا في عام 1830 مع مجيء الاحتلال الفرنسي.

أما فيما يخص الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء المتطوعون، فإن معظم المصادر تجمع على أنهم ينتمون إلى أدنى الفئات الاجتماعية، فإذا كان أولئك الذين جندوا في العهود الأولى قد تميزوا بخصال حميدة كالشجاعة والتقوى وكان مجيئهم إلى الجزائر بدافع الجهاد ضد الإسبان، فإن الأوضاع تغيرت منذ مطلع القرن الثامن عشر، حيث توسع التجنيد ليشمل حتى أولئك البؤساء الذين يتسكعون في الموانئ أو المجرمين الفارين من العدالة[48]، وبالتالي أصبحت الإيالة " توفر ملجأ آمنا للمغامرين، المجرمين والمرتدين القادمين من كل جهات البحر المتوسط من مضيق جبل طارق حتى أواسط آسيا "[49].

وإلى جانب ما كانت توفره الإيالة من ملجأ، فقد كان يتوافد إليها الفقراء أملا في الحصول على الثروة، وتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الانخراط في الإنكشارية أو المشاركة في الجهاد البحري، ويذكر " هايدو " أن " هؤلاء كانوا من المتسولين واللصوص الذين قدموا إلى الجزائر من أجل كسب الثروة، لدرجة أنه شبههم بالإسبان الذين هاجروا إلى الهند لنفس الغرض[50].

وكثيرا ما كانت السلطات العثمانية تستغل فرصة التجنيد لتتخلص من كل المجرمين والمشوشين الذين هددوا الأمن العام، فخلال عام 1219هـ/1804م وجه تقرير إلى السلطان سليم الثالث يطلب

منه السماح بإرسال حوالي خمسين شخصا من الأشقياء أحدثوا الفوضى في قرية " درمنجلير " بجزيرة قبرص إلى الجزائر على متن سفينة جزائرية حضرت لتجنيد المتطوعين، ويرى التقرير أن الهدف من ذلك هو دفعهم إلى الجهاد في سبيل الله وإصلاح أنفسهم وتهذيبها[51].

ومما زاد في خطورة الوضع وساهم في تدهور الفرقة العسكرية الإنكشارية لإيالة الجزائر، هو اتساع عملية التجنيد لتشمل حتى المسيحيين واليهود الذين أصبحوا يتظاهرون بالإسلام ليتمكنوا من الانخراط في الجيش الجزائري والاستفادة من الامتيازات التي يوفرها لهم هذا الانخراط، ويذكر السيد حمدان خوجة " أنه بعدما كان يقتصر على تجنيد النزهاء والصلحاء، فإن المكلفين بالتجنيد كانوا يفتحون أبواب المليشيا لأي كان، حتى لأناس كانوا قد أدينوا أو أدينوا، وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانيون ختنوا أنفسهم "[52].

نتج عن كل ذلك أن أصبح هؤلاء المجندون مصدر للفوضى والاضطرابات، ومعول هدم عوض البناء والدفاع عن الإيالة، فتخلوا عن مهامهم العسكرية وأصبحوا يثيرون القلاقل وتدخلوا في شؤون الحكم بتعيين الباشاوات أو عزلهم، كما انصب اهتمامهم على جمع الأموال واضطهاد السكان مما سينتج عنه رد فعل عنيف من طرف هؤلاء عن طريق سلسلة من الثورات الشعبية في أواخر عهد الإيالة[53].

كما أن عملية التجنيد في أواخر العهد العثماني أصبحت تشكل عبئا ثقيلا على ميزانية الإيالة، حيث كانت تصرف أموالا طائلة سواء من خلال الاعتناء بخان أزمير وترميمه أو دفع أجور موظفيه إلى جانب مصاريف الاعتناء بالمتطوعين واكتراء السفن لنقلهم إلى الإيالة الجزائرية، وكمثال كلف نقل تسعمائة وثلاثة وثلاثين مجندا تم إرسالهم إلى الجزائر على متن سبع سفن خزينة الإيالة 249 240 قروش[54]، وإلى جانب كل هذا كانت الجزائر مضطرة إلى تقديم الهدايا الثمينة لموظفي الباب العالي حتى

بسهلوا ويساهموا في عملية التجنيد، ولقد كان من الممكن تغطية هذه النفقات عن طريق غنائم الجهاد البحري خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي[55]، ولكن مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي تناقصت مداخيل الخزينة مع تراجع دور الجهاد البحري، فأصبح المكلفون بالتجنيد يتطلعون إلى ما يرسله الداي من أموال وتضاف إليها الأموال التي كانوا يحصلون عليها من بيع الحبوب في المدن التي كان يتم فيها التجنيد وبعدما تحضرها السفن الجزائرية[56].

ج). المعسكرات والثكنات:

ليس من الهين دراسة الأوضاع السكنية للانكشارية في بداية العهود الأولى للإيالة، حيث أنه لم ترد أي معلومات حول الموضوع في المصادر المتقدمة كالغزوات مثلا، وأولى المعلومات ذكرها "هايدو" في "طوبوغرافيته" أثناء القرن السابع عشر الميلادي عندما أخبرنا بوجود خمس ثكنات كبيرة يسكن كل واحدة منها ما بين أربعمائة وخمسمائة رجل موزعين على عدد من الغرف، إلى جانب ثكنتين صغيرتين يسكن كل واحدة ما بين مائتين وثلاثمائة رجل[57].

بمجرد وصول "*اليولداش*" الجديد وتسجيل معلوماته من طرف "*المقاطعة جي*" فإنه كان يوجه إلى إحدى الثكنات الموجودة في مدينة الجزائر، وكانت هذه الأخيرة تحمل عدة تسميات، فأطلق عليها اسم"*أوده لر*" (أي الحجرات أو البيوت)[58]، كما أطلق عليها اسم "قشلة "[59]. أما الجنود المقيمون فيها فقد اشترط فيهم أن يكونوا عزابا، وفي هذه الحالة فقط يسمح لهم بالسكن في إحدى الثكنات مجانا، أما إذا كانوا متزوجين فيضطرون إلى الإقامة في مساكن خاصة بالمدينة لرعاية شؤون أسرهم، ويعتبر هذا العمل امتيازا تمنحه الدولة لغير المتزوجين.

وباعتبار هذه الثكنات أماكنا يقيم فيها قادة الجيش، فإنها كانت غاية في الجمال والإتقان، إذ تجسدت فيها كل مظاهر الأبهة المتمثلة في الزخارف الرائعة والرخام الغالي الثمن. إضافة إلى النقوش المكتوبة بإتقان، ولهذا فلقد أعجب بها كثير من الأوربيين الذين زاروا الجزائر في فترات مختلفة، وقارنوها بتلك الثكنات المتواضعة التي تقيم فيها جيوشهم بأوربا[60].

كانت كل ثكنة مكونة من طابق أرضي وآخر علوي، وبكل طابق توجد مجموعة من الغرف (*أو الأودات*) لكل واحدة رقم واسم يميزها، وتتوسط كل ثكنة ساحة واسعة في وسطها نافورة ماء يستعملها[61] الجنود للنظافة والوضوء، وحسب "كاثكارت" فقد وجد في كل ثكنة مسجد وإمام يؤدي الصلاة بالجنود في أوقات معلومة[62].

كانت هذه الثكنات غاية في النظافة، حيث كان يسهر على ذلك عبيد مسيحيون معينون من طرف البايلك تتمثل مهمتهم في القيام بالغسيل، التنظيف والكنس، ويذكر "باردي V. DE PARADIS" في القرن الثامن عشر ميلادي أن حياة هؤلاء العبيد كانت أحسن حالا من العبيد الآخرين[63]، وقد دفع ذلك بالكثير منهم إلى دفع الأموال كرشوة للعمل في الثكنات، ويخبرنا "دارندا D'ARANDA" الذي عمل كأسير في إحداها خلال القرن السابع عشر الميلادي على تلك المعاملة الحسنة التي كان يعامل بها كواحد من الجنود أو كصديق[64].

أما الغرف فكانت مزينة بشكل رائع، وفي معظم الأحيان كانت كل حجرة تضم غرفة ملحقة بها تستعمل كمطبخ به كل لوازم الطهي، وخاصة القدر الذي يعتبر رمز الأوجاق وكان قلبه يعني ثورة الجند وبداية الاضطرابات[65]، وبكل "*أودة*" يقيم عدد من الجنود "*اليولداش*" يحمل اسم "أوجاق"[66]. وقد نجد في الغرفة الواحدة أكثر من أوجاق واحد[67]، كما أنه وجدت في بعض الثكنات غرفة خاصة أو

رئيسية "*باش أوده*" التي ربما كانت إقامات لضباط في الجيش، ومن أمثلة ذلك هناك الأوجاق رقم 203 بثكنة علي باشا، والأوجاق رقم 277 بثكنة باب عزون[68].

كما كان لكل غرفة اسم تعرف به لدى الجنود، وقد يكون اسما لرئيسها "*الأوداباشي*" الذي يقع على عاتقه حفظ النظام والانضباط داخل الغرفة، وأحيانا أخرى يكون اسما لقائد أوجاق تميز بالبطولة والإقدام فبقي اسمه خالدا، وقد يكون اسما لولي صالح أو رجل تقي، مع الملاحظة أنه يمكن لغرفتين أن يكون لهما نفس الاسم بشرط وجودهما في ثكنتين مختلفتين[69].

وقد فرضت على الجنود المقيمين في هذه الثكنات قوانين صارمة، من ذلك مثلا أنه كان يمنع على الجنود الصغار في السن الذين لم تنمو لحاهم بعد (أي المرد) من الخروج إلى المدينة ما عدا يوم الخميس، حيث يسمح لهم بذلك تحت مراقبة الحرس، ولكن بمجرد ما تنمو لحاهم فإنهم يعفون من ذلك[70]، وإلى جانب هذا فإن كل جندي كان مضطرا إلى الالتحاق بثكنته قبل المغرب، حيث تغلق الأبواب عند ذلك التوقيت ولا تفتح إلا في الصباح الموالي، ويذكر الأسير " كاثكارت " أن سبب ذلك هو منع وقوع الانقلابات والاضطرابات التي غالبا ما تحدث ليلا[71]، وهنا لا بد من الإشارة أن كل المؤامرات ضد الحكام كان يخطط لها داخل الثكنات، ومن هنا تبدأ الفوضى والتمرد، وتعتبر ثكنة باب عزون (اللبانخية) التي يسكنها عدد كبير من الجنود العزاب الأكثر اضطرابا وإثارة للفوضى، إذ أن معظم ثورات الجند كانت تنطلق منها[72].

ولكن رغم ذلك فلقد تمتعت كل ثكنة بحرمة خاصة، إذ علقت على أبوابها سلاسل، بحيث أن كل محكوم عليه أو مرتكب لجريمة مهما كان نوعها يلجأ إليها لينجو من العقاب، وهذا مهما كان أصله سواء تركيا، أهليا، مسيحيا أو يهوديا[73]، وكمثال على ذلك أن الجندي المدعو يحيى الذي اغتال

اليهودي بوشناق في 28 جوان 1805 لجأ مباشرة بعد العملية إلى إحدى ثكنات المدينة وهناك وجد الحماية من طرف رفاقه الجنود[74].

مما لا بد من الإشارة إليه في هذا المجال أن كثيرا من الغرف قد تمتعت بمدخول خاص بها، إذ تخبرنا الوثائق أن أشخاصا أوقفوا كثيرا من ممتلكاتهم للإنفاق على الجنود وصيانة الثكنات والأبراج والحصون، وساهم الفائض من هذه الأموال في بناء ثكنات جديدة[75]، وفي كثير من الأحيان كانت عملية الوقف تتم من طرف أحد الجنود على رفاقه في نفس الأوجاق، فهناك وثيقة تخبرنا بأن المسمى حسن بن السيد حسين الذي كان يعمل وكيلا للخرج في الأوجاق رقم 138 بثكنة باب عزون قام في أواخر ذي الحجة 1200 هـ/ أكتوبر 1765 م بوقف بعض ممتلكاته على أوجاقه[76]، وفي أواسط جمادى الأولى 1213هـ/أكتوبر 1798م أوقف جندي يدعى محمد التريكي بن محمد دكانا كان يملكه على أوجاقه رقم 208 المقيم بالغرفة المسماة بيت العين بثكنة أوسطى موسى مع اشتراط توزيع مداخيله بشكل عادل بين الجنود[77]، كما أن الداي عمر باشا (1815-1817) قام في أواخر رجب 1230هـ/ جويلية 1815م بوقف دكان يملكه على أوجاقه رقم 232 بثكنة الدروج، وقد ورد في وثيقة الوقف ما يلي:

"السيد عمر باشا – حلسة حانوت (دكان) الكائن بسوق المقايسة الثانية أوقفه على أهل أوجاقه الذي قرره (رقمه) 232 القاطنين بدار الإنكشارية الدروج بالبيت المعروفة ببيت بابا حسن الثانية على يمين الداخل من باب دار الإنكشارية المذكورة، ينضاف ذلك لسائر الأوقاف الموقوفة على أهل الأوجاق المذكور، وتصرف ذلك في مصالحهم مع التبدية بإصلاح ما تستدام به منفعة الحبس المذكور بما لذلك من منتفع"[78].

إلا أن عملية الوقف لم تقتصر على الدكاكين والبيوت، بل تعدته إلى أمور أخرى، ففي أواسط شوال 1131هـ/أوت 1719م قام الداي محمد باشا (1718-1724) بوقف أرض كانت ملكا له على جنود أوجاقه سابقا والذي يحمل رقم 324 والمسمى أوجاق " داغ دوران" والموجود بثكنة الخراطين، وكان الغرض من ذلك الوقف استعمال تلك الأرض كمقبرة لجنود أوجاقه المذكور، وقد ورد في وثيقة الوقف ما يلي: " ... أنه حبس ووقف لله تعالى بنية سنية على أسر الإخلاص والتقوى مبينة جميع المقبرة المذكورة على أهل أوجاقه الذي هو أوجاق ثلاثمائة وأربعة وعشرون المعروف بأوجاق داغ دوران بدار الخراطين على يسار الداخل لها، ينتفع أهل الأوجاق المذكور بدفن أمواتهم بها بغير منع ولا حد منهم رفيعا كان أو وضيعا بما لذلك من حد وحق داخلا وخارجا تحبيسا قائما ومؤبدا ووقفا دائما ..."[79].

وكثيرا ما كان جنود الأوجاق يغيرون من النشاط العادي لبعض الأوقاف بهدف زيادة مداخيلهم، وكمثال على ذلك أن مجموعة من جنود إحدى الأوجاق المقيمة بثكنة الإنكشارية القديمة (إسكي)، قاموا في أواخر صفر 1197هـ/جانفي 1783م بتغيير وظيفة البيت الموقوف إلى دكان لمهنة الحلاقة، وكانت تلك البيت قد أوقفها عليهم أحد الجنود ويدعى إسحاق يولداش بن أحمد في أوائل صفر 1192هـ/ فبراير 1778م، وقد ورد في الوثيقة القضائية ذكر الآلات التي تم تدعيم الدكان بها وتتمثل في ثلاث مرايا، أربعة أمقاص، حجر لتحديد الموسى، آنية لتسخين الماء، حجر كبير مستدير للرحي، أربعون موسى مع صندوق صغير[80].

ومن الملاحظ أن ظاهرة الوقف على الجنود والثكنات تزايدت مع مرور الأيام، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره من نماذج لوثائق الوقف، فإن سجلات البايلك تقدم لنا إضافات وتوضيحات قيمة حول

الموضوع، فهي تحدد لنا نوعية الوقف، مكان تواجده والقيمة المالية التي تجنى منه، وتخبرنا إحدى هذه الوثائق أن الباي محمد الكبير فاتح وهران والباي بوكابوس، أوقف كل واحد منهما بستانا عند باب الجزيرة، وكانت قيمة عائدات بستان الأول ثلاثون دينارا، والثاني مائة ريال بوجو، وإلى جانب ذلك تم تحبيس الكثير من المقاهي لنفس الغرض مثل القهوة المسماة قهوة الجزارين التي كان كرائها يدر خمسين ريال بوجو[81].

أما فيما يخص أعداد الثكنات بمدينة الجزائر فاختلف في تحديدها من مصدر لآخر حسب الفترات، ففي عهد "هايدو" – كما سبق ذكره – كان يوجد بالمدينة خمس ثكنات كبيرة وثكنتان صغيرتان، أما " بارادي " فقد حددها عام 1788م ما بين سبع وثماني ثكنات[82]، ويذكر "كاثكارت " في عام 1785م أن عددها كان ست ثكنات[83]، أما "دوفو DEVOULX" و" باربروجر" فيحددانها في دراستهما حول ثكنات الإنكشارية بسبع ثكنات[84]، إلا أن أهم دراسة تمت حول الموضوع هي تلك التي قام بها"دوني DENY" في عام 1920م واعتمد فيها على دفاتر أجور الإنكشارية، ثم نشرها بالمجلة الإفريقية، وفيها حدد عددها بثماني ثكنات[85]. وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نبينها على الشكل التالي:

1. **ثكنة المكررين:** لقد وقع خلط في أصل تسميتها، فحسب " باربروجر " فإن أصلها *"ماكرون"، ويرجع ذلك حسبه إلى أن هذه الثكنة كانت مأهولة بجنود أتراك كبار في السن يعيشون على أكل الماكرون[86]، ولكن "دوني Deny" يرى أن هذه التسمية خاطئة وأن الصواب هو " المقرئين أو المكررين"[87]. ويظهر أن التسمية الثانية هي الأقرب إلى الصواب، حيث وجد قرب هذه الثكنة مسجد بناه الداي عبدي باشا (1724-1732)، وكان في عادة الجنود ترتيل القرآن الكريم فيه خلال المواسم الدينية وخاصة شهر رمضان ومنها جاء اسم المقرئين أو المكررين.

أما عبد القادر نور الدين فيرى أن تسمية " المقرئين " ترجع إلى وقوع هذه الثكنة في حي يسكنه الموظفون وأهل العلم، وفيما بعد حرف اسمها ليصبح ماقرون[88].

يرى "دوفو" أن البيلرباي علج علي (1568-1569) هو الذي بنى هذه الثكنة، واستند في رأيه على وثيقة تعود إلى شهر شوال 1011هـ/14-23 مارس 1603م[89].

وكانت هذه الثكنة تقع في الطريق التي تحمل نفس الاسم، وبها سبعة وعشرون غرفة يسكنها 899 رجلا يشكلون 48 أوجاقا[90].

2. **ثكنة باب عزون:** أهم الثكنات لكبر مساحتها وكثرة جنودها، حسب " باربروجر "فلقد حولت عند بداية الاحتلال الفرنسي إلى مستشفى عسكري ثم مدرسة مع مكتبة ومتحف المدينة ثم أصبحت ثانوية[91].

حسب "دوفو " فإن بناءها يعود إلى عهد البيلرباي محمد بن مصطفى 955هـ/1548م ويستند في ذلك على قطعة أثرية تحمل العبارة التالية[92]:

ياحسن بنيت لعسكر مرابطين صابرين حنفا

قد شيدت بفضة ومرمر شيدها محمد بن مصطفى

أطلق على هذه الثكنة أسماء منها " الكبيرة " و" اللبانجية " (أي شاربو الحليب)، وحسب "باربروجر"، فإن هذه التسمية الأخيرة سببها أن الجنود كان من عادتهم شرب الحليب خلال موسم الجفاف، حيث يتوجهون إلى منطقة عين الربط لشراءه من بني ميزاب الذين كانوا يمتهنون تجارته[93].

تكمن أهمية هذه الثكنة في أن كثيرا من الجنود الذين سكنوها أصبحوا فيما بعد موظفين كبارا في حكومة الإيالة، ومنهم من وصل إلى منصب الداي، وقد قاموا بعد ذلك بترميم " *الأودات* " التي كانوا يقيمون فيها وزينوها بالزخارف، وبقيت تلك النقوش تخلد أعمالهم، ويذكر "باربروجر" إحدى هذه النقوش حيث جاء فيها:

يا فاتح الأبواب، افتح لنا أبواب الخير

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

فاعل الخير، حسين خزندار

عام 1172هـ/1758م

كما يذكر نماذجا أخرى لهذه النقوش، ومنها نقش يعود إلى 1211هـ/1796م، وجاء فيه أن حسن باشا (1791-1798) قام بترميم الغرفة التي سكنها من قبل كحندي، ونقش مؤرخ في عام 1242هـ/1826م يذكر أن إبراهيم آغا العرب صهر الداي حسين (1818-1830) رمم الغرفة التي أقام فيها سابقا[94].

كانت هذه الثكنة تتكون من 28 غرفة يسكن بها 1661 رجلا يشكلون 63 أوجاقا[95].

3 و4. ثكنة صالح باشا وعلي باشا: يطلق عليهما "دوفو" و"باربروجر" اسم "ثكنة الخراطين" لوجودهما في حي تكثر فيه دكاكين الخراطة[96]، وكانت مكونة من بنايتين ملتصقتين ببعضهما البعض يطلق عليهما للتمييز " اليمين واليسار "، أما السكان فكانوا يطلقون عليها من باب السخرية

"يهودية يزاكاتي " أي حماة اليهود[97]، وكان للثكنتان ساحتان واسعتان محاطتان بالأشجار، أما من ناحية الشرق فكانتا تطلان على سور ميناء الجزائر[98].

حسب "دوفو" فإن أقدم تاريخ عثر عليه في الوثائق المتعلقة بهذه الثكنة يعود إلى عام 1008 هـ/1599-1600م[99]، ولكن الاعتقاد السائد هو أنها أقدم ثكنات المدينة إذ يرجع بناؤها إلى عهد خير الدين باشا[100].

كانت هذه الثكنة تقع في طريق باب عزون، وبعد الاحتلال الفرنسي حولت إلى مستشفى مدني ثم إلى خزينة عمومية ثم مركز بريدي. ويميز "دوبي " بين الثكنتين[101]:

- ثكنة صالح باشا: بها 26 غرفة يسكنها 1266 رجلا يشكلون 60 أوجاقا.

- ثكنة علي باشا: بها 24 غرفة يسكنها 1516 رجلا يشكلون 55 أوجاقا.

5.ثكنة أوسطى موسى: تقع بنهج البحرية، بعد الاحتلال أطلق عليها ثكنة "لومارسييه " MERCIER DE LE نسبة إلى عقيد الهندسة في الجيش الفرنسي، أما سابقا فقد سميت بثكنة الأوسطى موسى نسبة إلى المهندس المعماري موسى الأندلسي الذي كلف ببناء شبكة المياه في الحامة، وقد أقام في هذه الثكنة لفترة من الزمن[102]، كما سميت " باب الجزيرة " لقربها من باب البحر.

أقدم تاريخ ورد حول هذه الثكنة يعود إلى عام 1085هـ/1674-1675م، وكان يوجد به 31 غرفة يقيم فيها 1833 رجلا موزعين على 72 أوجاقا[103].

6. ثكنة باب بالي: تقع بالقرب من ثكنة أوسطى موسى مقابلة لها تقريبا، وكانت لها عدة تسميات منها ثكنة " القناصل " في عام 1830 لأنها كانت مواجهة لشارع القناصل، وأطلق عليها السكان اسم

"ثكنة الدروج " لأن الوصول إليها كان يتطلب صعود الدروج، كما سميت " بالدوامي " لمجاورتها لحي يحمل نفس الاسم[104]، أما في الوثائق الرسمية فيطلق عليها اسم " دار الإنجشارية القريبة من باب الجهاد بالدرج " أو " دار الإنجشارية المعروفة بالدروج قرب باب الجزيرة "[105].

تعتبر أصغر ثكنات المدينة، إذ وجدت بها 15 غرفة فقط يسكن بها 602 رجلا موزعين على 27 أوجاقا[106].

7 و8 ثكنة " إسكي" (القديمة) وثكنة "يني" (الجديدة): تقعان في شارع ميدي، وهما متلاصقتان مع بعضهما البعض.

أ- الثكنة القديمة " إسكي": تقع في الأعلى ولهذا كان يطلق عليها أحيانا " الفوقانية "، أما جنودها فكان يطلق عليهم " دايلارن " (أي الناس الطيبون) إذ علقت على أبوابها سلاسل إذا أمسك بها أحد المذنبين أو المجرمين وصاح بعبارة " شرع الله يا سلطان " فإنه ينجو من العقاب[107].

ب- الثكنة الجديدة (يني): تقع أسفل الثكنة القديمة ولهذا أطلق عليها "السفلانية أو التحتانية"، وأطلق على جنودها " رماة الرصاص الفضي "، وذلك لأنهم كانوا كثيرا ما يتدربون على الرمي في رحبة أو سوق الفحم، وقد تميزوا بالدقة في التسديد[108].

يرجع "مارسيه " MERCIER" بناء الثكنة الأولى إلى عام 1627م أما الثانية فإلى عام 1637م، وقد أنجزها المهندس المعماري موسى الأندلسي وابنه علي[109].

يذكر "دوني " أنه كان بالثكنة القديمة "إسكي" 31 غرفة يسكنها 1089 رجلا يشكلون 60 أوجاقا، أما الثكنة الجديدة "يني" فكان بها 19 غرفة يسكنها 856 رجلا يشكلون 38 أوجاقا[110].

وإذا كان معظم الجنود يقيمون في الثكنات، فإن المصادر المعاصرة تطلعنا أن بعضهم كان يلجأ إلى الإقامة في بنايات ضخمة وذات طراز معماري فاخر، وهي ملك لخواص حيث يقوم اليولداش الذي يملك أموالا إضافية بكراء غرفة بها، ويظهر أنها كانت مكانا لاستراحتهم وقضاء بعض الأوقات للهو والمجون[111].

د). الجندي الإنكشاري:

1. لباسه:

يصعب إعطاء وصف دقيق حول اللباس الجزائري عموما ولباس الإنكشارية خصوصا أثناء العهد العثماني، وتبقى الوثائق، ملاحظات الرحالة والقناصلة والرسومات أهم المصادر حول الموضوع، إلا أن أهم مصدر على الإطلاق أثناء القرن السابع عشر هو " طبوغرافية هايدو ".

ماذا كان يلبس الإنكشارية الأوائل عند وصولهم إلى إيالة الجزائر؟ إن المعلومات قليلة ولكن "هايدو" يعطينا وصفا لهؤلاء القادمين الجدد، فيذكر أنهم كانوا يلبسون لباسا تركيا استقدموه معهم من الأناضول، وهذا على عكس زملائهم القدماء الذين كانوا يرتدون لباسا ذا طابع جزائري، وحسبه فإن لباس الوافدين الجدد" كان يتشكل من سروال طويل يهبط حتى أسفل القدمين، وهو عريض نوعا ما وذو ألوان زاهية، وكانوا يضعون قميصا ذا أكمام طويلة، وعلى رؤوسهم قبعة مصنوعة من الصوف، ويلبسون أحذية من الجلد في أسفل نعلها توجد أربع صفائح من الحديد"[112].

أما عن الكيفية التي يحصل بها *"اليولداش"* على لباسه العسكري، فإنه بعد تسجيل اسمه وكل معلوماته من طرف *"المقاطعة جي"* في دفتر الأجور، تقدم له بدلة عسكرية رسمية كانت تتكون في عهد " فونتور دي بارادي" من قميص من القماش الخشن، صدرية، عمامة خضراء، سروال من القطن،

معطف من الملف الخشن، شاشية أو قبعة جزائرية، حزام أحمر، زوج من الأحذية، غطاء من الصوف ضيق وقصير، وكان هذا كل ما يتلقاه من البايلك وللأبد.[113] ويظهر من هذا الوصف أن اللباس كان عاديا وبسيطا، رخيص الثمن إذ لا يكلف خزينة البايلك مصاريفا طائلة، ولقد بلغ من البساطة لدرجة "أنه لم يكن يختلف كثيرا عن تلك الملابس التي كانت تعطى للرقيق"[114].

إن وصفا دقيقا لهيئة "*اليولداش*" يبين أن ملابسه الداخلية كانت تتشكل من قميص واسع مصنوع من القماش ذي أكمام عريضة، وكان يترك متدليا فوق السروال، وفوق هذا القميص يضع الجندي صدرية بدون أكمام حيث لا توجد بها إلا ثلاثة ثقوب، اثنين لإدخال اليدين وثالث لإدخال الرأس، أما السروال فكان عريضا يضيق في الأسفل ويتم شده بحزام من الحرير[115].

وفوق هذا اللباس كان الإنكشارية يضعون القفطان، وهو لباس ذو أكمام قصيرة مفتوح من الأمام ومزين بالأقفال، وكان طويلا بالنسبة للجنود حيث يصل إلى أسفل القدمين، أما الطباخون * "الأشجي" فكانوا يضعون قفطانا قصيرا يكون في معظم الأحيان وسخا بسبب طبيعة أعمالهم. وقد اعتبر القفطان مفخرة الجنود بحيث كان لباسا رئيسيا طيلة القرن السابع عشر ومعظم القرن الثامن عشر الميلاديين، وهذا رغم الصعوبات التي قد يسببها لهم أثناء التدريبات والحروب، مما كان يضطرهم إلى وضع أسفله داخل الحزام[116].

والملاحظ أن الإنكشارية تأثروا كثيرا باللباس الجزائري، وخاصة البرنوس البربري الذي عوض شيئا فشيئا القفطان حتى أنهم أصبحوا يعتمدون عليه أثناء خروجهم في الحملات، وخاصة خلال فصل الشتاء للاتقاء من المطر[117].

أما غطاء الرأس، فإنه كان في البداية بالنسبة لكل الإنكشارية يتمثل في القلنسوة التي كانت تصنع من الصوف الأبيض وتتدلى منها نحو الخلف قطعة من القماش "وهي رمز للبركة التي منحها الشيخ بكداش لمريديه بترك كمه معلقا على ظهورهم"[118]، وفي المراحل المتأخرة تم استبدالها بالشاشية والتي كان يتم لفها بعمامة من الحرير يطلق عليها الشدة، وكانت العمامة توضع من طرف كل الجنود الإنكشارية وحتى الداي نفسه، ويظهر أنها كانت تقليدا موريسكيا[119].

أما أحذية الإنكشارية فكانت مصنوعة من الجلد، وفي أسفلها يضعون صفائحا من الحديد، ويظهر أنهم جلبوا هذه العادة من الأناضول، ويعطينا "هايدو "احتمالين لهذا العمل، الأول يتمثل في طبيعة المناخ الذي يسود الأناضول والذي يتميز بالبرودة الشديدة وكثرة الجليد وسقوط الثلوج حيث تحميهم من الانزلاق، أما الاحتمال الثاني هو محاولة "*اليولداش*" الاحتفاظ بالحذاء لأطول مدة ممكنة[120]، ويظهر أن الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الصواب إذ أن البايلك لم يكن يقدم للجندي إلا حذاء واحدا طوال مدة الخدمة العسكرية، ولهذا كان يسعى للحفاظ عليه حتى لا يضطر إلى شراء آخر بماله الخاص. أما الجنود الذين كانوا يوجهون إلى إحدى المحلات فإن البايلك كان يقدم لكل واحد منهم نعلين لإصلاح حذائه إذا تعرض لأي عطب[121].

رغم تشابه ألبسة كل الجنود عموما، فإنه وجدت بعض الاختلافات حددتها طبيعة العمل والرتب[122]، وقد شهد القرن الثامن عشر الميلادي إدخال عدة تغييرات وتعديلات على لباس الإنكشارية، ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين هامين، أولهما تأثر الأتراك باللباس الجزائري فاستلهموا منه الكثير، والعامل الثاني خارجي يتمثل في تأثر الأتراك بالألبسة الأوربية ومنطقة الأناضول، وقد ساهم البحارة الجزائريون بقسط كبير في استقدام أنواع كثيرة ومتنوعة من الألبسة إلى الجزائر.[123]

ما يستخلص مما سبق ذكره أن الدافع الرئيسي من كل هذه التغييرات كان محاولة جعل لباس *"اليولداش"* ملائما لطبيعة عمله العسكري بتخفيفه وجعله مساعدا على الحركة خاصة أثناء التدريبات والمعارك عكس ما كان عليه في العهود الأولى.

2- سلاحه:

إلى جانب اللباس كانت الإيالة توفر لكل مجند جديد السلاح، وهنا لا بد من الإشارة أن الألفين إنكشاري الذين أرسلهم السلطان سليم الأول قد زودهم بالبنادق ذات الفتيل (أو الموسكيه) إلى جانب المدافع وأسلحة أخرى[124].

ومع تزايد عدد المجندين وتوطيد أركان الإيالة أصبح البايلك يوفر لكل مجند مجموعة متنوعة من الأسلحة، إلا أنها لم تكن تمنح له مجانا بل تُقرض له على أن يرجعها بعد ذلك أو يقتطع ثمنها من "علوفته" (أي أجرته)[125]، وكان هذا السلاح يتكون من بندقية، يطقان (أي سيف)، مسدسين، نصف رطل من الرصاص يذيبه ويقولبه بنفسه ليصنع منه الكرات وقليل من البارود[126]، وهذا كل ما يتلقاه من البايلك، أما إذا رغب أحد "اليولداش" في الحصول على أسلحة أكثر جودة فإنه يرجع تلك التي أعطيت له ويشتري غيرها بماله الخاص[127].

لقد كان الإنكشاري بوضعه لهذه الأسلحة فوق بدلته العسكرية يأخذ شكلا متميزا دفع قنصل أمريكا " وليم شالر W. SHALER " عام 1824 إلى تشبيهه " بالصبي في ورق اللعب"، ويؤكد ذلك بقوله: " يحمل الإنكشاري مسدسا أو مسدسين كبيرين في حزامه، ويتحانا وخنجرا على صدره، وبندقية طويلة على كتفه، وجميع هذه الأسلحة مزينة بالزخاريف الشرقية الرفيعة بقدر ما تسمح به ظروفه الخاصة وثروته[128].

أما أنواع الأسلحة التي كان يتوفر عليها الجيش الجزائري آنذاك فهي:

1- 1- الأسلحة النارية (البنادق والمسدسات): وتشمل البنادق ذات الفتيل "الموسكيه" وكانت تستعمل خاصة في العمل الميداني خارج مدينة الجزائر، أما صنعها فكان يتم محليا خاصة في قلعة بني راشد أين حافظت عائلات أندلسية وتركية على هذه الحرفة منذ القرن السادس عشر الميلادي، هذا إلى جانب قلعة بني عباس وقرى فليسة حيث كانت تصنع بنادق ذات نوعية جيدة مرصعة بالفضة والمرجان[129].

واعتبرت البنادق من أهم وسائل تفوق الإنكشارية على الأهالي خاصة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، في حين أن السكان لم يكن يتوفر لديهم إلا الرماح والعصي[130]، إلا أنه رغم قوة هذه البنادق فإن فعاليتها كانت محدودة إذ كان إطلاق النار يتم ببطء، وحتى يؤمن الجنود إطلاق نار متواصل كان عليهم أن ينتظموا في خمسة أو ستة صفوف متتابعة تتناوب على إطلاق النار، كما أن مداها كان محدودا لا يتعدى مائة متر فقط[131].

1-2- الأسلحة البيضاء (السيوف والخناجر): كان لها دور كبير في حسم المعركة عند الالتحام بالعدو، وهي تشمل " اليطفان " وهو نوع من السيوف الحادة من الجهتين ليكون أكثر فاعلية أثناء المعارك ويضاف إليها الخناجر.

1-3- المدافع: إلى جانب الأسلحة الفردية كانت فرق الجيش تتوفر على المدافع، وقد عانى العثمانيون كثيرا في بداية عهدهم بالجزائر من قلة الأسلحة الثقيلة وخاصة المدافع المستعملة في معارك البر[132]، وكل ما توفر لديهم مدافع صغيرة لم تشكل أي خطر على الحصون الإسبانية في بجاية،

وعجزت على دك قلعة البانيون التي لم تكن تبعد عن مدينة الجزائر إلا بثلاثمائة متر في وقت كانت مدافع الإسبان يصل مداها إلى أعالي المدينة[133].

وقد ركزت الإيالة فيما بعد على تصنيع أنواع جديدة من المدافع خاصة مع تزايد الهجومات الأوربية، مما اضطرها إلى تحصين المدينة وتدعيمها بمدافع لسد هذه الغارات، وكانت ذات أنواع وأشكال مختلفة فمنها المخصصة لرمي الحجارة، وأخرى لرمي القنابل المحرقة، وثالثة لرمي الكور.[134] وقد وجد معمل لصناعة المدافع خارج باب الواد أطلق عليه دار النحاس، وفي 1775 كان يشرف عليه مهندس فرنسي يدعى " فرانسوا ديبون FRANCOIS DUPON"، ولكنه توقف عن الإنتاج في عام 1808م بسبب تدهور عتاده وموت المهندس الإسباني الذي كان يشرف على تسييره[135].

رافق صناعة البارود إزدهار في إنتاج القنابل بنفس المصنع، إلى جانب ورشات أخرى كعلقة بني راشد، جرجرة، القرقور، الحضنة، الزيبان وميزاب وكانت ذات أشكال وأحجام مختلفة مرتبطة بنوع المدافع. وإلى جانب ذلك تطورت صناعة البارود المستعمل في البنادق والمسدسات والمدافع[136]، وقد اشتهرت مناطق بإنتاجه منها منطقة جرجرة وبعض القبائل الصحراوية التي كانت تحضره من ملح البارود الذي تستخرجه من منجم لقساين غرب بسكرة[137].

ورغم التطور الذي عرفته صناعة الأسلحة في إيالة الجزائر وغنائم الجهاد البحري وهدايا الدول الأوربية، فيظهر أن هذه الكمية من الأسلحة لم تكن تسد حاجة الجيش الجزائري في صد الأخطار الخارجية والانتفاضات الداخلية خاصة في أواخر العهد العثماني، مما اضطر حكام الجزائر إلى طلب الدعم من سلطات الباب العالي، ففي عام 1206هـ/1791م قبل السلطان سليم الثالث طلب الداي

حسن (1791-1798) في منح الجزائر مدافعا وأسلحة أخرى مهمة[138] وقد كرر نفس الداي طلبه مرة أخرى في سنة 1210هـ/1795م وقُبِل كذلك[139].

غير أنه يصعب الحصول على معلومات دقيقة حول كمية العتاد الذي كانت تملكه الإيالة خاصة في أواخر العهد العثماني، فحسب الجاسوس الفرنسي " بوتان BOUTIN " في 1808 فإن الجزائريين كانوا يصرحون بأنهم يملكون في مدينة الجزائر حوالي ألف وسبعمائة وثلاثة وأربعين (1743) قطعة من المدفعية، ولكنه يرى بأن هذا العدد مبالغ فيه وقد دفعته ملاحظاته إلى تحديد عددها الحقيقي بستمائة وثمانية وخمسين قطعة من المدفعية منها خمسمائة وتسعة وعشرين موجهة نحو البحر[140].

وكان التعليم على استعمال السلاح بالنسبة للمجند الجديد يعد من الأولويات، وفي كثير من الأحيان فإن معظمهم لم يجد صعوبة في تعلم ذلك لأنه لم يكن سرا عليه[141]. وقد حددت أماكن معينة يتعلم فيها "*اليولداش*" فنون الرماية، حيث وجدت في مدينة الجزائر منطقتين مخصصتين لهذا الغرض، الأولى هي منطقة صاف-صاف الواقعة خارج باب الواد على ضفاف واد قريش، يتدرب فيها جنود الثكنات الموجودة في شمال الجزائر، أما جنود الثكنات الموجودة في جنوبها فكانوا يتدربون في منطقة التراب الأحمر بباب عزون[142]، وقد اشتهر جنود الثكنة السفلى أو الجديدة "بني" بدقة الرماية والتصويب كما سبق ذكره.

هـ- رتب الجيش الإنكشارية ونظام الترقية:

على غرار الجيوش النظامية في تلك الفترة، فإن فرقة الإنكشارية في الجزائر خضعت إلى ترتيب تصاعدي خاص، إذ كانت الترقية تتم بطريقة آلية، فكل جندي جديد "*بني يولداش*" كان بإمكانه أن

يصبح يوما ما "آغا الهلالين" والتي كانت أعلى رتبة في الجيش، هذا إن لم يعترضه حادث أو يقتل في إحدى المعارك.

كان المعيار الذي يستند عليه في الترقية يتمثل في الأقدمية، إذ يذكر حمدان خوجة " أن الجندي لا يتقدم في الرتبة إلا بعد مرور المدة التي يحددها القانون، فليصبح الجندي قائدا لا بد أن يقضي على الأقل عامين أو ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية، ويجب عليه أن يمر بجميع الدرجات[143]. غير أن الترقيات لم تستند دائما على مبدأ الأقدمية، حيث تطلعنا المصادر على وجود جنود تمت ترقيتهم بالاختيار أو الانتخاب، وكمثال على ذلك فلقد تم ترقية الجندي محمد بن سليمان إلى رتبة "*أوداباشي*" للأوجاق رقم 347 رغم أنه كان يحتل المرتبة السابعة في أوجاقه الأصلي والذي يحمل رقم 21، كما عين محمد بن محمد من الأوجاق 28 وكيل خرج للأوجاق رقم 115[144]. ومما يلاحظ أن الجنود الذين تم ترقيتهم بالإختيار يوجهون إلى أوجاق غير أوجاقهم، وهذا ربما لتجنب حسد وغضب أصدقائهم الأقدم منهم، والذين يرون أنهم أصحاب الحق في ذلك المنصب.

أما لتولي منصب سامي في الجيش، فإن الشخص المرشح كان عليه أن تتوفر فيه مجموعة من المواصفات والمعايير، نذكر منها أنه يجب عليه أن يكون جنديا جيدا، شجاعا، عادلا، يحسن التصرف مع الجنود الذين ربما قد يثورون لأتفه الأسباب، كما يشترط فيه السلامة من كل عاهة جسدية، فقد لا تتم ترقيته بمجرد أنه أعرج أو يتلعثم في الكلام، وكمثال على ذلك تم في سنة 1578م انتخاب الثاني في قائمة المترشحين لأن المرشح الأول كان يجد صعوبة كبيرة في النطق[145].

كما أن كثيرا من الضباط توقفت ترقيتهم لأن أزواجهم كانت لهم حياة خاصة مشكوك فيها، ويذكر " هايدو " أنه في عام 1579م انتخب الإنكشارية الخامس في قائمة المترشحين لمنصب الآغا، لأن الأربعة الأوائل كانت لهم حياة زوجية مشكوك فيها[146].

غير أن عملية التعيين في المناصب السامية لم تكن تتم في ظروف عادية في معظم الأحيان، إذ لم تكن تخلو من المؤامرات والمساومات بين الجنود، لما كانت هذه المناصب تدره على أصحابها من أموال وامتيازات متنوعة، فقد يعين شخص ما في رتبة عليا ليعزل بعد مدة قصيرة جدا، ويذكر "قراماي GRAMAYE " في القرن السابع عشر ميلادي أنه تم إستبدال إثنين من الأغوات في يوم واحد، وأربع أغوات في خمسة عشر يوما[147].

لقد كان من نتائج هذا الصراع أن تم التخلي عن الشروط السابقة الذكر، وأصبحت المناصب السامية في الجيش تعطى لغير أصحابها، وكمثال على ذلك فإن الداي بابا علي (1754-1766) عين سكيرا في منصب آغا النوبة خلفا للآغا السابق الذي قتل من طرف قبيلة فليسة، ويذكر " بارادي " " أنه جيء به ثملا من إحدى الحانات، لدرجة أنه لم يستطع الوقوف على رجليه "، وحسبه دائما فلقد بقي في منصبه لمدة عامين ونصف حتى أمر الداي بابا محمد (1766-1791) بخنقه بدلس حيث دفن هناك دون إقامة المراسيم الجنائزية عليه، وقد عثر لديه على مبالغ طائلة قدرت بخمسة وثلاثين ألف سكة[148].

ملاحظة هامة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن ترقية الجنود إلى مناصب أعلى قد تتوقف في منتصف الطريق، إذ لا يكتب لكل جندي أن يصل إلى أعلى الرتب، فلقد وجد جنود تقاعدوا في مرحلة صف الضباط، وكمثال فإن أحد الجنود أحيل على التقاعد وكان لا يزال في رتبة وكيل

الخرج[149]، وربما يرجع السبب في ذلك إلى التقدم في السن خاصة وأن بعض الجنود تطوعوا في إنكشارية الجزائر وهم في سن متقدمة، وسبب آخر يرجع إلى إصابة بعضهم في المعارك مما يجعلهم غير قادرين على القيام بواجبهم العسكري فتتم إحالتهم على التقاعد.

كما تذكر المصادر أن كثيرا من "*الأوداباشيات*" (أي رؤساء الغرف) تقاعدوا بمجرد تحصلهم على رتبة ضابط " بلوكباشي "، ومن ذلك مثلا أنه تمت ترقية "*الأوداباشي*" إبراهيم بن يوسف من الأوجاق رقم 18 إلى رتبة ضابط مع إرفاق ذلك بعبارة متقاعد (قاعد)، ونفس الشيء بالنسبة "*للأوداباشي*" عصمان بن خليل من الأوجاق رقم 368 ومحمد بن قاسم من الأوجاق رقم 164، ومصطفى بن مصطفى من الأوجاق رقم 368[150].

أما أهم الرتب بالنسبة لجيش المشاة فهي على الشكل التالي:

1 .**يني يولداش**: أي الجندي الجديد، هو ذلك الجندي البسيط الذي تم تجنيده منذ فترة قصيرة، وهي أدنى رتبة في الجيش.

2.**أصكي يولداش**: الجندي القدم الذي عمل لمدة ثلاث سنوات، وكان أقدم ثمانية جنود من كل فرقة يصبحون "صولاشي" وهم بمثابة الحرس الخاص للداي حيث يرافقونه أينما حل ويجلسون معه إلى مائدة الطعام، ويمكن تمييزهم بوضعهم لقبعة من النحاس وحملهم لسيوف طويلة مطرزة إلى جانب البنادق، أما الأربعة الأوائل منهم فيطلق عليهم إسم " *بيكلر* "[151].

3. وكيل الخرج آلتي: مع الأقدمية يصبح"*اليولداش*" وكيل خرج مساعد"*آلتي*".

4. وكيل الخرج: مهمته توفير المؤونة اللازمة للجنود، فهو بمثابة المقتصد حاليا، وكان لكل أوجاق في مدينة الجزائر وكيل خرج أو أكثر وذلك حسب أهمية الأوجاق وعدد جنوده، أما في المحلات فكان لكل خيمة مكونة من عشرين رجلا وكيل خرج، والذي إلى جانب مهمته في توفير الغذاء والماء للجنود، كان يشرف على نقل المتاع والخيام[152].

5 .الأوداباشي (أي رئيس الفرقة أو الأوجاق): كان عددهم أربعمائة وأربعة وعشرين أوداباشيا على حسب عدد أوجاق الجزائر، تكمن مهمتهم في السهر على حفظ النظام والانضباط داخل الغرفة "*الأودة*"، ومعاقبة كل "*يولداش*" يثير الفوضى داخلها[153].

6 .البلوكباشي (رئيس الفرقة): "فبلوك " تعني فرقة أو جماعة باللغة العثمانية. كانت الترقية من صف "*الأوداباشي*" إلى صف "*البلوكباشي*" تتم بسرعة، فمن 1158هـ إلى 1162هـ/1742-1746م تم ترقية 157 أوداباشيا إلى رتبة بلوكباشي، وذلك من مجموع أربعمائة وأربع وعشرين بلوكباشيا[154]. وبعدما يقود إحدى النوبات لمدة سنة كاملة برتبة " آغا النوبة " يصبح بالأقدمية "*آياباشيا*"[155].

7.الأياباشي أو الياياباشي: يتشكلون من أقدم أربعة وعشرين بلوكباشيا، والذين قادوا إحدى النوبات لمدة عام كامل، إنهم يعتبرون من الضباط السامين في الإيالة، فمنهم يختار "*الكاهية*" الذي يصبح بعد شهرين "آغا الهلالين"، كما يعين منهم السفراء والمبعوثون إلى الخارج، ويحملون أوامر الداي إلى كل جهات الإيالة، ويختار واحد منهم ليشرف على مراقبة السفن عند مغادرتها للميناء للتأكد من عدم وجود أي أسير يحاول الهرب على متنها، وإلى جانب ذلك فهم يعتبرون مستشارين للديوان ويرافقون الداي خلال صلاة الجمعة، ويجلسون وراءه في المراسيم[156].

8 .الكاهية أو الباشي بلوك باشي: بعد انقضاء شهرين قمريين يرقى أقدم "*الأياباشين*" إلى رتبة "*باشي بلوك باشي*"، وتتمثل مهمته في أنه يترأس اجتماعات الضباط في مقره الكائن قرب قصر الداي. وكان "*الكاهية*" مضطرا إلى البقاء في مقره طالما بقي الداي في قصره، إذ يمكن في أي وقت أن يرسل إليه قضايا بسيطة ليدرسها لكثرة إنشغالاته أو لأسباب أخرى.

وكان من أهم وظائفه السهر على حفظ الأمن والنظام في المدينة والاستماع إلى شكاوي الناس[157].

9.آغا الإنكشارية: بعد مرور شهرين قمريين، يرتقي "*الباشي بلوك باشي*" أو "*الكاهية*" إلى رتبة " آغا الهلالين " وهي أعلى رتبة في الجيش حيث تأتي في المرتبة الثانية بعد الداي، وباعتبار أن الآغا لا يبقى في منصبه إلا لمدة شهرين قمريين، فإنه يتداول على هذا المنصب ستة أغوات سنويا، وكما سبق ذكره فإن الأقدمية لم تكن دائما معيارا لتولي هذا المنصب، إذ كان يتم أحيانا عن طريق الانتخاب أو الاختيار المباشر.

ومن الملاحظ أنه منذ إستيلاء الداي علي شاوش (1710-1718) على منصب الباشا في عام 1711، تراجعت أهمية هذا المنصب الذي أصبح منصبا شرفيا يحصل عليه أقدم الجنود كمكافأة لهم على ما قدموه من خدمات.

كان الآغا يقيم في إقامة يطلق عليها " دار السركاجي " حيث يمنع عليه أن يصطحب معه زوجته وأبناءه، كما يضطر إلى عدم الخروج إلا لحضور اجتماعات الديوان أو للإشراف على دفع أجور الجند كل شهرين قمريين وكان ذلك يتم في موكب رسمي خاص يليق بهذا المنصب الشرفي، إذ يركب

حصانه مسبوقا بشاوشان مهمتهما إفساح الطريق له حيث كانا يرددان عبارة " أفسحوا الطريق، فالآغا قادم "، وربما يرجع ذلك إلى ضيق شوارع المدينة.

وفي كل مساء كانت تحضر له مفاتيح أبواب المدينة، كما أنه يقدم تعليماته إلى حراس الأبواب والقلاع والطرق، وإلى جانب ذلك أوكلت له مهمة تنفيذ العقوبات سرا على الأتراك داخل إقامته، ويكون ذلك إما بالضرب أو الإعدام أو دفع غرامة مالية حسب أوامر الداي وخطورة الجريمة.

أما مصاريف الآغا من غذاء وعبيد يسهرون على خدمته، فهي تقع على عاتق خزينة البايلك، فهو يتقاضى أعلى مرتب في الإيالة إذ يقدر بألفي بطاقة شيك دون أن يقوم بأي مهمة حربية في البر أو في البحر[158].

بعد انقضاء المدة المحددة بشهرين قمريين، فإن الآغا ينهي خدمته العسكرية وتتم إحالته على التقاعد بلقب "*معزول آغا*"، وهكذا يعفى من كل المهام، كما يمكنه الإقامة في أي مكان يختاره من الإيالة ويحضر كل شهرين ليتقاضى راتبه، وهو محل احترام من الجميع لما قدمه من أعمال، ويمكنه أن يحضر اجتماعات الديوان العامة ولكن دون إبداء رأيه أو التصويت على القرارات. ونظرا لطول تجربته وخبرته فقد يستدعيه الداي ليستشيره في شؤون الإيالة[159]، وقد يعين من بين الأغوات المتقاعدين رجال لممارسة القضاء في المحاكم[160]، وأحيانا أخرى يمكنهم أن يصبحوا فرسانا في فرقة الصبائحية[161].

أهم ما يستخلص مما سبق أن فرقة الجيش كانت تخضع لتنظيم محكم، إذ يلاحظ أن كل أوجاق أو فرقة من الجنود كان على رأسها ثلاثة مسؤولين برتبة صف الضباط وهم على التوالي:

" *الأوداباشي* " و "*وكيل الخرج*" و"*وكيل الخرج آلتي* " (أي مساعد)، وكان هؤلاء يشرفون على الانضباط وتوفير مستلزمات الجنود من مؤن وغذاء[162].

بعد ذلك يرتقي "*الأوداباشي*" إلى رتبة الضباط، وبالتالي تزداد مسؤولياته، ويزيد معها عدد الجنود الذين يقودهم، على أن مدة الخدمة في كل رتبة تكون عادة ثلاث سنوات تقضى بالتداول[163].

و- التنظيم العسكري والخطط الحربية:

يعتبر التنظيم والتخطيط العسكري المحكم من مميزات الجيوش النظامية القوية آنذاك، وكان الهدف من كل ذلك تحقيق نصر ساحق على العدو. وباعتبار منظمة الإنكشارية فرقة عسكرية نظامية، فإنها ركزت كثيرا على التدريب الجيد لجنودها وعلى التكتيك العسكري الذي يمكنها من إبراز قوتها داخل ساحة المعركة.

قبل التوجه إلى القتال كان الجندي الإنكشاري يخضع إلى تدريب عسكري دوري، الغاية منه المحافظة على روحه القتالية ولياقته البدنية، إلا أن هذا التدريب كثيرا ما انحصر في تعلم الرماية بواسطة الأسلحة النارية.

فحسب كثير من المؤرخين فإن التنظيم العسكري للجيش الجزائري كان غاية في الانضباط إلا أنه سرعان ما تعتريه الفوضى وتنقصه الفعالية عند الالتحام بالعدو[164]، فلقد كانوا عند اقترابهم من أرض المعركة يتقدمون وفق خطة معينة مقسمين إلى وحدات، بعد ذلك يحددون مكانا إستراتيجيا لنصب معسكرهم، ويكلف بعض الجنود بحراسة المنطقة[165].

غير أنه وجد رأي آخر يرى بأن هذه القوات لم تكن تخضع لأي تنظيم في مسيرتها، حيث أن تقدمها كان يخضع لإرادة قائدها دون تحديد الوجهة وهكذا حتى يجدون أنفسهم داخل أرض

العدو[166]، وبالتالي فإن الانضباط كان منعدما في صفوفهم، كما أنهم كانوا قليلي التدريب، وربما لم يخضعوا لأي تدريبات قبل توجههم إلى المعركة[167].

ومهما يكن من أمر فإن المصادر تعطينا وصفا دقيقا لذلك التنظيم العسكري، الذي طبقه الإنكشارية أثناء سيرهم نحو العدو (أي قبل دخولهم إلى المعركة)، بحيث كان يتم تقسيم الجيش إلى وحدات وفق الشكل التالي[168]:

- **المقدمة:** تتكون من عدد كثير من المشاة.
- **الجناحين (الميمنة والميسرة):** تتشكل من فرقتين من الفرسان، وهم بمثابة فرقة المدرعات لحماية المشاة.
- **المؤخرة:** تضم فرقتين من الفرسان إلى جانب عدد من المشاة.
- **الوسط:** يتشكل من المشاة الذين يكونون صفين لحماية الأمتعة والعتاد. أما الأهالي الذين يرافقون الجيش فيشكلون فرقا على الأجنحة، مهمتهم تدعيم القوات الرئيسية في حالة الحاجة إلى ذلك.

عند اندلاع المعركة، فإن الجيش يتقدم نحو العدو، وتكون في المقدمة فرقة من المشاة مسلحة ببنادق الموسكيه تشكل طليعة الجيش، تتبعها فرقة أخرى من المشاة في الوسط وراءها مباشرة لتدعيمها إذا استدعت الضرورة ذلك أو تعويضها في أحيان أخرى، وعلى الجناحين توجد فرقتين من الفرسان مهمتها حماية ميمنة وميسرة المشاة من أي هجوم مفاجئ، أما الأهالي فتنحصر مهمتهم في حماية الأمتعة والمؤن، كما أنهم يشكلون فرقا إضافية قد تتدخل وقت الضرورة وبأمر من الباي[169].

وكان سير المعركة يمر بمرحلتين أساسيتين، إذ تبدأ بتبادل لإطلاق النار بواسطة بنادق الموسكيه، وبعدها يلتحم الجيشان لحسم المعركة إما بالانتصار أو الهزيمة، إلا أن التنظيم السابق كثيرا ما كان يضطرب بمجرد اندلاع المعركة، وقد يستحيل إعادة تجميع القوات وتنظيمها مرة أخرى[170].

أما إطلاق النار فكان يتم بشكل عشوائي وفي كل الاتجاهات، وكان الجيش يتدعم بمدفعية ذات أفواه صغيرة جدا والتي كانت بدورها تحتاج إلى حماية من المشاة، أما العدو المتكون من الفرسان العرب والبربر فكان تنظيمه فوضويا يعتمد على الصياح أكثر من اعتمادهم على استعمال السلاح، وكانوا يضطرون إلى التراجع والهروب بمجرد تلقيهم لطلقات المدافع والبنادق[171]. وقد يفسر هذا التراجع بالتفوق الذي حققه العثمانيون على الأهالي بفضل أسلحتهم النارية، ولكنه سرعان ما تراجع بمجرد امتلاك السكان لهذا النوع من السلاح، فبدأوا يحققون انتصارات على الإنكشارية[172].

ويظهر أن العامل الإستراتيجي كثيرا ما وقف عائقا أمام الإنكشارية لتحقيق نصر ساحق على الأهالي الذين استغلوا معرفتهم بتضاريس المنطقة لصالحهم، وكثيرا ما سحقوا القوات التركية التي كانت تجهل طبيعة المنطقة المراد التوجه إليها.

فكثيرا ما ارتكبت القوات النظامية أخطاء تكتيكية كلفتها خسائرا مادية وبشرية فادحة، ففي عام 1520 قام خير الدين بإرسال قوات للقضاء على تمرد إبن القاضي الذي كان قد تحالف مع قوات الأمير الحفصي محمد بن الحسين، وتمت المواجهة في سهل يسر حيث تمكن الإنكشارية من سحق قوات إبن القاضي والتونسيين، مما اضطر هؤلاء اللجوء إلى خطة مضمونها الانسحاب إلى مرتفعات فليسة أمام ملاحقة قوات خير الدين لهم، وقد استغل إبن القاضي معرفته بالمنطقة وسحق القوات الإنكشارية[173].

وكان لهذه الهزيمة عواقب وخيمة مكنت ابن القاضي من السيطرة على مدينة الجزائر وطرد خير الدين منها والذي لجأ إلى مدينة جيجل حيث مكث بها مدة من الزمن قبل عودته إلى الجزائر.

وفي 1804 قامت ثورة في منطقة القبائل قادها أحد المرابطين ويدعى الزبوشي. كانت القوات الإنكشارية تحت قيادة عثمان باي الذي كان قد أقام معسكره في منطقة الميلية، وفي هذه الأثناء قامت فرقة من الإنكشارية بالتوغل داخل الجبال، وقد طبق المتمردون خطة مضمونها عدم إبداء أي مقاومة وذلك بهدف جر هذه الفرقة إلى داخل المنطقة، وبمجرد ما تم لهم ذلك حاصروها من كل الجهات وقتلوا كل جنودها[174].

لكن أكبر خطأ تكتيكي ارتكبته القوات الجزائرية كان في عام 1830م، عندما قام الآغا إبراهيم بتركيز معظم قواته خارج مدينة الجزائر بعدة كيلومترات ظنا منه أن القوات الفرنسية ستنزل هناك، وفي هذه الأثناء لم يدعم حصن القصبة إلا بعدد قليل من الجنود والمدافع لاعتقاده بأنها ستصمد لعدة سنوات[175]، ولكن القوات الفرنسية بقيادة " دي بورمون " نزلت منطقة سيدي فرج حيث لم تعترضها أي مقاومة تذكر، وهكذا سقطت مدينة الجزائر يوم 5 جويلية 1830.

وكخلاصة فإن تنظيم الجيش الإنكشاري كثيرا ما كان يشبه تنظيم الجيوش الأوربية، وهذا بشهادة كثير الأوربيين الذين زاروا الجزائر في تلك الفترة، رغم أنه كانت تنقصه الفعالية والانضباط عند الدخول في المعركة؛ كما أنه كانت لهم خصال حميدة أثناء المعارك من ذلك مثلا أنه كان يمنع عليهم السلب والنهب عند المواجهة مع العدو ويترك ذلك للأهالي والعبيد، ولم يلاحظ أبدا وجود جندي تركي يقوم بهذا العمل الذي اعتبر وضيعا ومنحطا[176].

ومن المؤكد أن العثمانيين كانوا على إطلاع واسع بالفنون العسكرية المطبقة بين جيوش العالم آنذاك، إذ أن نفس الخطط التي طبقتها الجيوش الأوربية كانت مطبقة من طرف الإنكشارية وكمثال وضع فرقة من المشاة في المقدمة والوسط وفرقتين من الفرسان على الجناحين[177].

ز- القيادات العسكرية ودورها:

تشكل القيادة العسكرية العمود الفقري لأي جيش كان، وباعتبار فرقة الانكشارية جيش نظامي، فإن قيادته أوكلت إلى رجال ذوي كفاءة حربية عالية ومهارة قتالية فائقة. لقد كان بإمكان أي "*يولداش*" بسيط أن يصبح يوما قائدا عاما للقوات البرية، وذلك عند بلوغه رتبة "*الآغا*"، رغم الشروط التي كانت تفرض على الشخص الذي يتولى هذه الرتبة كما سبق الحديث عنه.

فبفضل التنظيم المحكم والقيادة الكفئة للآغاوات أو للدايات الذين ينحدر معظمهم من فرقة الانكشارية، استطاعت إيالة الجزائر أن تصبح قوة هامة في منطقة البحر المتوسط. كما أن كثرة المواجهات والحروب المتتالية طيلة هذا العهد، سواء تلك التي كانت ضد القوى الخارجية أو ضد التمردات الداخلية، أدت إلى اكتساب الجيش الجزائري لخبرة حربية نتيجة طول ممارسته للقتال بعدما عاش في حالة استنفار وتأهب دائم[178]. ورغم تراجع قوة هذا الجيش خلال القرن الثامن عشر ميلادي، فإنه واصل أداء مهمته الحربية وصد الأخطار عن الإيالة، ومن العوامل التي ساعدت على ذلك، الصرامة والانضباط المفروض بين هؤلاء الجنود، ودور القيادات العسكرية في تحقيق النصر بفضل الخطط والاستراتيجيات الحربية المحكمة خلال المعارك.

إذا كان الجهاد البحري قد أوكل إلى الرياس، فإن حفظ الأمن الداخلي وحماية الحدود الشرقية والغربية والسواحل كان على عاتق القوات الانكشارية، التي كثيرا ما دخلت في حروب ومواجهات مع تونس والمغرب نتيجة أطماع هاتين الدولتين في التوسع على حساب أراضي الايالة.

لقد تميزت العلاقات الجزائرية – التونسية بالتوتر نتيجة محاولة بايات تونس الاستيلاء على منطقة عنابة، قسنطينة والقالة، ويظهر أن محاولاتهم قد تضاعفت في الفترة ما بين القرن الثامن عشر و1821، مما اضطر دايات الجزائر إلى مواجهتها بإرسال حملات تأديبية ضد تونس[179].

ففي عهد الداي أحمد باشا (1805 – 1808) اندلعت الحرب بين الدولتين، بعدما رفض باي تونس حمودة باشا دفع الضريبة السنوية إلى الجزائر، والتي كانت تشمل مركبا من الزيت وبعض الهدايا الأخرى، وقد قام بإرسال جيش حاصر قسنطينة وقتل الكثير من سكانها. وأمام هذا الوضع أرسل أحمد باشا قوة عسكرية هزمت التونسيين وأجبرتهم على التراجع، غير أنهم سرعان ما أعادوا الهجوم مرة أخرى، وفي هذه المرة كون أحمد باشا قوة كبيرة وضع على رأسها الآغا حسن، الذي ضم قواته إلى قوات ابن صالح باي قسنطينة، وكان من نتائج ذلك تحقيق نصر ساحق ضد التونسيين داخل أراضيهم، غير أن هذا النصر لم يكتمل، فلقد قام ابن صالح باي بالتراجع مع قواته تاركا حسن آغا لوحده في مواجهة التونسيين، وأمام هذا الوضع اضطر الآغا إلى التراجع وترك الغنائم، وذلك حفاظا على حياة جنوده، كما قام بمراسلة الداي وإخباره بالأمر، فما كان من هذا الأخير إلا عزل ابن صالح باي والأمر بقتله بعدما عين مكانه علي شاوش[180].

ويظهر أن حوادث الحروب والمواجهات قد تكررت بين الدولتين لعدة مرات، و لم تتوقف إلا في عام 1821 بعد التوقيع على معاهدة السلام ورسم الحدود بينهما[181].

أما على الحدود الغربية فإن سلاطين المغرب عملوا جاهدين للتوسع في منطقة الغرب الجزائري التي رأوا فيها امتداد طبيعيا لدولتهم، فقادوا حملات عسكرية متتالية ضد الجزائر، وخاصة في عهد السلطان مولاي إسماعيل الذي وجه حملة عام 1678 ثم أخرى في عام 1686 و 1692. وفي سنة 1703 هاجم هذا السلطان الغرب الجزائري على رأس قوة مكونة من خمسين ألف مقاتل معظمهم من الفرسان، وقد واجهه الجزائريون بجيش قدر بستة آلاف من المشاة وألف فارس، وكان النصر في آخر المطاف حليف الجزائريين، الذين تمكنوا من قتل ثلاثة آلاف من المغاربة والحصول على غنائم معتبرة منها خمسة آلاف حصان[182].

بسبب الهزائم المتكررة للمغاربة أمام الجيش الجزائري، لجأ هؤلاء مع مطلع القرن التاسع عشر إلى إضعاف الجزائر بطرق غير مباشرة، ومن ذلك مثلا دعم شيوخ الزوايا والمرابطين كالدرقاويين والتيجانيين ضد الأتراك[183].

على الجبهة الداخلية واجه الجيش الانكشاري على طول القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، سلسلة من الثورات المحلية اندلعت في مختلف جهات الإيالة، ومن هذه الثورات على سبيل المثال تلك التي اندلعت بمنطقة جرجرة خلال أعوام 1804 و1810 و1823، وثورة ابن الأحرش في شمال قسنطينة عام 1804، وثورة درقاوة في الغرب الجزائري عام 1805 و1812 و1817، والثورة التيجانية بعين ماضي عام 1816، وثورة النمامشة والأوراس ما بين عامي 1818 و1823[184].

وخلال هذه المعارك والمواجهات برزت قيادات غيرت من مجرى المواجهات، ودعمت الوجود العثماني بالجزائر، الذي كان يتعرض من حين آخر لخطر الزوال بسبب قوة وخطورة هذه الثورات.

في عهد الداي محمد باشا (1766 – 1791)، عرفت إيالة الجزائر سلسلة من الحروب الداخلية والخارجية، لقد كان هذا الداي الذي ينحدر من فرقة الانكشارية من أبرز الدعاة إلى الجهاد[185]، فاهتم ببناء التحصينات وتقوية الجيش وإغداق العطايا عليه لدفعه إلى القتال بحزم، ويذكر الزهار أن هذا الباشا " كان محبا للجهاد، ووقعت في أيامه حروب كثيرة، ورزقه الله النصر في جميع حروبه... "[186].

ففي عام 1767 ثارت قبيلة فليسة بمنطقة جرجرة، ورفضت دفع الضرائب، فاضطر الداي محمد باشا إلى تجهيز قوة مكونة من ألف ومائة رجل انكشاري ووضع على رأسهم آغا العرب، غير أن هذه القوة منيت بهزيمة بعدما خسرت ثلاثمائة رجل من الانكشارية، وكعقوبة ضده تم شنق الآغا وعوض بخوجة الخيل المدعو "والي". وهكذا تم تجهيز حملة أخرى عام 1768، اشتركت فيها إلى جانب قوات الداي أعداد كبيرة من جيوش بايلك التيطري، وهران وقسنطينة، ورغم ذلك فإن الحملة باءت بالفشل في قمع الثورة بعد قتل الآغا "والي" وحوالي ألف ومائتي انكشاري وثلاثة آلاف من العرب[187].

أمام هذا الوضع اضطر الداي إلى تعيين المدعو علي بن سليمان آغا جديدا، وأوكل إليه مهمة التفاوض مع قبيلة فليسة وعقد صلح معها، غير أن محاولته فشلت. وهكذا اضطر الداي إلى فرض حصار على جبل فليسة، مما أوقع سكانها في مجاعة بسبب ندرة المواد الغذائية، وبالتالي اضطروا إلى التفاوض وعقد معاهدة سلام في عام 1763، ورغم ذلك فإن ثوارهم ضد العثمانين تكررت لعدة مرات[188].

ومع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، عرفت الجزائر سلسلة من الثورات الدينية قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزاوايا، وقد أرهقت الجيش الانكشاري وهددت التواجد العثماني، بل وساهمت في زواله، ويمكن أن نحصرها فيما يلي[189]:

• ثورة ابن الأحرش: تنسب هذه الثورة إلى محمد بن عبد الله الشريف[190]، وقد اندلعت في عهد الداي مصطفى باشا (1798-1805) الذي كلف عثمان باي قسنطينة بالقضاء على ابن الأحرش وأتباعه، وكان هذا الأخير قد تحالف مع مرابط من منطقة ميلة يدعى "الزبوشي" غير أن عثمان باي قتل مع عدد كبير من جنوده في واقعة وادي الزهور[191].

لما علم الداي مصطفى بأخبار الهزيمة، قرر الخروج بنفسه على رأس قوات من الجيش لقتال ابن الأحرش، لكنه سرعان ما كلف الآغا علي بهذه المهمة. وفي الأخير بفضل قوات عبد الله بن اسماعيل باي قسنطينة الجديد والقوات الانكشارية وقبائل المخزن تم القضاء على ابن الأحرش وحركته[192].

• ثورة درقاوة: تنسب هذه الثورة إلى عبد القادر بن الشريف، ويعرف لدى العامة بابن الشريف الدرقاوي، نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي ينتمي إليها، وهو من أولاد سيدي الليل[193].

حضر مصطفى باي وهران جيشا ضخما لقمع هذه الثورة، وقد نتج عن ذلك مواجهة كبيرة بين الطرفين بمنطقة فرطاسة بين وادي مينا ووادي العبد عام 1805، وانتهت بهزيمة الباي مصطفى، الذي اضطر إلى التراجع إلى وهران تاركا كل عتاده للدرقاوي[194].

مكن هذا النصر ابن الشريف الدرقاوي من فرض سيطرته على معسكر، وانطوى تحت لوائه سكان المناطق الداخلية، وقد مكنه ذلك من فرض سيطرته على كل المنطقة الممتدة ما بين مليانة شرقا

ووجدة غربا[195]، وبعد استكمال استعداداته العسكرية قرر مهاجمة وهران، لكنه فشل في اقتحامها أمام استماتة السكان في الدفاع عنها، مما جعله يكتفي بمحاصرتها فقط. بسبب تفوق الدرقاوي قرر الداي مصطفى باشا إرسال قوات إلى مدينة الجزائر عن طريق البر، بعدما عين عليها الآغا علي الذي كلفه بمهمة فك الحصار على وهران.

غير أنه اضطر إلى الرجوع إلى مدينة الجزائر، بعدما وجد الطريق إلى وهران مسدودا. وهكذا قام الداي بعزل مصطفى باي وعين مكانه محمد بن محمد بن عثمان المعروف بالمقلش، والذي تمكن من دخول وهران عن طريق البحر، ثم فك الحصار عنها، واستطاع الانتصار على الدرقاوي بعدما استعان بقبائل المخزن[196].

- **الثورة التيجانية:** تنسب إلى محمد الكبير التجاني، وهو من أصل شريف حيث ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي – كرم الله وجهه- وكان يقطن بقرية عين ماضي قرب الأغواط[197]، وهروبا من اضطهاد الأتراك، لجأت عائلته إلى مدينة فاس المغربية، ولكن بعد وفاة والده في عام 1815 عادت إلى عين ماضي. وقد أثارت هذه العودة مخاوف الأتراك، الذين كلفوا حسن باي وهران بمراقبة تحركات التيجانيين، وقد دفعه ذلك إلى إرسال حملات متتالية ضدهم إلى غاية عام 1826[198]

أدت هذه السياسة القمعية إلى ثورة التيجانيين، بعدما حرض محمد الكبير التجاني قبائل حوب وهران على الثورة، حيث بعدما جمع عددا كافيا من المقاتلين قرر مهاجمة مدينة معسكر، وكان من جملة من دخل في حلفه قبائل الحشم بمنطقة غريس والذين حسب الزهار، عرفوا بإثارتهم للفتن والاضطرابات[199].

لسحق التيجاني والقضاء عليه لجأ الباي حسن إلى خطة مضمونها إغراء قبائل الحشم بالأموال لدفعهم إلى التخلي عن مساندته، وقد نجح في ذلك، وهكذا نجح الباي في قتل معظم الثائرين وعلى رأسهم التجاني، وكان ذلك بعد معركة في نواحي غريس[200].

ولئن زادت أوضاع الإيالة تدهورا قبيل مجيء الحملة الفرنسية، فإن ذلك لم يمنع من بروز شخصيات عسكرية، ففي عهد الداي حسين (1818 – 1830) وبعد تعرضه لمحاولتين لاغتياله من طرف بعض الانكشارية، قرر تكوين فرقة خاصة من زواوة لحراسته والحفاظ على حياته، وكان يشرف عليها شخص يدعى يحي آغا، الذي استطاع الوصول إلى هذه الرتبة السامية والتي كانت في السابق حكرا على الأتراك دون غيرهم. لقد كان لهذا الآغا دور كبير في حفظ النظام والأمن داخل الإيالة في فترة كثرت فيها الاضطرابات والفتن، ومن ذلك مثلا أنه دعم باي وهران في حربه ضد التيجانيين وساهم في تهدئة الأوضاع وإعادة الأمن في منطقة القبائل التي ينحدر منها[201].

ورغم دوره البارز، فإن الداي حسين قرر نفيه إلى البليدة بتهمة التآمر عليه، كما عزله من منصب الآغا الذي تولاه لمدة اثني عشر سنة، ثم قام باغتياله والتخلص منه وتعويضه بالآغا ابراهيم صهر الداي حسين[202]. وقد سببت حادثة مقتله تذمرا وسخطا في صفوف الجنود والعرب الذين كانوا متعلقين به، ويقال أن العرب كانوا يتصلون بيحي سرا في منفاه لوضع خطة تستهدف تقويض الحكم التركي بالجزائر[203].

هكذا يتضح أن فرقة الانكشارية كانت تملك قيادات ساهمت في تقويتها وتنظيم هذا الجيش، كما كان لها دور بارز في تحقيق عدة انتصارات ضد الأعداء، فنالت بذلك احترام وتقدير الجنود، غير

أن ذلك لا ينفي وجود بعض القيادات التي أثبتت فشلها وعدم قدرتها فتعرضت إلى غضب ونقمة الجيش.

ح- الأجور والامتيازات:

1- نقدية:

كان دفع الأجرة من بين الحقوق الأساسية التي يتمتع بها الجندي اتجاه حكومة الإيالة، وكان يوم دفعها يعتبر موعدا هاما إذ يحضره الداي شخصيا إلى جانب كبار الموظفين من آغا الهلالين، آغا العرب وكل الضباط السامين للإيالة[204]، ونظرا لأهميته فكثيرا ما كان هؤلاء يتخوفون منه، فقد تحدث أثناءه مؤامرات واضطرابات تودي بحياة هؤلاء في قصر الداي، أما إذا سارت الأمور بشكل عادي فإن كل أوجاق يتوجه نحو القصر، وقبل دخولهم يقومون بوضع أسلحتهم عند " *النوباجية* " (أي الحراس المكلفين بحراسة قصر الداي)، ثم يجتمعون في ساحة القصر انتظارا لتلقي أجورهم[205].

أما موعد دفع "*العلوفة*" (أي الأجرة)، فكان يتم كل شهرين قمريين ويطلق عليها " الجرايات الصغرى" لأنها تخص عددا قليلا من الجنود فقط أي أولئك المتواجدين في مدينة الجزائر، أما الجنود الموزعين على الحاميات والمحلات فكان يحدد لهم موعد سنوي يحضرون فيه إلى مدينة الجزائر ليتقاضون مرتباتهم وكان يطلق عليها "الجرايات الكبرى"[206]، وتعتبر أشهر: محرم، ربيع الأول، جمادى الأولى، رجب، رمضان، ذو القعدة، هي المخصصة لدفع أجور الجنود[207]، وخلال هذه الشهور فإن كل الأيام تخصص لذلك ما عدا يوم الجمعة[208].

وكان دفع "الجرايات الصغرى" يتم وفق مراسيم محددة، إذ يشرف على العملية آغا الهلالين الذي يأخذ مقام الداي، أما نظام الدفع فكان يخضع للرتبة والأقدمية، فكان الداي أول من يتقاضى أجره كبقية الجنود باعتباره الموظف الأول في الإيالة، ثم يأتي بعده بقية الضباط والجنود.

وقبل خروج "*البولداش*" من القصر يتأكد من قيمة ونوعية النقود المدفوعة له، فإذا شك في بعضها، فإنه يزنها عند مراقب يهودي معتمد من طرف الحكومة، وإذا تأكدت شكوكه يقوم بتغييرها ويخرج من القصر راضيا ومسرورا[209]. وهنا لا بد من الإشارة أن جنود البحر ورياسهم كانوا يتقاضون أجورهم بالمرسى، وهذا ابتداء من عهد الداي بابا علي (1754-1766) الذي اراد أن يأمن شرهم بسبب عدائهم الشديد للإنكشارية، خاصة وأن كثيرا من الدايات قتلوا من طرفهم[210].

إلا أن أهم موعد لدفع "*العلوفة*" كان ذلك المخصص لدفع الجرايات الكبرى والذي يتم مع بداية الربيع ويدوم لمدة أربعين يوما حتى يتمكن كل جنود الإيالة من الحضور لتلقي أجورهم. وكان هذا الحفل العظيم يقام خارج مدينة الجزائر، إذ تنصب خيمة كبيرة تسمى "*أوطاق*" يشرف عليها الخزناجي نفسه وكبار موظفي الإيالة[211].

وكان الجندي مجبرا على الحضور شخصيا ليتلقى "*علوفته*"، إذ بعد ذلك مباشرة يتم توجيهه إلى مهمة جديدة، وقد تكون إلى إحدى الحاميات لجباية الضرائب وقمع انتفاضات القبائل، أو إحدى النوبات المنتشرة في مدن الإيالة أو إلى الجهاد البحري، وقد جاء في رسالة بعث بها محمد جافر باي قسنطينة إلى الداي عمر باشا (1815-1817) حيث يخبره فيها " بأنه قام بإرسال كل أصحاب الرواتب من الجنود والموظفين إلى الجزائر بغرض الحصول على علوفاتهم وتوجيههم نحو وظائفهم الجديدة"[212].

ونظرا لأهمية هذا الموعد، فقد كان يحضره حتى أولئك المعاقبين والهاربين من العدالة و كل ذوي السلوك السيئ من الجنود، ومن هنا يوجهون إلى محلة" الزينطوط"[213]، والتي كانت تلتحق بإحدى الحاميات، وهذا في انتظار أن يصفح عنهم أو تنسى جريمتهم مع مرور الأيام، وبالتالي يتمكنون من العودة إلى أوجاقهم.

وكانت الزيادة في الرواتب مكفولة لجميع الجنود والضباط بدون استثناء، حيث كانت تتم بطريقة عادية وآلية كل سنة، وفي الظروف العادية كانت قيمة الزيادة تقدر بصائمة واحدة لكل جندي[214]، وهذا باستثناء الداي والموظفين الكبار الذين وصلت أجورهم إلى الحد الأقصى والمقدرة بثماني صائمة والتي يطلق عليها "سيسكان" (أي الأجرة المغلقة)[215]، وهكذا فإنهم لا يتلقون أي زيادة، ونتيجة لهذا التنظيم في الزيادة وجد كثير من الجنود لهم نفس الرتبة ولكن أجورهم مختلفة بسبب عامل الأقدمية[216].

أما الضباط والجنود المتقاعدون بسبب إصابة خلال المعارك أو عاهة جسدية أو وصولهم إلى سن التقاعد فإنهم يتقاضون أجورهم كاملة حتى وفاتهم، كما يمكنهم الإقامة في أي منطقة من الإيالة[217]، ويظهر أنه بعد وفاتهم كان أبناؤهم يسجلون في دفتر الأجور للحصول على مرتب يعيلهم، وكمثال على ذلك الرسالة التي بعثها المدعو محمد آغا نوبة مستغانم إلى داي الجزائر، يخبره فيها بوفاة الجندي المدعو محمد بن سليمان المستغانمي ويطلب منه تسجيل ابنيه عبد القادر ومصطفى في سجل الجنود ليحصلا على مرتب يساعدهما على التكفل بمتطلبات الحياة[218].

وإلى جانب الأجور العادية كان الجنود يتقاضون مكافآت ومنحا خلال مناسبات متعارف عليها، ومنها انتخاب داي جديد حيث قام الداي أحمد باشا (1805-1808) بعد اعتلائه الحكم

مضاعفة الأجور التي وصلت إلى خمسة وعشرين بطاقة شيك سنويا بالنسبة للأجور العليا[219]، وقد تكون بعد تعين سلطان جديد في اسطنبول، أو حرب ضد إحدى القبائل المتمردة أو ضد دولة أجنبية أو أوربية وذلك بهدف تحفيز الجنود على القتال، كما قد تجيء بعد وصول "*قابجي باشي*" بالقفطان من السلطان إلى الباشا، أو خلال احتفال ديني كعيد الفطر أو عيد الأضحى، أو ازدياد مولود لدى السلطان، وتخبرنا إحدى الرسائل التي وجهها الداي حسين (1818-1830) إلى آغا نوبة وهران بتاريخ أول شعبان 1239هـ/مارس 1824م يطلب فيها منه زيادة الأجور بصائمة واحدة بمناسبة ميلاد ابن لدى السلطان[220].

كما تخبرنا "بارادي" أن قيمة الزيادة تبلغ صائمة واحدة (أو خمس موزونات) لكل جندي وقد تزيد بأكثر من ذلك، وكمثال على ذلك فلقد ارتفعت بسبع صائمات بعد قدوم الحملة الإسبانية لعام 1775م[221]، أما " قراماي" فيذكر أن كل جندي مهما كانت رتبته يتقاضى مكافأة تقدر بنصف دوبلون مقابل كل شخص يقتله خلال المعركة سواء أكان مسيحيا أو من الأهالي[222]، وفي هذا الصدد يذكر الحاج أحمد الشريف الزهار أنه بعد انتصار الجزائريين على الإسبان في عام 1775م كافأ الداي محمد باشا (1766-1791) كل من أحضر رأس أحد النصارى بقيمة مالية قدرها مائة سلطاني على كل رأس[223].

ولكن رغم الزيادة المنتظمة في الأجور والمكافآت المرتبطة بالمناسبات، فإن كثيرا من المصادر تجمع على أن الأجر الذي كان يتقاضاه "*اليولداش*" لم يكن كافيا لسد حاجاته اليومية، وهذا رغم أنه كان يتلقى الطعام مجانا أو بأسعار منخفضة كشرائه اللحم بثلث سعره المحدد في السوق، إلا أن حاجته إلى طعام إضافي وإلى اللهو كان يكلفه النصيب الأكبر من جرايته، فقد كان بمجرد حصوله عليها يتوجه

مباشرة إلى إحدى الحانات أو المقاهي المنتشرة في المدينة، وهناك يتناول أنواعا من المشروبات الكحولية أو يقضي أوقاته مع إحدى المومسات أو الغلمان[224].

إلا أن هذه الظاهرة لم تكن تشمل كل الجنود، إذ يظهر أنها اقتصرت على العزاب دون المتزوجين باعتبار أنه لم تكن لهم أسرة يعيلونها، إلى جانب أن الكثير منهم عرفوا بالسلوك السيئ، مما كان يدفعهم إلى تبذير أجورهم في اللهو والترف، وعكس هؤلاء فهناك جنود استطاعوا تحقيق كفايتهم من أجورهم، وليس أدل على ذلك ما ذكره صالح العنتري عند مقارنته بين أجر الجندي في العهد التركي وما كان عليه في العهد الفرنسي فيقول: " إن الرجل العسكري في العهد التركي كان له راتب سوي يأخذه من باشا الجزائر، وقدره مائة ريال جزائري وكان يكفيه لشراء ما يلزمه من قمح وسمن وخليع (أي اللحم القديد) وزيت وكسوة وكراء مسكن وغير ذلك، وربما أدخر من ذلك شيئا إن كان يحسن الاقتصاد "[225].

إلا أنه وجد بعض الدايات ممن اضطروا إلى تحديد أجور الجند دون زيادة فيها، وذلك لسد حاجات البايلك خاصة في مجال الدفاع من إقامة للحصون والأبراج، وتقوية دفاعات المدينة أمام الأخطار الخارجية، ويذكر حمدان خوجة في عهد الداي حسين " أنه نتيجة حاجة الداي إلى بناء مسكن يقيم فيه خارج القصبة وحصون لحماية المدينة وثكنات للجيش، اضطر ألا يمنح الجندي سوى ثمانية عشر فرنكا كأجر كل شهرين وأربع خبزات يوميا[226].

ويظهر أن قضية الأجور كثيرا ما حددت طبيعة العلاقات بين الجنود الإنكشارية والباشا، وخاصة في الفترة المتأخرة للإيالة، فأصبح أي تأخر في دفعها يشكل فرصة لثورة الجند قد تنتهي بمقتل الباشا نفسه، وفي أحسن الأحوال سجنه، فقد عُزل الداي حسن خوجة الشريف (1705-1707)

من طرف الإنكشارية بعد تأخره في دفع أجورهم، إلا أن مصير خليفته محمد بكداش (1707-1710) كان أكثر مأساوية، إذ ولنفس السبب تم إعدامه رغم دوره في تحرير وهران من الإسبان في 20 جانفي 1708[227].

أمام هذه الوضعية أصبح هم الباشاوات البحث عن كل السبل لدفع الأجور في أوانها دون تأخر، وقد اضطر كثير من هؤلاء اللجوء إلى مجموعة من الأساليب للحصول على الأموال، فقد قام بعضهم أمام حاجته إلى الأموال ببيع بعض أملاك البايلك مثل الأسلحة وغيرها لدفع الأجور قبل فوات الأوان، ثم يعيد شراءها عندما تتوفر الأموال في الخزينة[228].

وهكذا فإن الأجور أرهقت كثيرا خزينة الإيالة، وبالخصوص خلال القرنين الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، بعد تراجع غنائم الجهاد البحري وتزايد مطالب الجنود لمضاعفة أجورهم، وقد قدر "فونتور دي بارادي" مقدار جرايات الجند في عهده بمائة وخمسين ألف سكة جزائرية أي مليون ونصف مليون جنيه[229]، وفي عهد أحمد باشا (1805 - 1808) بلغت أكثر من مليار فرنك قدم سنويا بعد إقباله على مضاعفة أجور الجند[230].

لقد أصبحت الميزانية المخصصة لدفع الأجور نتيجة الأسباب السابقة الذكر تعاني عجزا متزايدا، بلغ في منتصف القرن الثامن عشر ميلادي حوالي خمسين ألف بياستر[231]، وكان من الممكن سد هذا العجز عن طريق الأتاوات المفروضة على القوى الأوروبية الصغرى، إلا أن وصول هذه الأموال كان غير منتظم، في حين أن الجنود لم يكونوا مستعدين لانتظار يوم واحد فوق الآجال المحددة للدفع.

أمام هذا الوضع لجأ الدايات إلى التعامل مع اليهود الذين أصبحوا يشرفون على الأمور المالية، ثم تحولوا إلى وسطاء سياسيين ثم مستشارين ووزراء[232]، كما اضطر هؤلاء إلى زيادة الضرائب على سكان

الأرياف والمدن مما سينجر عنه عواقب وخيمة على الحكم العثماني في الإيالة، حيث سيؤدي إلى اندلاع ثورات تزعزع وجوده وتقوض أركانه.

ونتيجة ذلك حاول بعض الدايات إصلاح الوضعية جذريا، ففي عهد الداي محمد باشا (1805) الذي عمل خزناجيا قبل توليه هذا المنصب مما مكنه من الإطلاع على الأمور المالية للإيالة، وعلم أن عدد الجنود المسجل في دفاتر الأجور يفوق بكثير العدد الحقيقي للجنود الموجود فعلا، وأن عددا من هؤلاء يتسلم إلى جانب " علوفته " أجور هؤلاء الجنود المفتعلين. وبعد ما أصبح دايا أمر بإعادة النظر في دفاتر الجيش وإلغاء مرتبات من لا وجود لهم، وقد مكنه ذلك من إحصاء أربعة آلاف جندي منهم سبعمائة خارج العمل. إلا أن هذا العمل سبب غضب الجيش، وبالتالي قرر التخلص منه بعد أيام قليلة فقط في منصبه وتم تعويضه بعمر آغا (1815-1817)[233].

2- عينية:

إلى جانب الراتب الذي كان الجندي يتلقاه كل شهرين قمريين، كان البايلك يقدم له أجرة عينية تتمثل في بعض المواد الغذائية، ومنها تلقيه لأربع خبزات يوميا يكلف *"الأشجي باشي"* (أي رئيس الطباخين) بتوزيعها على كل الجنود حتى الباشا نفسه[234]، وكان هذا الخبز مصنوعا من دقيق القمح ودقيق الشعير[235]، ولهذا فإنه كان من النوع الرديء بحيث يشبه الخبز الذي كان يقدم إلى الأسرى، وكان السكان البدو يقدمونه كعلف لحيواناتهم وذلك لانخفاض سعره، وكثيرا ما كان الجنود يلجئون إلى بيعه ويشترون عوضه خبزا مصنوعا من السميد فقط[236]. وإلى جانب ذلك كان جنود مدينة الجزائر يتلقون نصيبا من اللحم كل أسبوع، في حين كان جنود المحلات يحصلون على نصف خروف كل يوم

الإثنين والخميس[237]، وبالتالي كانوا أكثر استهلاكا للحم من أصدقائهم في مدينة الجزائر، إلا أنه كان بإمكان الجنود شراء اللحم من السوق بثلث سعره العمومي[238].

وبهذا فإن إنكشارية إيالة الجزائر كانوا آمنين من ناحية الغذاء الذي كان البايلك يوفره لهم مجانا أو مقابل أجر زهيد، أما إذا احتاج الجندي إلى طعام إضافي فعليه أن يدفع ثمنه من ماله الخاص. ويظهر أن هذا الامتياز مكن *"اليولداش"* من توفير مبالغ هامة من أجورهم ربما وظفوها في مشاريع اقتصادية تدر عليهم أموالا إضافية إلى جانب الأجور.

ويظهر انه بالموازاة مع ممارسة مهنة الجندية، لجأ كثير من الجنود إلى ممارسة نشاط موازي عن طريق استثمار ما وفروه من أموال بعد مدة من الخدمة في مشاريع تجارية، وتخبرنا المصادر عن كثير من الاتفاقيات التي تمت بين عدد من الجنود والتجار، ففي أواخر جمادى الثانية 1243هـ/1827م قام المدعو عثمان التركي وكيل خرج الأوجاق رقم 247 بتسليم مبلغ مالي قدره مائة ريال نيابة عن رفاقه في نفس الأوجاق لتاجر يدعى مصطفى بن محمد بغرض استثمارها في مشروع تجاري، شريطة أن توزع الأرباح مناصفة بين الطرفين[239]. وقد تكررت هذه الاتفاقيات مرات عديدة حيث تطلعنا وثيقة قضائية يعود تاريخها إلى أوائل ذي الحجة 1244هـ/ جوان 1829 أن شخصا يدعى مصطفى بن عثمان والذي يعمل أوداباشيا للأوجاق رقم 54 بثكنة أوسطى موسى ناب عن زملائه في تقديم قيمة مالية قدرها سبعمائة وثلاثين ريالا إلى تاجران يستغلالها في التجارة مع تقسيم الأرباح بشكل عادل بينهم[240].

وهكذا فلقد ساهمت هذه المشاريع بشكل كبير في تحسين الجانب المالي للجنود الذين استطاعوا جمع ثروة طائلة، وهذا ما مكنهم من ضمان حياة مستقبلية مستقرة، خاصة بعد إنهاء واجبهم المهني وإحالتهم على التقاعد حيث استطاعوا أن يصبحوا تجارا وحرفيين بفضل ما جمعوه من أموال.

هوامش الفصل الأول

1- دائرة المعارف الإسلامية، (مادة الانكشارية)، المجد الثالث، انتشارات جهان تمران، بودر، جمري، بدون تاريخ، ص 77.

2- Weissman, Nahoum.op. cit, p 9.

3- Ibid, p 10.

4- تطبيقا لتعاليم الشريعة الإسلامية فإن الجهاد ضد الكفار كان مفروضا على المسلمين دون غيرهم، وعليه فإن المنخرطين في الجيش الانكشاري كان يفرض فيهم شرط الإسلام.

5- نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 66.

6- دائرة المعارف الاسلامية، (مادة دوشرمة)، المجلد التاسع، ص 319.

7- Weissman, Nahoum.op.cit, p12.

8- دائرة المعارف الاسلامية، (مادة الانكشارية)، ص 320.

9- نفس المرجع، ص 320.

10- Weissman, Nahoum.op.cit, p13.

11- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية (ترجمة فارس نبيه أمين ومنير البعلبكي). دار العلم للملايين، بيروت، مارس 1993، ، ص 465.

12- دائرة المعارف الاسلامية، (مادة دوشرمة)، ص 321.

13- Mantron, Robert (et autres) : ***Histoire de l'empire ottoman.*** Librairie arthène Fayard, Paris,1989, pp 191 – 192.

14- Weissman, Nahoum.op.cit, p15.

15- Ibid, p.16.

16- Mantron, Robert (et autres), Op.cit, p 192.

17- عكس إيالة الجزائر، فإن القانون في مناطق أخرى من الدولة العثمانية كدمشق والقاهرة كان يبيح تجنيد السكان المحليين في فرق الإنكشارية، وكان هؤلاء من الحرفيين والتجار والفقراء، وكثيرا ما نتج عن ذلك صراع حاد بين الإنكشارية العثمانية القبوقول والإنكشارية المحلين اليرلية. لمزيد من المعلومات راجع:

د. الصباغ، ليلى " الوجود العثماني في المشرق المتوسطي في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7 و8، تونس، جانفي 1977، ص 94.

Raymond, André . ***Grandes villes arabes à l'époque ottomane***. la bibliothèque arabe, Sindbad, Paris, 1985, p99.

18- حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 170.

19- مجموعة 3190، الملف الأول،(قسم المخطوطات)، ، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 74

20- مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 176.

21- مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 146.

22- مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 186.

23- Colombe (M). « Contribution à l'étude du recrutement de L'odjaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence d'Alger ». ***R.A.*** t 87 (1943), P 173.

24- خط همايون 776 1215/14هـ، المركز الوطني للأرشيف بالجزائر

25- خط همايون 872 1231/16هـ، المركز الوطني للأرشيف بالجزائر .

26- مجموعة 3190، الملف الأول، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر ، ورقة 20.

- خط همايون 517 1234/22هـ. المركز الوطني للأرشيف بالجزائر،.

27 د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 82.

28. Colombe (M). Op.cit, p 176.

29. Paradis (Jean-Michel venture de). ***Tunis et Alger au XVIIIe siècle*** (mémoires et observations rassemblés et présentés par joseph cuoq). édition Sindbad, Paris, 1983, p 160.

30 د.سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)*، قسم البحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، 1970، ، ص 44.

31 حول الفرار من الجيش راجع الفصل الرابع.

32 راجع: Colombe (M) op.cit, p 178.

د. فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 83.

33. Colombe (M). op.cit, pp 178-179.

34 مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر— ورقة 94.

35 مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات) المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 153.

36. Renaudot (M) :***Tableau du royaume d'Alger et de ses environs, état de son commerce, de ses forces de terre et de mer***, 2ème édition,: librairie universelle, Paris, 1830,p110.

37. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 465.

38. Venture de paradis. Op.cit, p 160.

39. حمدان بن عثمان خوجة، *المرآة* (تقديم وتعريب وتحقيق د. الزبيري محمد العربي)، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 119.

40. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات) المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 165

41. حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 173.

42. Colombe (M) op.cit, p 179.

43. مجموعة 3190، الملف الأول ،(قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ، ورقة 65.

44. نفسه.

45. العربي، إسماعيل " دور اليهود في الديبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات "*مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، العدد 12، الجزائر، ديسمبر 1974، ص 54.

46. خط همايون 216 1239/17هـ المركز الوطني للأرشيف، بالجزائر،

47. خط همايون 548 1242/22هـ ، المركز الوطني للأرشيف بالجزائر،

48. Laugier de Tassy. op.cit, p 125.

49. Godfery. op.cit, p101.

50. Haedo. « Histoire des rois d'Alger ... », 1880. p 238.

51 خط همايون 1219/3374هـ، المركز الوطني للأرشيف بالجزائر.

52 حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 149.

53 حول موضوع الثورات الشعبية ضد الحكم العثماني راجع:

الغالي، الغربي، ***الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال الفرنسي*** (رسالة ماجستير). كلية الآداب، دمشق، 1985 ،ص. 251

54. Colombe (M),op.cit, p 175.

55. Boyer, Pierre. ***La vie quotidienne à Alger à la vielle de l'intervention française.*** librairie Hachette, Paris, 1963. p 87.

56. Colombe (M). op.cit, p 175.

57. Haedo (Fray diégo de). « Topographie et histoire d'Alger », Traduction en français par Monnereau et Berbrugger. ***R.A***, 1870, p 394.

58. Deny (J). « Les registres de solde des janissaires ». ***R.A,*** T 61 (1920) p 213.

59 نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص 78.

60. Sir Godfrey, fisher. Op.cit p, 148.

61. Laugier de Tassy. Op.cit p, 126.

62 كاثكارت، لياندر، ***مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب*** (ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 100.

63. Venture de paradis. Op.cit,p 185.

64. Brahimi, Denise. ***Opinions et regards des européens sur le Maghreb au XVII[e] et XVIII[e] siècle.*** S.N.E.D, Alger, 1978, p 149.

65. Boyer, Pierre. Op.cit, p 134.

66. يعبر عن نظام الجند بالأوجاق وتعني الموقد أو مكان إشعال النار، واستعمالا تعني البيت أو الأودة التي يقيم فيها البولداش. راجع: نور الدين، عبد القادر، صفحات ...، ص 78.

67. Boyer, Pierre. Op.cit, p 134.

68. Deny (J). op.cit, p 216.

69. IBID. p 214.

70. سبنسر، وليم، *الجزائر في عهد رياس البحر* ...، ص 58.

71. كاثكارت، لياندر، المصدر السابق، ص 100.

72. Boyer, Pierre. Op.cit, p 134.

73. Venture de paradis. Op.cit, p 185.

74. Grammont (H.D. de). Op.cit, p 361.

75. د.سعيدوني، ناصر الدين، *دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)*. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص 165.

76. مجموعة 3205، الملف الثاني، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 90.

77. مجموعة 3205، الملف الثاني، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 54.

78. مجموعة 3205، الملف الثاني، (قسم المخطوطات) المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 55.

79. مجموعة 3205، الملف الثاني، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 16.

80. مجموعة 3205، الملف الثاني،(قسم المخطوطات) ، المكتبة الوطنية بالجزائر ، مورقة 46.

81. سجلات البايلك، علبة رقم 35المركز الوطني للأرشيف بالجزائر،.

تقدم لنا وثائق هذه العلبة معلومات قيمة جدا حول الأماكن المحبوسة لفائدة ثكنات الإنكشارية.

82. Venture de paradis. Op.cit, p 185.

83 كاثكارت، لياندر، المصدر السابق، ص 137.

84. Berbrugger (A), Devoulx (A). « Les casernes des janissaries à Alger. ». *RA* T3(1858),pp 132-150.

85. Deny (J). « Les registres de solde des janissaires », p 217.

86. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 135.

87. Deny (J) . op.cit, p 219.

88 نور الدين، عبد القادر، صفحات ...، ص 78.

89. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 139.

90. Deny (J) op.cit, p 219.

91. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 132.

92. Devoulx (A). « l'angle sud – est de l'Alger turc ». ***RA*** T 15 (1870), P 396.

93. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 133.

94. Ibid, pp 133-134.

95. Deny (J) .op.cit, p 219.

96. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 135.

97. Boyer, Pierre. Op.cit, p 133.

98 خلاصي، علي، المرجع السابق، ص 89.

99. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 142.

100. IBID, P 135.

101. Deny (J). Op.cit, p 220.

102. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 136.

103. Deny (J). op.cit, p 221.

104. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 136.

105. IBID, P 147.

106. Deny (J). op.cit, p 221.

107. Weissman, Nahoum. Op.cit, p 66.

108. Berbrugger (A), Devoulx (A). op.cit, p 135-136.

109 خلاصي، علي، *العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر* المتحف المركزي للجيش (وزارة الدفاع الوطني)، الجزائر، 1985، ص 93.

110. Deny (J) . op.cit, p 221.

111. Jean, Baptiste Gramaye (evêque d'afrique). ***Alger XVIe – XVIIe siècle*** (annoté par Abd-el-hadi ben Mansour). les éditions du CERF, Paris, 1998, p 199.

112. Haedo. « topographie ... », p 59.

113. venture de paradis. Op.cit, p 15.

114 جون.ب. وولف. *الجزائر وأوربا* ...، ص 123.

115. Renaudot . op.cit, p 110.

116. Marçais, Georges. ***Le costume musulman d'Alger***. librairie plan, Paris, 1930, p 38

117. Boyer, Pierre. Op.cit, p 128.

118 دائرة المعارف الإسلامية، (مادة الإنكشارية)، المجلد الثالث، ص 76.

119. Esquer (G). « le costume Algérois d'après un ouvrage récent ». ***R.A*** T(1931), p 95

120. Haedo. « Topographie ... », p 59.

121. Venture de paradis. Op.cit, p 160.

122 لمزيد من التوضيح حول العلاقة بين الرتبة واللباس راجع:

Shaw (Dr). ***Voyage dans la régence d'Alger*** (traduit de l'anglais par J.mac carthy), 2ème édition - édition Bouslama, Tunis, 1980, pp 161, 162 et 163.

123. Marçais (G). op.cit, p 47.

124. Grammont (H.D.de). op.cit, p30.

125. Boyer, Pierre. Op.cit, p 128 ;Venture de paradis. Op.cit, p 160.

126 حمدان، خوجة، *المرآة* ...، ص 120.

127 جون.ب. وولف، *الجزائر وأوروبا* ...، ص 126.

128 شالر، وليم، ***مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)*** (تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 54.

129 الإسعيدوني، ناصر الدين، *الجزائر في التاريخ* ...، ص 66.

130. Robin (N). « Note sur l'organisation militaire et administrative turcs dans la grande kabylie ».. ***R.A*** n°17 (1873), p 133.

131 شيلر، فرنان، **تاريخ الفنون العسكرية** (ترجمة فريد أنطونيوس)، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت، 1970، ص 10.

132 الجزائري، محمد بن ميمون، ***التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية*** (تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 37.

133 شوفاليه، كورين، المرجع السابق، ص 29.

134 حلاصي، علي، المرجع السابق، ص 31.

135. Boutin. ***Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger (1808)*** (publié par Gabriel Esquer). Librairie ancienne honoré champion, librairie de la société de l'histoire de France, Paris,1927, pp 48-49.

136الاسعيدوني، ناصر الدين، ***الجزائر في التاريخ*** ...، ص 66.

137نفس المرجع، ص 67.

138خط همايون 499 1206/56هـ، المركز الوطني للأرشيف بالجزائر .

139 خط همايون 031 1210/15هـ. المركز الوطني للأرشيف بالجزائر.

140. Boutin. Op.cit, p 89.

141. GAÏD, Mouloud. Op.cit, p 102.

142. Berbrugger (A), Devoulux (A). « les casernes ... », p 136.

143حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 121.

144. Deny (J). « les registres ... », p 43.

145. Haedo. « Topographie ... », p 505.

146. IBID, p 505.

147. Gramaye. Op.cit, p 133.

148. Venture de Paradis. Op.cit, p 211.

149. Deny (J). « les registres ... », p 43.

150. IBID, pp 44-45.

151. Grammont (H.D de). Op.cit, p 46.

152. Shaw. Op.cit, p 162.

153. ***Description abrégée de la ville et état d'Alger, présenté à mon seigneur philippeaux, secrétaire d'état l'an 1695*** (Manuscrit à la bibliothèque nationale d'Alger). P 28.

154. Deny (J). op.cit, p 44.

155. Tassy. Op.cit, p 138.

156. أنظر: Weissman. Les janissaires ... p 63 و Shaw. Op.cit, p 161

157. Venture de Paradis. Op.cit, p 173.

158. حول منصب الآغا وحياته راجع:

Renaudot. Op.cit, p 98. Shaw. Op.cit, pp 158-159.

- Tassy. Op.cit, pp 136-137 Venture de Paradis. Op.cit, pp 175-176.

- Grammont (H.D de). Op.cit, p 46.

159. Tassy. Op.cit, p 138.

160. الجزائري، محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 39.

161. جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص 125.

162. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 120.

163. سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص 56.

164. Au Capitaine (Henri le Baron). ***Confins militaires de la grande Kabylie sous la domination turque (province d'Alger)***. moquet, librairie – imprimeur, Paris, 1857, p 11

165. استطاع الجيش الإنكشاري العثماني التخلص من أساليب القتال التي سادت في العصور الوسطى، مما مكنه من تحقيق انتصارات حاسمة على أعدائه الذين بقوا متمسكين بتقنيات بالية، وقد نقل المتطوعون هذه الأساليب عند قدومهم إلى الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي، أنظر:

Robert, Mantron (et autres).op.cit, p 132.

166. Laugier Tassy. Op.cit, p 154.

167. جون.ب. وولف. المرجع السابق، ص 127.

168. Shaw. Op.cit, p 194.

169. Tassy. Op.cit, p 155.

170. Gramaye. Op.cit, p 205.

171. جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص 364.

172. Robin (N). op.cit, p 134.

173. شوفاليه، كورين، المصدر السابق، ص 45.

174. Feraud (L. CH). « Zebouchi et osman bey ». ***R.A***, T 6 (1862), P 134.

175. د.سعد الله، أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الحديث*** ...، ص 34.

176. Tassy. Op.cit, p 155.

177. شيدر، فرنان، المرجع السابق، ص 12.

178. Belhamissi, Moulay. ***Alger la ville aux mille canons.*** ENAL, Alger,1990, p 15.

179. Bouabba, Yamilé ، Op. cit, p 12.

180. الزهار، أحمد الشريف، ***مذكرات نقيب اشراق الجزائر***، (تحقيق المدني أحمد توفيق)، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص.ص 97 – 98.

181. Bouabba, Yamilé. Op. cit, p 42.

182. الإسعيدوني، ناصر الدين، ***الجزائر في التاريخ***...، ص 43.

183. دائرة المعارف الإسلامية، (***مادة الجزائر***)، المجلد السادس، ص 374.

184. لمزيد التوضيح والتفاصيل حول هذه الثورات. أنظر:

Grammont (H.D de). Op.cit. pp 364 –366, 373 et 383 – 385.

185.المدني، أحمد توفيق، ***محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 -1791*** (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.ص 97.

186.الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص 23.

187.Robin (V). «Les ould Ben Zemoum» . ***RA***, 1875, p.34.

188. Robin (V). Ibid. pp 36 – 38.

189.اكتفينا عند الحديث على هذه الثورات بذكر بعض القيادات دون التفصيل فيها، ولمزيد من المعلومات. راجع: شويتام، أرزقي، المرجع السابق، ص.ص 77 –93.

190.العنتري، محمد صالح بن، ***مجاعات قسنطينة***، (تحقيق وتقديم يونار رابح). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 29.

191.حول تفاصيل هذه المعركة. راجع: الزهار،المصدر السابق، ص 86.

192.نفس المصدر، ص 87.

193.الزياني، محمد بن يوسف، ***دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران*** (تقديم وتعليق البوعبدلي المهدي). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 208.

194. نفس المصدر، ص208.

195.Grammont (H.D de). Op. Cit, p.365.

196. الزهار، المصدر السابق، ص87.

197.نفس المصدر، ص 159.

198.الزياني، المصدر السابق، ص244 .

199 الزهار، المصدر السابق، ص159.

200 الزياني، المصدر السابق، ص 247.

201. Gaïd Mouloud, Op.cit, p 205.

202 سيرد ذكر معلومات حول هذه الحادثة، وحول الآغا إبراهيم ودوره في مواجهة الحملة الفرنسية في الفصل الرابع عند الحديث عن الاحتلال الفرنسي.

203 د. سعد الله، أبو القاسم، ***محاضرات...***، ص 36.

204. Renaudot. Op.cit, p 110.

205. Boyer, Piérre. Op.cit, p 138.

206 أنظر: Venture de Paradis. Op.cit, p 167.

د. سعيدوني، ناصر الدين، ***النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)***. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 128.

207. Laugier de Tassy. Op.cit, p 152.

208. د. سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي ...، ص 129.

209. Shaw. Op.cit p 189.

210. Belhmissi, Moulay. ***Marine et marins d'Alger à l'époque ottomane (1518-1830)*** (Thèse de doctorat), Bordeaux, 1986, p 230.

211. Venture de Paradis. Op.cit, p 167.

212. الجزائر، المكتبة الوطنية (قسم المخطوطات)، مجموعة 1642، ورقة 9.

213. الزبنطوط: كلمة عثمانية من أصل فارسي، تكتب " إزباندود " أو "إزبانديت" وتعني قاطع طريق أو لص. أنظر: حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 135.

214. Venture de Paradis. Op.cit, p 161.

215. Grammont (H.D de). Op.cit, p 46.

216. Deny (J). "les registres ...", p 44.

217. Tassy. Op.cit, p 152.

218. مجموعة 3190، الملف الأول،(قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 35.

219. Boutin. Op.cit, p 142.

220. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 93.

221. Venture de Paradis. Op.cit, p 161.

222. Gramaye. Op.cit, p 198.

223. المصدر السابق، ص 27.

224. أنظر: جون.ب. وولف، المرجع السابق، ص 124.

وأيضا Boyer, Pierre. Op.cit, pp137-138.

225. العنتري، محمد الصالح بن، ***مجاعات قسنطينة*** (تحقيق وتقديم رابح بونار)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 14.

226. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 120.

227. Léon, Gabriel. ***L'Algérie ancienne et moderne***. Librairie furne jouvet et cie, éditeurs, Paris, 1984, p 237.

228. الجزائري، محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص.ص 31، 32.

229. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 137.

230. Venture de Paradis. Op.cit, p 162.

231. Boyer, Piérre. Op.cit, p 139.

232. Grammont (H.D de). Op.cit, pp 162-189.

233. حول دور اليهود وعلاقتهم بالدايات راجع الفصل الثاني.

234. Grammont. Op.cit, p 374.

235. والزهار، المصدر السابق، ص 115.

236. راجع: Venture de Paradis. Op.cit, p 179. Tassy. Op.cit, p 126.

237. Shaw. Op .cit, p 184.

238. Venture de Paradis. Op.cit, p 165.

239. IBID. p 130.

240. Devoulx (A). ***Tachrifat*** (recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger). imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.pp 30 et 33.

الفصل الثاني

حياة الإنكشارية داخل المجتمع الجزائري.

1830 - 1700

أ- علاقتهم بفئات السكان.

1. علاقتهم بالأهالي.
2. علاقتهم بالمسيحيين.
3. علاقتهم باليهود.

ب- وضعيتهم الاجتماعية.

1. المصاهرة.
2. الأخلاق.

ج- علاقتهم بالمرابطين والزوايا.

د- نظامهم القضائي.

هـ- حياتهم خارج الخدمة العسكرية .

و- نشاطاتهم الاقتصادية.

شكل الجنود الإنكشاريون فئة متميزة داخل المجتمع الجزائري، إذ انفصلوا عنه واحتقروا باقي الفئات، وكان الغرض من ذلك محاولتهم الحفاظ على امتيازاتهم وسطوتهم السياسية، إلا أن ذلك لم يمنعهم من إقامة علاقات مع السكان الأصليين الذين تربطهم بهم علاقة الدين الإسلامي، أو مع الفئات الأخرى بدافع المصلحة أو الحاجة، وكان من مظاهر هذا التقارب إقبال هؤلاء الجنود على الارتباط بالأهالي عن طريق الزواج، مما نتج عنه ظهور فئة جديدة تسمى "الكراغلة".

وكان الإنكشارية في بداية عهودهم يتميزون بحسن الخلق والورع، حيث ربطوا مجيئهم إلى إيالة الجزائر بدافع الجهاد في سبيل الله، ولكن في العهود الأخيرة انتشر بينهم الفساد بعد ما فتح باب التجنيد لأي شخص دون مراعاة للشروط، فأصبح هؤلاء مصدرا للفوضى والاضطرابات.

وإذا كان المذنب من عامة السكان فإنه يعاقب علنا في إحدى ساحات المدينة، أما إذا كان من "اليولداش" فإنه يعاقب سرا في دار آغا الإنكشارية، والغرض من ذلك الحفاظ على هيبة الجنود.

وكان الإنكشارية لا يكتفون بما يتقاضونه من أجور مقابل خدمتهم العسكرية، بل لجأوا إلى ممارسة المهن والتجارة خلال عطلتهم التي تدوم عاما كاملا أو بعد إحالتهم على التقاعد، والغرض من ذلك زيادة مداخيلهم وتحسين أحوالهم المعيشية.

أ- علاقاتهم بفئات السكان:

اعتبر الجنود العثمانيون أنفسهم فئة متميزة داخل المجتمع، حيث احتلوا قمة الهرم الاجتماعي وعاملوا بقية الفئات الأخرى معاملة خاصة، تحكمت فيها المصالح المشتركة والظروف المختلفة، وكانت تراوح بين التحالف أحيانا والتنافر والتصادم أحيانا أخرى.

1. علاقتهم بالأهالي:

من الجدير بالذكر أن مجيء الأتراك العثمانيين إلى المغرب الأوسط -الجزائر فيما بعد- كان استجابة لنداء النجدة الذي قدمه السكان ضد الإسبان كما سبق ذكره، وكان من نتائج ذلك أن ظهر تحالف بين الطرفين ضد الخطر الصليبي -الجهاد في سبيل الله-، وقد ساهم هذا العامل إضافة إلى وحدة المعتقد والولاء للسلطان العثماني في توثيق الصلة بين الجميع، غير أن هذا لم يمنع من ظهور محاولات انفصالية (انقلابية) كمحاولة ابن التومي في عهد عروج أو أحمد بن القاضي في عهد خير الدين[1]، وأصبحت هذه المحاولات أكثر شيوعا بين الأهالي بعد تراجع الخطر الإسباني وانحصاره في وهران والمرسى الكبير، فعمل الأتراك على إخمادها عن طريق حلفائهم من القبائل والمرابطين ورجال الدين[2]، وقد ساهمت هذه السياسة في إخضاع السكان ومحاصرة القبائل الثائرة وقمعها بتفكيك وحدتها ومنع التحالفات فيما بينها باللجوء إلى "سياسة فرق تسد".

ومن العوامل التي عجلت في تدهور العلاقات وزوال المصلحة المشتركة بين الأهالي والجنود الإنكشارية، هي تصرفات هؤلاء مع السكان وكأنهم في بلد محتل، حيث اضطهدوهم وظلموهم، خاصة بعدما انتشر بين الجنود الفساد والرشوة وفكرة التعالي[3]، وكان من مظاهر هذا التمييز أن تمنع الأهالي من الانخراط في الجندية، وكل ما سمح لهم به أن يكونوا جنودا متطوعين لحماية مناطقهم من أي اعتداء[4]، كما أصبح الإنكشارية الذين تعود أصولهم إلى طبقات وفئات اجتماعية منحطة يرفضون أي فكرة لمساواتهم مع الأهالي، بل وفرضوا عليهم مظاهر الخضوع والاحترام، فكان الجزائري إذا صادف أحد *اليولداش*" في الشارع يحيه بلقب "أفندي"[5]. ووصل الحد أن أصبح هؤلاء الجنود مصدر خوف بالنسبة للسكان، إذ تذكر المصادر مثلا أن جنديا واحدا كان يثير الرعب في عدد كبير منهم[6].

وإذا كان الأتراك قد تميزوا بالتكبر والظلم، فإن شهادات الرحالة والقناصلة تبين أن الأهالي تميزوا بحسن الخلق وحبهم للسلم والكرم، وإذا كان بعضهم قد صبر على اضطهاد الأتراك فإن آخرين "لجأوا إلى الجبال حيث أصبحوا يعتمدون في عيشهم على السلب والنهب ضد الجيش التركي خلال توجهه لجميع الضرائب"[7]، بل ووصل بهم الحد –حسب هذه المصادر- أن أصبحوا يتحينون الفرصة للتخلص منهم وقلب نظام الحكم[8].

ولعل ما يؤكد شهادات هؤلاء الأوربيين، ذكر كثير من المصادر العربية المعاصرة للجور والانحطاط الذي تسبب فيه الأتراك بسبب تعسفهم وتحولهم من منقذين إلى محتلين، وفي هذا المجال يصف "الدرعي" في رحلته أثناء القرن الثامن عشر الميلادي مدى الخراب والدمار الذي تعرضت له مدينة بسكرة، ودور الجنود العثمانيين في ذلك، حيث يذكر أنهم تمكنوا من السيطرة عليها بعدما بنوا حصنا لمراقبتها، وأنهكوا أهلها بالضرائب، والذين لم يستطيعوا الثورة عليهم لتحكمهم في مصدر المياه

للمدينة وسكانها[9]، أما الباي محمد الكبير فكان أثناء حصار وهران يرسل المؤونة إلى شيوخ رباط إيفري خفية دون علم الجنود الأتراك الذين "كانوا يحسدون أبناء العرب ويحقرونهم بما لهم عليهم من الملك"[10].

وإلى جانب ذلك فإن الشعر خلد كثيرا مما عاناه الأهالي من ظلم الأتراك وجورهم، فلقد وصفهم سعيد المنداسي أثناء القرن الحادي عشر هجري / السابع عشر ميلادي بأشنع الأوصاف، وذكر ما عانته تلمسان على أيديهم ومما قاله[11].

فما دب فوق الأرض كالترك مجرم ولا ولدت حواء كالترك إنسانا

أما مسلم بن عبد القادر -باش كاتب لدى الباي حسن الأخير بوهران-، فعايش دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر وفشل الإنكشارية في صدهم، حيث أرجع ذلك إلى ظلمهم مما جعل الله يخذلهم أمام عدوهم، وقد خلد ذلك في قصيدة طويلة مما جاء فيها:[12]

في فـج من محرم بها ظفر بعد قتال ذريع نال الوطر

جمعهم والباشا في أكباله أسلبهم الله ملكهم في حاله

بعد العصيان والطغيان فلهم أموالهم أخذها والأسلحة

غراب البين نص في حرج العقاب قد اطمأن قلبه من العقاب

خلاله الجـو فمد رجله لما طوى ملك الأتراك رحله

أدبهم ربهم لما طغوا عرفهم بغدرهم لما بغوا

2- علاقتهم بالمسيحيين:

تشكل جماعة المسيحيين في إيالة الجزائر من فئتين: فهم إما أطفال مسيحيون مجلبوا إلى الإيالة من طرف الرياس بعد غارات بحرية حيث بيعوا إلى الأعيان الذين اعتنوا بتربيتهم على أسس إسلامية، أما الآخرون فجنود تم أسرهم وبالتالي اعتبروا عبيدا، ويظهر أن كثيرا منهم اعتنقوا الدين الإسلامي بعدما يئسوا من افتداء أنفسهم فأصبحوا "أعلاجا". وسمح لهؤلاء "المرتدين" الانخراط في فرقة الإنكشارية منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، فتحصلوا بذلك على نفس الامتيازات التي تمتع بها زملاؤهم الأتراك[13].

ومع حلول القرن الثامن عشر ميلادي أصبح عدد هؤلاء المرتدين ملفتا للانتباه داخل الفرقة العسكرية، وربما يرجع ذلك إلى تناقص عدد المجندين الوافدين من بلاد المشرق[14]، كما أن الكثير منهم تمكن من تولي مناصب عليا في حكومة الإيالة.

وإذا كان بعض المسيحيين قد أصبحوا "أعلاجا"، فإن بعضهم الآخر فضل البقاء على ديانته وبقي يعامل كعبد، وكان قسم منهم يخصص للبايلك أما ما تبقى فيقوم النخاسون ببيعهم في أماكن مخصصة لذلك، وكان هؤلاء العبيد يُستخدمون في الحانات، السجون، الثكنات، أو يسخرون للخدمة في قصر الداي ومنازل الأعيان -بعدما يتم خصيهم-، وقد يعملون في البساتين أو كمجذفين في السفن.

وكان بعض الأسرى يقيمون في بنايات تابعة للبايلك يطلق عليها الحمامات أو "البانيولار BAGNES"، وقدر عددها على عهد "بارادي"بثلاث حمامات[15].

وقد اعتبر الأسرى مصدر دخل لخزينة الإيالة لما كان يدره افتداؤهم من أموال، وعلى سبيل المثال أن دولة إسبانيا كانت تدفع سنويا حوالي ستين ألف قرش لافتداء ما بين مائتين وثلاثمائة أسير[16]، ولكن أهمية الأسرى تراجعت منذ بداية القرن الثامن عشر مع تراجع دور البحرية، وكاد عددهم يندثر بعد حملة "اللورد إكسموت" عام 1816 حيث تم إطلاق سراح ألف ومائتين أسير دون مقابل[17].

2- علاقتهم باليهود:

شكل اليهود إحدى الفئات الاجتماعية التي سكنت الجزائر وتمكنت من ربط علاقات مع العثمانيين[18]، فلقد استطاع الكثير منهم الانخراط في إنكشارية الجزائر شريطة إسلامهم، إلا أنه ابتداء من شهر ديسمبر 1580 أصدر جعفر باشا قرارا يمنعهم من ذلك، بعدما تأكد الجنود أن كثيرا منهم لم يسلم إلا نفاقا بغرض الانخراط في الجيش لما يمنحهم هذا المنصب من امتيازات ويمكنهم من توفير حماية لإخوانهم الذين كان الجميع يحتقرهم، إضافة إلى منح أبنائهم فرصة ليصبحوا بدورهم جنودا في المستقبل[19].

ويظهر أن اليهود تعرضوا لمعاملة قاسية من طرف السكان عامة والعثمانيين خاصة، إذ فرضت عليهم تصرفات وعادات كإجبارهم على لبس لباس أسود أو أبيض من الرأس إلى القدمين، وكل من لا يحترم هذه القوانين فإن مصيره العقاب الشديد، ففي يوم 13 ديسمبر 1788 تم القبض على كل اليهود الذين أخلوا بالقانون، وعوقب كل واحد منهم بثلاثمائة جلدة[20]، أما إذا ارتكب اليهودي جريمة فإن عقابه يكون بحرقه حيا.

كما فرض على اليهود دفع الجزية وضرائبا باهضة أخرى، وكانت ممتلكاتهم وأرزاقهم معرضة للنهب من طرف الجنود الإنكشارية، وقد دفعهم هذا الوضع إلى أن يعيشوا في خوف دائم، كما

أجبرهم البايلك على القيام بأعمال السخرة التي كانت تؤدى بدون مقابل، ففي عام 1810 وبسبب غزو الجراد أجبرهم الداي حاج علي باشا على حراسة حدائقه وبساتينه ليلا ونهارا[21]. وبالتالي فإن اليهود اعتُبِروا في ذلك العهد فئة دنيا داخل المجتمع، وقد يكون وراء هذه المعاملة القاسية تخوف العثمانيين من مؤامراتهم ومكرهم.

غير أن تدهور أوضاع إيالة الجزائر ابتداء من القرن الثامن عشر ميلادي مكن عددا من الأسر اليهودية أن تلعب دورا كبيرا وخطيرا بعدما أصبح الدايات يلجؤون إليهم لحل كثير من مشاكلهم، ويظهر أن تراجع غنائم الجهاد البحري في هذه الفترة والتي قابلها تزايد في مطالب الجنود المادية، دفع هؤلاء الحكام إلى التقرب من اليهود الذين استطاعوا جمع ثروة طائلة عن طريق ممارسة التجارة[22]، وقد يكون وراء هذا التقارب كذلك محاولة الدايات البقاء لأطول مدة ممكنة بعدما أصبحوا عرضة للعزل والاغتيال من طرف الجنود.

تمكن الباشاوات من توفير الاستقرار المالي للإيالة وتأمين دفع منتظم لأجور الجنود، بفضل الاعتماد على اليهود الذين احتكروا التجارة والشؤون المالية، كما أشرفوا على صك النقود ومراقبتها وتبديلها، وأصبحوا وسطاء بين دول أوربا والجزائر[23].

وقد استطاع اليهود بفضل هذا التقارب من الحصول على حظوة لدى العثمانيين الذين ساندوهم ودافعوا عنهم في كثير من الأحيان، ومن ذلك أن يهوديا يدعى المختاري من مدينة قسنطينة أعلن إسلامه وأصبح جنديا في جيش الباي، ولكنه تطاول على النبي -ﷺ- فانقسم رأي العلماء إلى قسمين، فهناك من أفتى بقتله وساندهم في ذلك الأهالي، وهناك من أفتى بغير ذلك وكان على رأسهم

الباي والعلماء الموالين له والجنود، الذين هددوا بالثورة إذا قُتل هذا الجندي، وفي الأخير أُعدم خوفا من ثورة السكان وليس استجابة لفتوى العلماء[24].

ويظهر من الواقعة السابقة الذكر أن اليهود كانوا في كثير من الأحيان وراء توتر العلاقات بين العثمانيين والأهالي، فقد كان لشركة "نفتال بوشناق" وكلاء موزعين في كل أنحاء الإيالة مكلفين بشراء الحبوب من الفلاحين، إلى جانب قيامهم بدور "جهاز للمخابرات"، إذ كانوا يتجسسون على السكان ثم يجمعون معلومات يقدمونها إلى الدايات، وهكذا أصبح هؤلاء تحت رحمة اليهود الذين زادت حضوتهم ومكانتهم داخل الحكومة[25].

زاد تأثير اليهود وخطرهم في عهد الداي حسن باشا (1791- 1798) وخليفته الداي مصطفى باشا (1798- 1805)، حيث أصبح اليهوديين يوسف بكري ونفتال بوشناق يتصرفان في الشؤون الداخلية والخارجية للإيالة بكل حرية، فلقد كان فرع شركة بكري- بوشناق في باريس يمثل مصالح الجزائر لدى الحكومة الفرنسية في عهد الداي حسن باشا[26]، أما في عهد الداي مصطفى باشا فإن بوشناق أصبح الحاكم الفعلي لإيالة الجزائر، حيث كان يعين من يشاء في وظائف الحكومة ويحدد قيمة الضرائب وأسعار السلع، وقد دفع هذا الوضع قنصل إسبانيا أن يطلق عليه "نائب ملك الجزائر"[27]، كما أن هذا الداي لم يبادر إلى إعلان الحرب على فرنسا بعد حملتها على مصر عام 1798م بفعل التأثير اليهودي، ولو لا ضغط وتهديد الباب العالي بتوقيف تجنيد المتطوعين من المقاطعات العثمانية – كما سبق ذكره- لما أعلن الحرب عليها[28]. ولقد تولد عن التقارب بين الداي مصطفى باشا واليهود ظهور سخط بين السكان والجنود، نتج عنه مقتل نفتال بوشناق على يد أحد الجنود الإنكشارية في يوم 25 جوان 1805م، ثم اغتيال الداي مصطفى باشا وتعيين خوجة الخيل أحمد دايا[29].

وعلى العموم فإن علاقة الإنكشارية العثمانيين مع السكان تميزت بعدم الثبات إذ تراوحت بين التقارب والتحالف أحيانا والصراع والتنافر أحيانا أخرى، ولعل المصالح المشتركة والظروف السياسية والاقتصادية هي التي تحكمت في هذا التغير والتبدل في العلاقات، كما كان للدين دور كبير في هذا الميدان، فكان اليهودي أو المسيحي بمجرد إسلامه يُعامل كبقية المسلمين، غير أن هذا الاحتكاك مع فئات السكان لم يكن إلا ظرفيا ومحدودا، حيث أن حكام وجنود الجزائر انعزلوا وانغلقوا على أنفسهم باعتبارهم غرباء عن بلاد لا يعرفون عادات وتقاليد أهلها.

ب- وضعيتهم الاجتماعية:

1- المصاهرة:

في بداية الأمر اعتُبر الجنود الذين تم جمعهم عن طريق *"الدوشرمة"*[30] خداما للسلطان والإمبراطورية فقط، ولهذا حُرِموا من الزواج حيث فرضت عليهم حياة العزوبة، إلا أنه ابتداء من عهد السلطان سليم الأول (1512- 1520م) صدر قانون يبيح للمتقدمين منهم في السن بالزواج بعد الحصول على موافقته شخصيا[31]، ويعني ذلك أن إباحته عاصرت الفترة التي أصبحت فيها الجزائر إيالة عثمانية، حيث بادر كثير من رفاق الاخوة بابربروس إلى مصاهرة السكان المحليين وبالتالي زاد ارتباطهم بالإيالة.

والجدير بالذكر أن كثيرا من الجنود الشباب كانوا يقبلون على الزواج في سن مبكرة خاصة في أواخر العهد العثماني[32]، رغم أن قانون الإيالة كان يشجعهم على حياة العزوبة عن طريق الامتيازات الممنوحة لهم والتي يحرمون منها بمجرد إقبالهم على الزواج.

وكان *"اليولداش"* المقبل على الزواج مضطرا إلى الحصول على إذن كتابي من آغا الإنكشارية والذي بموجبه يوقع القاضي على العقد، بعد ذلك يرسل الكاهية معه شاوشا إلى *"أشجي باشي"* المكلف بالتموين ليشطب اسمه من قائمة الجنود العزاب، وبالتالي يحرم من كل الامتيازات ومنها الإقامة في إحدى الثكنات مجانا، والحصول على أربع خبزات يوميا بدون مقابل وشراء اللحم بثلث سعره من السوق[33]، كما يحرم من تولي بعض الوظائف كوظيفة "الخوجة"[34]، ووظيفة "بيت المالجي"[35]، أي أنه يضطر إلى الحصول على الغذاء والإقامة في مسكن بالمدينة على نفقاته الخاصة، إلا أنه كان بإمكانه استعادة كل امتيازاته بمجرد تطليق زوجته أو وفاتها[36].

وإلى جانب تضييع الجنود المتزوجين لامتيازاتهم، فقد فرض على كبار موظفي الإيالة نوع من حياة العزوبة، ومن ذلك أن الباشا اعتبر أبا لكل الجنود، و لم يسمح له باصطحاب عائلته إلى قصر الجنينة مقر الحكم، إلا أن القانون كان يبيح له زيارتها في منزله الخاص وذلك كل يوم خميس بعد صلاة الظهر، على أن يعود إلى مقر الإمارة يوم الجمعة بعد أداء الصلاة[37]. وقد حاول بعض الدايات إلغاء هذه العادة إذ بادر الداي علي باشا (1809- 1815) بإسكان زوجته في منزل محاذي لدار الحكم، وفتح بابا بين الدارين، مما سبب مشكلة بينه وبين أعضاء الديوان الذين أجبروه على غلق الباب[38]، ونفس القانون كان يطبق على آغا القمرين، حيث كان يضطر إلى أن يعيش حياة الجندي الأعزب خلال الشهرين اللذين يقضيهما في منصبه[39].

ومما يدعو إلى الاستفسار هو عدم تشجيع الإيالة للجنود على الزواج وترهيدهم فيه، وقد يكون وراء ذلك عوامل متعددة ومنها أنها كانت الوريث الوحيد والشرعي لكل إنكشاري أعزب يتوفى أو يقع في الأسر، في حين أن المتزوج منهم ترثه عائلته، ولهذا كانت الإيالة تكتفي بأن تدفع له أجرته كل

شهرين قمريين مع حرمانه من كل الامتيازات، وإلى جانب ذلك كانت الحكومة تتخوف من تزايد أعداد الكراغلة داخل المجتمع، مما يهدد السيطرة التركية ويزيد في ارتباط الجنود بالأهالي، وتراجع قدراتهم القتالية لتخليهم عن مهامهم العسكرية والانشغال بالأمور العائلية.

وإذا كانت غاية بعض الجنود من الإقبال على الزواج هي الاستقرار وتكوين أسرة، أو سعيا لتحسين أحوالهم المادية بمصاهرة عائلات ميسورة الحال، فإن كثيرا من حكام الإيالة وكبار المسؤولين كانوا يتزوجون لأهداف سياسية محضة من خلال مصاهرة الأعيان الجزائريين. ومن الملاحظ أن هذا النوع من الزواج انتشر بكثرة في بداية العهد العثماني، حيث كان الأتراك بحاجة إلى دعم السكان لتوطيد حكمهم في المنطقة، فلقد سعى عروج إلى الارتباط بزفيرة زوجة ابن التومي -كما سبق ذكره-، أما حسن بن خير الدين فتزوج من امرأة تنتمي إلى أسرة ابن القاضي بإمارة كوكو بهدف تركيز سلطته[40].

ورغم تناقص ظاهرة الزواج السياسي في أواخر العهد العثماني بعد انتشار الفساد الأخلاقي بين إنكشارية الجزائر ونظرتهم المتعالية وانعزالهم عن بقية الفئات الاجتماعية وتفضيل الكثير منهم حياة العزوبة، فإن بعض الدايات والبايات لجؤوا إلى الزواج بنساء البلاد ومن ذلك مصاهرة الداي علي خوجة (1817- 1818) للمفتي المالكي وقد زاد ذلك في حب الأهالي له وتعلقهم به[41]، ويظهر أنه فعل ذلك بسبب خلافاته مع الجنود الإنكشارية وسعيه للحصول على دعم الأهالي ضدهم، كما أن كثيرا من البايات استطاعوا توفير الأمن والاستقرار في بايلكاتهم بفضل مصاهرتهم للأعيان، فلقد تمكن باي وهران بوشلاغم من البقاء في الحكم لمدة ثلاثين سنة بفضل ارتباطه بشيوخ المنطقة عن طريق الزواج، وصاهر باي قسنطينة "أحمد القلي" أسرة بوعكاز شيخ العرب، وأحمد باي أسرة المقراني[42].

وعلى العموم فإن الإقبال على الزواج وانتشاره بين الجنود الإنكشارية ساهم في ارتباط هؤلاء بإيالة الجزائر وإخلاصهم في الدفاع عنها ضد كل الأخطار، وقد زاد ارتباطهم بالأهالي الذين وجدوا في ذلك حماية لهم ضد كل تعسف أو ظلم يتعرضون له.

ولعل أهم نتيجة تولدت عن زواج الإنكشارية بنساء البلاد، كانت ظهور فئة اجتماعية ثالثة تمثلت في جماعة الكراغلة التي استطاعت أن تقوم بدور كبير في تاريخ الإيالة السياسي والاجتماعي[43].

ورغم أن الكراغلة كانوا أبناء للجنود الأتراك إلا أنهم اعتبروا أقل مكانة منهم بل وحرموهم من الحصول على الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها هؤلاء، مما نتج عنه في كثير من الأحيان مواجهات مسلحة بين الآباء والأبناء، كانت أخطرها تلك التي اندلعت في عام 1630م بمدينة الجزائر، حيث قام الكراغلة بتواطؤ مع فرقة زواوة العاملة في الجيش وجماعة الحضر بتمرد هدفه قلب نظام الحكم وطرد الأتراك، الذين تفطنوا للمؤامرة وتمكنوا من قمعها بعد تفجير مخازن البارود بحصن الإمبراطور، ومقتل عدد كثير من الثوار، وكان من نتائج ذلك أن مُنع الكراغلة من تولي الوظائف الحساسة، ونفي الكثير منهم خارج المدينة لإبعاد خطرهم، فقد فضل العديد منهم الإقامة في منطقة وادي الزيتون بنواحي الأخضرية، حيث اعتزلوا السكان وامتهنوا الزراعة والتجارة[44].

رغم أن الكراغلة اعتبروا في المرتبة الثانية بعد آبائهم داخل مجتمع الإيالة، فلقد تمتعوا بمجموعة من الحقوق لم تكن ممنوحة للأهالي الذين كانت تربطهم بهؤلاء علاقة القرابة، ومن هذه الحقوق أن سُمح لهم بالانخراط في فرقة الإنكشارية منذ العهود الأولى للإيالة[45]، في حين كان الجنود العزاب يعملون على الحد من تزايد أعدادهم داخل الفرقة، ويظهر أنهم نجحوا في ذلك بعد اضطرابات عام 1630م، غير أن

هذا الوضع لم يكن إلا ظرفيا فسرعان ما سمح لهم بتسجيل أنفسهم في فرق الأوجاق، بموجب نص قانوني ورد في وثيقة "عهد الأمان" لعام 1748م والذي يبيح صراحة لأبناء الجنود بذلك[46].

ومقابل أداء وظيفته كان الجندي الكرغلي يتقاضى أجرة، غير أنه لم يسمح له بالحضور إلى مدينة الجزائر لتلقيها، بل كانت تدفع له في مكان عمله أو يوكل أحد اليهود لهذه المهمة[47]، ويظهر أن الغرض من ذلك كان إبعاد خطر الكراغلة عن المدينة، ومنعهم من التفكير في قلب نظام الحكم مرة أخرى.

وإذا كان القانون يبيح للكراغلة الانضمام إلى جيش الجزائر، فإنه كان يعتبرهم أقل درجة من زملائهم الجنود المجندين من خارج الإيالة، والذين كان بإمكانهم الوصول إلى أعلى الرتب وتولي كل المناصب العسكرية، في حين كان الكراغلة محرومين من تولي وظائف ومهاما كثيرة، ومنها وظيفة "النوباجية" المكلفين بحراسة قصر الداي[48]، أو وظيفة "الجاوشية ذوي القفطان الخضراء" المكلفين بالقبض على الإنكشارية[49]، كما أن ترقيتهم سرعان ما تتوقف عند رتبة "*بلوك باشي*"، مما يحرمهم من الرتب السامية في الجيش كرتبة "آغا الصبائحية" ورتبة "*الكاهية*" أو "*باشي بلوك باشي*" التي تمكنهم بعد شهرين قمريين من تولي منصب "آغا الإنكشارية" التي تعتبر أعلى رتبة في الجيش[50].

إلا أن الملاحظ منذ بداية القرن الثامن عشر، هو تغير في موقف الأتراك تجاه الكراغلة الذين استطاع الكثير منهم الوصول إلى مناصب سامية في البايلكات، وأهمها منصب الباي ومن هؤلاء مصطفى العمر (1736-1748) باي وهران، محمد الذباح (1768-1771) باي التيطري، الحاج أحمد (1826-1837) باي قسنطينة[51]. وقد تزايد دورهم بشكل ملحوظ في أواخر عهد الإيالة، حيث شاركوا في كثير من الأحداث مما جعلهم أكثر تأثيرا خاصة بعد تراجع دور فرقة الإنكشارية،

ففي عام 1808م منعوا جنود الأوجاق من نهب بعض أحياء مدينة الجزائر، وفي 1813م أفشلوا محاولة الداي حاج علي للتخلص منهم، كما وقفوا إلى جانب الداي علي خوجة عام 1817م للقضاء على تمرد الإنكشارية[52].

وعلى العموم فرغم تزايد عدد الكراغلة بشكل ملحوظ في الفترة المتأخرة للعهد العثماني فإنهم عجزوا عن تشكيل قوة منافسة لآبائهم الأتراك، ولهذا اهتموا بزيادة ثرواتهم، ولعل من أسباب فشلهم كذلك انعزالهم عن الأهالي وعدم اللجوء إلى التحالف معهم، ولو تم ذلك لأمكنهم الحد من نفوذ الإنكشارية وإقامة حكم وطني جزائري مستقل.

2- الأخلاق:

تتحدث معظم المصادر المعاصرة بكثير من الإسهاب والتفصيل عن أخلاق الإنكشارية، وكثيرا ما كان ذلك بدافع الحقد على هؤلاء خاصة بالنسبة لأولئك الذين لقوا معاملة قاسية من طرفهم، في حين وُجد آخرون يتحدثون عنهم بكثير من الإعجاب والمدح، ولا يعدو ذلك أن يكون بدافع الموضوعية المحضة أو العاطفة القوية، فإلى أي مدى تميز هؤلاء الجنود بحسن الخلق أو سوءه؟ وبعبارة أخرى أي الرأيين أقرب إلى التصديق؟ أم أن كلاهما يحتوي على جزء من الحقيقة؟.

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين عرف إنكشارية الجزائر بالخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة، تلك المميزات التي انعدمت لدى كثير من الجيوش الأوربية آنذاك بشهادة العديد من الرحالة والقناصلة الأوربيين الذين زاروا الجزائر وأعجبوا بتصرفاتهم وانضباطهم، مما جعل أحد هؤلاء القناصلة يشبهها: "بتصرفات أشخاص تعلموا في مؤسسات دينية"، وهذا ما دفع السيد فليب سيدني "Philippe Sidney" إلى القول بأنه: "يجب أن نتعلم الكثير منهم"[53]، أما "هايدو" فيذكر بأن الجنود في

عهده كانوا يتميزون بالخضوع والطاعة لضباطهم، ومعاملتهم الإنسانية لبعضهم البعض ومع الأصدقاء، كما أنهم كانوا لا يتخاصمون فيما بينهم، ويحافظون على نظافتهم ونظافة أسلحتهم[54]، ومن هذه الشهادات نستنتج الأسباب التي دفعت السكان إلى الالتفاف حول العثمانيين ومساندتهم ضد كل الأخطار الداخلية والخارجية، هؤلاء الذين وجدوا سهولة في تدعيم وجودهم بالمنطقة وتوسيع حدود الإيالة دون عناء كبير.

ويظهر بأن عددا من الجنود حافظوا على حسن السيرة حتى في أواخر العهد العثماني، لما أصبح الإنكشارية أكثر إثارة للفوضى والاضطرابات، ويستخلص ذلك من المصادر المتأخرة التي تنعتهم بحسن الخلق وحب التضحية والتقشف في الحياة[55]، فيحدثنا حمدان خوجة بأنهم كانوا يتميزون "بالقناعة والشرف والكرم ... ومن النادر أن تجد سارقا أو قاتلا من بين هؤلاء الجنود"[56].

غير أن وصف حمدان خوجة لم يشمل كل الجنود الإنكشارية، إذ أن كثيرا منهم انتشر بينهم سوء الخلق والنهب وإثارة المشاكل، فشكلوا مصدرا للخوف بالنسبة للسكان وحتى الباشاوات الذين عملوا على إرضائهم بشتى الطرق والأساليب، فعند مقارنته بين إنكشارية الجزائر ومثيلتها في تونس وطرابلس الغرب يذكر الأميرال الروسي "كوكوفتسوف kokovtsov" الذي زار الجزائر عام 1787م بأن: "الميليشيا الجزائرية تتفوق على ميليشيا تونس وطرابلس بعنفها وسوء أخلاقها ... ولا ينتظر منها شيء حسن"[57]، غير أن هذا الوصف فيه كثير من الإجحاف، حيث أن ظاهرة الانحطاط شملت كل إنكشارية الدولة العثمانية و لم تقتصر على إيالة الجزائر دون غيرها من المناطق.

وإذا حاولنا تفسير أسباب هذا التحول الجذري في أخلاقهم، فإن هؤلاء كثيرا ما كانوا ينظرون إلى تغيير عاداتهم وتصرفاتهم بمجرد وصولهم إلى الإيالة، ظنا منهم أن ذلك يمكنهم من السيطرة على السكان بتخويفهم والوصول إلى مراتب عليا في هرم السلطة[58].

ويمكن أن نحدد نهاية القرن السابع عشر الميلادي كبداية لهذا التحول بعدما رأى هؤلاء أن كثيرا من السكان أصبحوا ينظرون إليهم بعين الرهبة والخضوع[59]، ويضاف إلى ذلك توسيع مناطق التجنيد، وبالتالي السماح لفئات مختلفة بالانخراط في إنكشارية الجزائر، فاستقدم هؤلاء معهم عادات غريبة نتج عنها انتشار الفساد الخلقي والاجتماعي.

لقد انتشر بين الإنكشارية تناول الخمر والزنا إضافة إلى الشذوذ الجنسي والتدخين وهي مظاهر تتنافى مع التربية الدينية التي نشأ عليها الجنود الأوائل الذين جمعوا عن طريق "*الدوشرمة*".

فكان تناول الخمر من العادات المنتشرة بين الجنود العثمانيين، حيث تذكر المصادر أنه وجدت بمدينة الجزائر لوحدها ما بين سبعة وعشرين وثلاثين حانة بما فيها تلك الموجودة في السجن[60]، ويضاف إليها تلك الحانات التي توزعت على مختلف المدن التي تقيم فيها الحاميات التركية، ولقد وصل الحد في إباحتها أن وجدت في كل ثكنة حانة يتوافد عليها الجنود، ولكن بسبب الخصومات التي كانت تنشب داخلها أصدر البايلك قرارا بغلقها[61].

ومما تجدر الإشارة إليه هو إقبال هؤلاء الجنود على استهلاك كل أنواع الخمور وبكميات كبيرة جدا خاصة إذا انخفضت أسعارها، والذي قد يتصادف مع أسر إحدى السفن المحملة بأنواع الخمور، وبالتالي تصبح في متناول أي شخص[62].

وكثيرا ما كان ينجر عن الاستهلاك المفرط للخمر، أن يفقد *"اليولداش"* السيطرة على أنفسهم وبالتالي يشكلون خطرا كبيرا على غيرهم، وقد ينجر عن ذلك ارتكابهم لجرائم قتل، وفي هذا المجال يذكر الأسير "كاتكارت" حادثة قتل وقعت قرب إحدى الحانات بمدينة الجزائر، حيث قتل جندي بعد شجار مع آخر بسبب امرأة وجرح ثالث كان واقفا داخل الحانة[63].

أما الإشراف على هذه الحانات وتسييرها فكان من اختصاص اليهود[64]، كما وجدت حانات أخرى يديرها مسيحيون مثل حانة "رفاجي" التي كانت ملكا لرئيس الموظفين المسيحيين في قصر الداي، و"الفونداريا" التي يملكها "ديميتريوس DIMITRIUS" المهندس المعماري اليوناني[65].

أمام تشجيع البايلك للجنود على حياة العزوبة، انتشر البغاء في مدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة التي تمركزت بها الحاميات التركية، وكان ذلك يتم في إطار رسمي إذ تشرف عليه الحكومة عن طريق المزوار الذي تمتع بسلطة مطلقة على النساء الباغيات، حيث يقوم بجمعهن في مقر خاص، ومن هناك يتم توزيعهن حسب الطلب، ومقابل عمله كان يتقاضى منهم ضريبة يدفع منها إلى خزينة البايلك مبلغا يقدر بأربعة وعشرين ألف فرنك سنويا[66].

وللإشارة فإن هاته النساء بمجرد تسجيل أسمائهن لدى المزوار تصبحن ملكا *"لليولداش"* وتحرر من سلطة عائلاتها، وحسب "بارادي" فإن الجنود كانوا يقومون باكتراء غرفة في إحدى الفنادق لاستقبالهن، وذلك بمجرد ما يتوفر لديهم نصيب إضافي من المال[67].

إلا أن ظاهرة معاشرة النساء لم تقتصر على الجنود فقط، بل امتدت إلى الباشاوات والضباط السامين وكبار موظفي الإيالة، فالمصادر تذكر أن الداي إبراهيم (1710) كان مولعا بحب النساء لدرجة أنه كان على علم بأماكن إقامة كل جميلات المدينة، ولتلبية غرائزه كان يستغل غياب أزواجهن

في البحر أو في إحدى المحلات، ويتوجه إليهن خلسة في ساعات متأخرة بعد كسب صمت العبيد عن طريق إغرائهم بالمال أو التهديد[68].

ولكن رغم وجود البغاء الرسمي، فلقد سادت بين الجنود عادة الشذوذ الجنسي ويظهر أنها حلت مع المتطوعين الذين وصلوا إلى الجزائر، خاصة بعدما أصبح لا يراعى فيهم عند التجنيد حسن الأخلاق والتقوى، وربما قد فرضتها حياة العزوبة للجنود داخل الثكنات.

كان الحصول على هؤلاء الغلمان يتم بطرق متعددة، فقد يقوم بعض الجنود بأسر أو شراء الصبيان المسيحيين الذين يراعى فيهم شرط الجمال[69]، وفي أحيان أخرى تبادر جماعة من *"اليولداش"* إلى سرقة أطفال من الأهالي أو اليهود ليحتفظوا بهم داخل إحدى الثكنات الوقت الذي يريدون[70]، ونتيجة لذلك أصبح الكثير من الأطفال يفضلون البقاء في بيوتهم على المغامرة بالخروج إلى الشارع.

ويذكر "هايدو" أن الأتراك كانوا يغارون على غلمانهم مثلما يفعلون مع نسائهم، حيث كانوا يلبسونهم الألبسة الفاخرة ويجوبون بهم الشوارع، كما أنهم كانوا لا يخرجون إلى الحرب أو البحر دون أن يرافقهم غلمانهم الذين يحضرون لهم الطعام ويقاسمونهم السرير[71]، ومن شهادة "هايدو" نستخلص أن إتيان الذكور لم يكن نتيجة الانحطاط الذي أصاب الإيالة في أواخر العهد العثماني، بل انتشر بينهم منذ العهود الأولى لتأسيسها.

وهكذا شكلت هذه الظاهرة آفة اجتماعية خطيرة هددت تناسق المجتمع وقوضت أركانه، باعتبارها تتنافى مع الطبيعة البشرية، وقد وصلت الخطورة أن أصبح كثير من الأتراك يفضلون معاشرة المرد أو الغلمان على النساء، وكثيرا ما كانوا يلقون مقاومة عنيفة من هؤلاء قد تودي بحياتهم، ففي عام 1710م قام شاب برتغالي يبلغ من العمر ثمانية عشرة سنة بطعن سيده الذي مارس عليه ضغطا

بالمقابل وقد حكم عليه بالإعدام إذ تم ربطه بحصان قام بسحبه عبر شوارع مدينة الجزائر حتى الموت[72].

وإلى جانب الإدمان على شرب الخمر والزنا وإتيان الذكور، انتشرت بين أفراد الإنكشارية تصرفات أقل خطورة ومنها التدخين وشرب القهوة وتناول أنواع معينة من المخدرات، وحسب "لوجي دي تاسي" فإن الأتراك كانوا يشربون القهوة بحضور النساء والمرد ويلعبون الشطرنج ويتناولون الحشيش ويستمعون إلى الغناء والطرب[73].

ج- علاقتهم بالمرابطين والزوايا:

طُبع الجيش الإنكشاري منذ تأسيسه بطابع ديني، إذ اعتبر هؤلاء الجنود من أتباع الطريقة "البكداشية"[74]، ومنذ ذلك الحين تولدت علاقة وطيدة بين هذا الجيش ورجال الطرق الصوفية الذين أصبح لهم تأثير كبير على هؤلاء في دفعهم إلى الجهاد والانضباط، ومن مظاهر هذه العلاقة أن أصبح الجنود قبل دخولهم إلى المعركة يرددون دعوات وصلوات تتعلق بحاج بكداش والي الأب الروحي للطريقة الصوفية البكداشية[75].

ومع قدوم الإنكشارية الأوائل إلى إيالة الجزائر استقدموا معهم ظاهرة اتباع الطرق الصوفية، فأقاموا علاقات وتحالفات وطيدة مع "المرابطين"، مستغلين في ذلك وحدة المعتقد وصد الخطر المسيحي، وهكذا أصبح هؤلاء الشيوخ الواسطة بين العثمانيين والسكان خاصة في القرى والأرياف[76]، ومقابل ذلك منحهم الأتراك امتيازات واسعة، إذ تم إعفاؤهم من الضرائب، وأغدقوا عليهم الهدايا واستفادوا من

عائدات الأوقاف وجزء من غنائم البحر، وبعد وفاتهم أصبحت ضرائحهم مزارات وأماكن مقدسة للتبرك، وملجأ للمخالفين للقانون الذين وجدوا فيها سبيلا للنجاة من العقاب لما كان لها من حرمة[77].

وكانت الوثائق الرسمية تنص على ضرورة احترام الأولياء والمرابطين ومحاولة كسب بركاتهم ودعواتهم ونصائحهم، باعتبار أن الوجود العثماني في الجزائر هو "جهاد في سبيل الله يمكنهم -أي الإنكشارية- من الحصول على رضا الله ودخول الجنة"[78]، ولهذا كان الجنود قبل خروجهم إلى الجهاد أو الغزو يتوجهون إلى أحد الأضرحة لطلب النصر والبركة، كما كانوا يصطحبون معهم أحيانا أحد المرابطين في تنقلاتهم، ومن ذلك أن الحامية التركية التي كانت تتوجه إلى حصن بجاية سنويا تضطر أن تصطحب معها مرابطا يؤمن لها الطريق، وإذا لم تجد فإنها تسلك طريق البحر[79].

غير أن العلاقات بين المرابطين والعثمانيين سرعان ما تحولت إلى عداء وصراع، ويرجع ذلك إلى التحول الخطير الذي طرأ على سياسة الأتراك الداخلية ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادي، فقبل هذه الفترة كانوا يعتمدون على موارد الجهاد البحري لسد حاجات الحكومة، ولكن بعد الانحطاط الذي أصاب البحرية الجزائرية وتراجع غنائمها، انصب اهتمام حكومة الإيالة على زيادة الضرائب لسد هذا العجز، وكان من نتائج هذه السياسة أن شدد حكام المقاطعات (أو البايات) قبضتهم على المناطق الداخلية بمحاولة إخضاع المزيد من القبائل ونهب ثرواتها، وهكذا تحول المرابطون من وسطاء إلى مدافعين عن السكان، فتزعموا سلسلة من الثورات منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي في بايلك قسنطينة وغربي بايلك الجزائر وفي جميع أنحاء بايلك الغرب[80].

غير أن التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح في هذا الميدان، هل كان إنكشارية الجزائر متدينون حقا أم أنهم استغلوا الدين كوسيلة للتقرب من رجاله وفرض سيطرتهم على السكان؟. يرى كثير من

المؤرخون أن إسلامهم كان صحيحا، إذ واظبوا على أداء الفرائض ومنها الصلاة حيث وجدت في كل ثكنة نافورة ماء تستعمل للوضوء إلى جانب إمام يؤدي الصلاة بالجنود[81]، كما عملوا على نشر المذهب الحنفي بين السكان وأنشئوا الكثير من الكتاتيب والمدارس والمساجد التي أوقفوا عليها الأوقاف للعناية بها ودفع أجور موظفيها، وباعتبار وجودهم في الجزائر كان للجهاد في سبيل الله، فكثيرا ما كانوا يصفون انتصاراتهم وحروبهم بنوع من الأسطورة، ويذكر صاحب "الغزوات" كثيرا من الرؤى التي كان يراها المجاهد خير الدين باربروس والتي تبشره بالنصر على الكفار[82]، كما يتحدث "أحمد صالح العنتري" عن حملة "أوريلي O'REILLY" لعام 1775 ودور الطبيعة في انتصار المجاهدين على الإسبان، إذ يذكر أن بعضهم "رأى ليلة العاصفة محاربين على خيول بيضاء يحاربون الإسبان، وعندما سأله قال له إنه علي بن أبي طالب"[83].

ويؤكد كتاب آخرون أن هدف الأتراك من إظهار الورع والتقوى والتقرب من المرابطين كان هدفه استغلال مركز ومكانة هؤلاء لإخضاع السكان، وليس بدافع احترام مركزهم الديني، فكان الباشوات يحرصون على أداء المناسبات الدينية أمام السكان رغبة في كسب ودهم وثقتهم[84].

وإذا كان الجنود الشباب يتميزون بسوء الخلق، فإنهم سرعان ما يصبحون غاية في التدين، حريصين على أداء الفرائض وذلك عند بلوغهم سن الشيخوخة ودنو آجالهم[85].

وخلاصة القول أن الأتراك طبقوا الحرية الدينية، وهدفهم من ذلك نشر الأمن والاستقرار، وإذا استطاعوا كسب تأييد المرابطين وأنشئوا الكثير من المباني الدينية، فإن اهتمامهم كثيرا ما انصب على المجال السياسي والعسكري.

د- نظامهم القضائي:

رغم انتشار الفساد بإيالة الجزائر في العهود المتأخرة فإن الكثير من المصادر تشير إلى سيادة الأمن وقلة الجرائم بها، وقد يرجع ذلك إلى تلك الصرامة في تطبيق العدالة على الأشخاص مهما كانت وضعيتهم وطبيعة جرائمهم[86]، وهنا لا بد من الإشارة إلى تلك الازدواجية التي تميز بها النظام القضائي، فإذا كان المذنب تركيا فإنه يحاكم من طرف قاضي حنفي، أما إذا كان من الأهالي فيعاقب من طرف قاضي مالكي، وهذا التباين سببه الاختلاف المذهبي بين الأتراك وبقية السكان[87].

وعلى عكس باقي السكان فإن إنكشارية الجزائر خضعوا لنظام قضائي خاص بهم يعتمد على السرية في تنفيذ العقوبات الصادرة ضدهم، والهدف من ذلك الحفاظ على هيبة الإنكشارية بين السكان التي قد تزول بمجرد ما يتم الحكم على "*اليولداش*" المذنب في إحدى ساحات المدينة أمام الملأ[88].

إذا كان القانون يسمح للمزوار بالقبض على أي شخص مذنب، فإنه كان يمنع عليه القبض على أي جندي ارتكب جريمة مهما كانت خطورتها، حيث اختص بهذه المهمة إحدى عشرة شاوشا من ذوي اللباس الأخضر[89]، وقد استمدوا هذه التسمية من لباسهم المتميز إذ كانوا يلبسون قفطانا طويلا ذا لون أخضر يتم شده بحزام عريض أحمر اللون، كما كانوا يلبسون سروالا أيضا ويضعون على رؤوسهم قبعة بيضاء مصنوعة من الجلد تتدلى منها قطعة أخرى ذات لون أحمر أو أبيض حسب الأقدمية، وينتعلون زوجا من الأحذية الثقيلة في أسفلها صفحتين لإحداث صوت يقال "أنه لمنح الجندي المذنب فرصة تمكنه من الفرار"[90]، وكان هؤلاء الشواش يختارون من بين أقوى الإنكشارية حتى يسهل عليهم القبض على أي متهم مهما كانت خطورته.

أما عن كيفية تنفيذ الحكم فبعد القبض على *"اليولداش"* المتهم، يتم اقتياده إلى دار أغا الإنكشارية "سركاجي أو داسي"[91]، وهناك ينظر الآغا في جريمته ثم يصدر الحكم النهائي الذي قد يقتصر على الضرب (الجلد) أو التعزيز إذا كان الخطأ بسيطا، أما إذا كانت الجريمة خطيرة فإن العقاب يكون شديدا فقد يصل إلى حد الحكم عليه بالإعدام شنقا أو بقطع الرأس، وحسب "بارادي" فإن الأتراك كانوا يكلفون العبيد المسيحيين بتنفيذ حكم الإعدام باعتبار أنهم كانوا يرفضون شنق زملائهم[92].

وإذا كانت العقوبة تنفذ سرا على الإنكشارية، فإنها كانت عكس ذلك بالنسبة لبقية السكان حيث كان يتم وضع المذنب في سجن قصر الجنينة في انتظار إصدار الحكم في حقه[93]، فبمجرد صدوره يتم تنفيذه علنا وبحضور جمع كبير من السكان، وكانت عقوبة الموت أو الإعدام تختلف حسب الجنس والانتماء الاجتماعي، فاليهود يحرقون أحياء قرب باب الواد، وهو نفس المكان الذي يشنق فيه النصارى وتقطع رؤوسهم، أما الأهالي فكانوا يعاقبون عند باب عزون. وإذا كانت الجريمة خطيرة جدا فإنه يتم رمي المجرم من أعالي أسوار باب عزون حيث تتلقفه خطاطيف، ويبقى معلقا بها لعدة أيام حتى يموت من شدة الجوع والعطش، وأما المرأة المتهمة بالزنا فإنها توضع في كيس وترمى في البحر[94]، ويظهر من هذا أن أحكام العدالة كانت شديدة القسوة سواء بالنسبة للجنود الإنكشارية أو بقية السكان والاختلاف الموجود كان في كيفية تنفيذ هذه العقوبات التي كانت تطبق سرا بالنسبة للأتراك وعلنا بالنسبة للفئات الأخرى.

ورغم صرامة العدالة بإيالة الجزائر إلا أنها لم تنحو من مظاهر الفساد الذي أصاب البلاد والعباد لأسباب كثيرة، فلقد استطاع كثير من الأشخاص وخاصة الجنود الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم، أن

ينجوا من العقاب مقابل دفع مبلغ من المال إلى أحد المكلفين بتنفيذ الحكم الذي يتستر على جريمته ويطلق سراحه[95]، ويظهر أن ظاهرة انتشار الرشوة داخل جهاز العدالة أصبحت أكثر تداولا منذ بداية القرن الثامن عشر ميلادي، وقد حاول البايلك محاربتها بكل الوسائل لأنها قد تودي إلى عواقب وخيمة تقوض استمرار الإيالة، وقد ورد في وثيقة "عهد الأمان" لعام 1748م أنه "يجب على الآغا أن يكون صارما في تطبيق العدالة، وأخذ حق المظلوم مهما كانت وضعيته...لأنه إذا لم تطبق العدالة واعتمد على الرشوة، فإن ذلك سيؤدي إلى انحطاط الأوجاق وظهور الاضطرابات"[96].

وإلى جانب الرشوة كان بإمكان الإنكشاري الذي ارتكب جريمة خطيرة أن ينجو من العقاب إذا تمكن من اللجوء إلى إحدى ثكنات مدينة الجزائر، أو ضريح أحد الأولياء الصالحين، وقد كانت لهذه الأماكن قداستها لدرجة أنه كان يمنع على "الحاوشية" اقتحامها والقبض على المجرم، ويعتبر ضريح سيدي عبد القادر وسيدي عبد الرحمن من أهم هذه الملاجئ[97]، وكان "*البولداش*" يضطر إلى البقاء بداخلها حتى يصدر في حقه قرار بالعفو أو يتمكن من الخروج والفرار، وغالبا ما يكون ذلك بعد رفع الحراسة عليه، وكان هؤلاء الفارين يجدون ملاذا لهم في محلة "الزبنطوط" خارج مدينة الجزائر حيث ينظم إلى إحدى المحلات الثلاث، وبعد مدة من الزمن يعود معها إلى المدينة ويدخلها دون عقاب، حيث تُنسى عقوبته أو يتغاضى عنها البايلك[98].

غير أنه إذا كانت الجريمة المرتكبة خطيرة جدا، فإن الباشا يبادر بوضع حراس دائمين على باب الضريح يمنعون عن المتهم الأكل والشرب حتى يضطر إلى الخروج، وبالتالي ينفذ الحكم الصادر في حقه[99].

ولم يكن الجنود المقيمون خارج مدينة الجزائر سواء في المحلات أو النوبات بمنأى عن تطبيق العدالة، ففي المحلة كان الآغا وكاهيته اللذين يعينهما الداي من صف "الأياباشي" يقومان بمهام القضاء ويساعدهما في ذلك شاوشان[100]، في حين أن القانون كان يمنع على الباي والضباط معاقبة الجنود مهما كانت طبيعة المخالفة بل يجب عليهم عرض القضية على الآغا الذي يحدد طبيعة العقوبة التي قد تكون ثقيلة، فحسب إحدى الوثائق تم معاقبة أحد الجنود عام 1774م بايلك الشرق بثلاثمائة جلدة والسجن بعد إساءته التعامل مع وكيل "الباستيون" الفرنسي بالقالة[101]، وفي عام 1244هـ / 1828م عاقب آغا نوبة مستغانم أربعة من جنوده بخمسمائة ضربة بعد اعتدائهم على امرأة[102].

وهكذا ساهمت الصرامة في تطبيق العدالة بنسبة كبيرة في انتشار الانضباط والنظام بين أفراد الجيش، الذين أصبحوا أكثر طاعة لضباطهم وتنفيذا لأوامرهم وذلك خوفا من العقاب.

و- حياتهم خارج الخدمة العسكرية:

بعد مدة يقضيها "*اليولداش*" في الخدمة العسكرية، يصبح من حقه الحصول على عطلة يركن فيها إلى الراحة، أما إذا بلغ سنا متقدمة فإن النظام يحيله على التقاعد، وما عدا هاتين الحالتين فإنه لا يسمح له بالتخلي عن واجبه العسكري وإلا تعرض للعقاب.

لقد نص النظام على أنه بعد ستين يقضيهما الجندي الإنكشاري في إحدى المحلات ثم النوبات، يصبح من حقه الحصول على عطلة لمدة سنة[103]، وخلالها يحافظ "*الخازورجي*"[104] على كل حقوقه وامتيازاته وأهمها "*علوفته*" كاملة.

وإضافة إلى العطلة العادية التي كان الجندي يتحصل عليها، فإنه كان بإمكانه أن يتحصل من الباك على رخصة تمكنه من الرجوع إلى موطنه الأصلي لزيارة ذويه وأقاربه، أو الذهاب إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، ودون ذلك فإنه لا يمكنه الحصول على تسريح للخروج من الإيالة وإلا فيعتبر هاربا، وتحدثنا الوثائق أن كثيرا من الجنود قدموا طلبات لهذا الغرض وحصلوا على الموافقة، ففي 21 جمادى الأولى 1238هـ / 13 جانفي 1823م منح حسين باشا رخصة لجماعة من الجنود تمكنهم من الذهاب لأداء فريضة الحج[105]، وفي 1242هـ / 1827م قدم رخصة أخرى لعدد من الجنود بهدف زيارة عائلاتهم[106].

وفي أحيان أخرى قد تبادر عائلة "*اليولداش*" بتوجيه التماس إلى الداي لغرض منحه عطلة لتسوية بعض الأمور العائلية، ومن ذلك أن امرأة تدعى عائشة زوجة محمد قرطاجلي والتي تقطن بمدينة أزمير قامت بتوجيه رسالة إلى باشا الجزائر ترجوه أن يمنح ابنها المدعو علي رخصة تمكنه من الرجوع

إليها لتسوية ميراث أبيه المتوفي، وهي تترجاه أن يمنحه عطلة ولو لمدة أربعين يوما، كما تتساءل إذا كان ولدها موجودا أو مفقودا[107].

وللإشارة فإن الرخصة التي يمنحها البايلك *"للجازورجي"* تكتسي أهمية كبيرة، إذ تمكنه من السفر دون أن يعترض طريقه أحد إلا إذا ارتكب جرما أو خطأ ما ، كما أنها تحدد مدة الإجازة بثلاث سنوات كاملة، ولتشجيع الجنود على الرجوع إلى الإيالة قبل انقضاء المدة، فإنها نصت على منحهم مرتب سنة كاملة إذا عادوا قبل تمام المدة ولو بيوم واحد، أما إذا رجعوا بعد نهاية المدة ولو بيوم واحد فإن حساب أجورهم سيبدأ من يوم قدومهم[108].

وإلى جانب العطلة نص النظام على أن الجندي يُنهي خدمته العسكرية نهائيا بعد حصوله على حق التقاعد، ويكون ذلك من خلال الحالات التالية: بلوغه رتبة معزول آغا، إصابته بعاهة جسدية أو حادث أو مرض مزمن أو بلوغه سن الشيخوخة، وهكذا يصبح غير قادر على أداء واجبه، والملاحظ أن الجندي المتقاعد كان يتمتع بحقوقه كاملة ومنها الأجرة المغلقة، كما يجوز له الإقامة في أي مكان يختاره من الإيالة[109].

أما إذا تخلى الجندي الإنكشاري عن مهامه العسكرية قبل حلول موعد تقاعده أو دون حصوله على عذر شرعي، فإنه يتعرض إلى عقوبة صارمة تصل إلى خصم نصف جرايته أو حذف اسمه من سجل الأجور، إلا أن هذا النوع من العقوبات كان نادر التطبيق ولا يحدث إلا إذا كان الجزاء صارما[110].

ي- نشاطهم الاقتصادي:

كيف كان يقضي اليولداش عطلته أو أوقاته بعد التقاعد؟ هل كان يلجأ إلى الراحة والاستجمام؟ أم أنه كان يمارس وظائفا مدنية أخرى؟ تشير معظم المصادر إلى لجوء كثير من الإنكشارية إلى ممارسة مهن حرة وأنشطة اقتصادية متنوعة،فقد وجد من الجنود من يمارس حرفة الزراعة خاصة وأن بعضهم كان يملك مزارعا بإحدى فحوص مدينة الجزائر، أما البعض الآخر فكان يعود إلى ممارسة مهنته السابقة قبل انخراطه في إنكشارية الجزائر، حيث وجد بينهم الحلاقون، الحدادون، الساجون ...، إلى جانب ذلك فلقد امتهن بعضهم تجارة الأقمشة، والحلي ومختلف السلع، وكان أكثر منهم يفضل الإقامة في إحدى المدن العتيقة كتلمسان، قلعة بني راشد والبليدة حيث حركة التجارة نشيطة جدا[111].

إلا أنه وجد من الجنود من لا مهنة لهم ولا يملكون نصيبا من المال يمكنهم من الاشتغال بالتجارة، وللحصول على مبالغ إضافية كان جلهم يضطر إلى إلغاء عطلتهم بهدف تعويض أحد زملائهم في إحدى المحلات الثلاث، والذين يفضلون ممارسة مهنهم على المشاركة في المحلة، لما كانت تدره عليهم من أموال طائلة[112]، أما جزء آخر فكان يلتحق بإحدى سفن الجهاد البحري بهدف الحصول على سهم من الغنائم[113]، وفي أحيان أخرى قد يتفق هؤلاء مع الباشا على المشاركة في حملة ما كجنود إضافيين مقابل زيادة أجورهم أو منحهم نصيبا إضافيا من المال[114]، وهكذا فإن "*الأتوراق*"[115] كان لا يركن للراحة أثناء العطلة أو بعد التقاعد، بل يعمل جاهدا لزيادة ثروته ومداخله.

وخلاصة القول فإن معظم الجنود الإنكشارية كانوا يستغلون أوقات فراغهم في ممارسة إحدى المهن أو يصبحون تجارا، وبعبارة أخرى فإنهم كانوا مرة جنودا ومرة أخرى عمالا وحرفيين، وهذا عكس المسيحيين الذين اكتفوا بمهنة الجندية فقط واعتبروا ما غير ذلك حطا من شرفهم[116]، أما الغاية من ممارسة هذه المهن والوظائف المدنية، فكان كسب أموال إضافية زيادة على الأجرة التي كان الجندي يتقاضاها كل شهرين قمريين، وبفضلها فإن كثيرا من الإنكشارية أصبحوا من الأثرياء، وهذا ما مكنهم من ضمان حياة مستقبلية مستقرة، خاصة بعد إنهاء واجبهم المهني واحالتهم على التقاعد، حيث أصبحوا تجارا وحرفيين بفضل ما جمعوه من أموال.

هوامش الفصل الثاني

[1] لمزيد من التفصيل حول هذه الأحداث راجع:

Haedo. « Histoire des rois d'Alger »

-الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام – المدني، أحمد توفيق حرب الثلاثمائة سنة

[2] Grammont (H.D de).Op. Cit, P 412.

[3] Paysonnel (J.A).***Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger*** . la découverte, Paris 1987, p 235.

[4] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص126.

[5] أنظر: Tassy .op.cit, p 126 وسبنسر، وليم، ***الجزائر في عهد رياس البحر***، ص58.

[6] أنظر: Description abrégé.. p.p 32 - 33

[7] Canard (M) : « Une description de la côte barbaresque au XVIII[e] siècle par un officier de la marine russe ».***R.A***.T 93 (1943), P 177.

[8] Sacredoti (A). « Les fortifications d'Alger en 1767 décrites par l'amiral vénitien Angélo EMO ». ***R.A***. Tome XCV (1951), p189.

[9] الدرعي، رحلة أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي محمد بن ناصر الدرعي، (مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية- قسم المخطوطات) رقم: 2324 .

[10] أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن زرفة، ***الرحلة القمرية في السيرة المحمدية***، الجزء الأول، مخطوط بالمكتبة الوطنية –قسم المخطوطات- رقم: 2597.

[11] د.سعد الله، أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي (10-14هـ / 16-20م)***، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985، ص 275.

[12] مسلم بن عبد القادر، ***أنيس الغريب والمسافر*** (تحقيق وتقديم رابح بونار)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص.ص 34-35.

[13] Tassy. op.cit, p 57.

[14] جون.ب.وولف. ***الجزائر وأوربا***...، ص226.

[15] Venture de paradis. op. cit, p 153

[16] Tubert – Delof (G) ."Un état récent du royaume d'Alger en 1684". ***R.H.C.M*** n° 6-7 (1969),p 249.

[17] التميمي، عبد الجليل، *بحوث ووثائق في التاريخ المغربي: الجزائر، تونس وليبيا* *(1816-1871)*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص62.

[18] لمعلومات أكثر حول يهود الجزائر ودورهم راجع:

-داده، محمد، *اليهود في الجزائر في العهد العثماني، منذ مطلع القرن 18م حتى 1830*، (رسالة ماجستير) دمشق، 1985.

[19] Heado « Topographie… », p.504.

[20] Venture de Paradis. Op.cit, p 252.

[21] شالر، وليم، المصدر السابق، ص90.

[22] يذكر حمدان خوجة أن ميخائيل أخو بكري كان يملك حانوتا صغيرا لبيع العطارة في نواحي باب عزون، وقد ارتبطت محلات بكري بمصالح حسن باشا ومصطفى باشا من بعده، وجمعت ثروة تقدر بالملايين، أنظر: حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص.ص 158-159.

[23] أنظر: شالر، وليم، المصدر السابق، ص89.

-جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص393.

[24] د.سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الثقافي*، الجزء الأول، ص455.

[25] Esquer, Gabriel. ***Les commencements d'un empire, la prise d'Alger 1830***. l'Afrique latine, Alger, 1923, p 18.

[26] Plantet, Eugène. ***Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1579-1833)***, Tome 2ème . ، édition Bouslama, Tunis, 1981, p 131.

[27] شالر، وليم، المصدر السابق، ص96.

[28] بعد ذلك بعث الداي مصطفى باشا رسالة إلى نابليون يعتذر فيها على إعلان الحرب ضده، راجع: المغربي، إسماعيل، « *دور اليهود* »...،ص54.

[29] Grammont (H.D De). op.cit, p 362.

[30] الدوشرمة: تعني جمع الغلمان النصارى وإجبارهم على الانخراط في فرق الإنكشارية والخدمة في القصور ومن المناطق التي كانت تمارس فيها هذه العملية (اليونان، مقدونيا، ألبانيا، الصرب، البوسنة، والهرسك...) وكان يتم تربيتهم على أسس إسلامية وخضوعهم المطلق للسلطان، لمزيد من التفاصيل راجع:

-دائرة المعارف الإسلامية، (*مادة دوشرمة*)، المجلد التاسع، ص.ص 391-322.

[31] حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص118.

[32] د.سعد الله، أبو القاسم، *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر*، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص294.

[33] Shaw . Op .cit, p184.
[34] Renaudot. Op.cit, pp 110 –111.
[35] Venture de Paradis. Op. Cit, p 215.
[36] Ibid, p 188.
[37] Garmmont (H.D de). Op.cit, p .231

[38] عبد الله شريط والميلي محمد، *الجزائر في مرآة التاريخ*، مكتبة البعث،، قسنطينة، ماي 1965، ص 136.

[39] Shaw. Op.cit, p 159.

[40] نور الدين، عبد القادر، *صفحات*....، ص97.

[41] الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص144.

[42] سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الثقافي*، الجزء الأول، ص158.

[43] كراغلة: كلمة عثمانية تعني أبناء عبيد السلطان.

[44] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص.ص 154-155.

[45] نفس المصدر، ص118.

[46] « Ahad – Aman ou règlement politique et militaire », texte traduit en arabe par M.Ben Mustapha et reproduit en français pas Devoulx. ***R.A*** n° 4 (1859), P 214.

[47] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص155.

[48] Venture de paradis.op.cit, p 180
[49] Ibid, p 190.
[50] Ibid, pp 180-181.
[51] Boyer (P) . « Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger ». ***R.O.M.M***, n° spécial (1970), p 87.

[52] جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص447.

[53] Sir Godfrey.op.cit, p 96.
[54] Haedo « Topographie…. », pp 318 –319.

[55] أنظر: شالر، وليم، المصدر السابق، ص.ص54-55 و Shaw.op. cit, p 100

[56] حمدان، خوجة، المصدر السابق، 119.

[57] Canard (M).op.cit, p 177.
[58] Renaudot. op.cit, p 43.

[59] Grammont (H.D de). op.cit, p 125.

[60] كاثكارت، ليلندر، المصدر السابق، ص101.

[61] سبب ذلك هو العثور على عبد شنق عند باب إحدى الثكنات قرب باب البحر، فصدر قرار يمنع بيع الخمور في كل الثكنات، أنظر: كاثكارت، المصدر السابق، ص100.

[62] شالر، المصدر السابق، ص55.

[63] كاثكارت، المصدر السابق، ص.ص131-132.

[64] شالر، وليم، المصدر السابق، ص55.

[65] كاثكارت، المصدر السابق، ص.ص101.

[66] Shaw. Op.cit, p 100.

67 Venture de Paradis. Op.cit, p 225.

68 Tassy . Op.cit, p 131

[69] جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص105.

[70] Venture de Paradis. Op.cit, p 185

[71] Haedo .« Topographie… », p 312.

[72] حول هذه الواقعة راجع: Tassy.op.cit, pp 58-59

[73] أورتلاني، فضيل نقلا من د.سعد الله، أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي***، ج2، ص462.

[74] البكتاشية: طريقة صوفية تنسب إلى الحاج بكطاش بأماسية (الأناضول)، ارتبط بها تأسيس الجيش الإنكشاري، فبعد تشكيل هذه الفرقة من الشباب الأسرى المسيحيين من طرف السلطان أورخان الأول (1326-1360م)، أخذهم إلى الحاج بكطاش الذي دعى لهم بالخير وأطلق عليهم اسم "يني تشاري" أي الجيش الجديد، راجع:

فريد بك، ***تاريخ الدولة العلية العثمانية*** (تحقيق حقي إحسان)، الطبعة الخامسة، دار النفائس، بيروت، 1986، ص122.

[75] Robert Montran (et autres). ***L'empire ottoman***, p 205.

[76] فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص78.

Boyer (p). "Contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger (XVI – XIX[e] siècle)" ***R.O.M.M***, n° 1 (1966), pp 11.49.

[77] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص111.

[78] « Ahad-Aman… », p 214.

[79] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص112.

[80] من أهم هذه الثورات، ثورة ابن عبد الله ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب عام 1805م
وثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق عام 1804.
راجع الزهار أحمد الشريف، ص.ص 84-85 بالنسبة لثورة الدرقاوي وص ص 85-86 و87
بالنسبة لثورة ابن الأحرش.
[81] كاثكارت، لياندر، المصدر السابق، ص100.
[82] حول هذا الموضوع راجع: مجهول، *غزوات عروج وخير الدين*.
[83] د. سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج2، ص351.
[84] راجع: حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص111.

Tassy.op.cit, p65.
[85] Boyer, Pièrre. Op.cit, p 72.
[86] Emirit (M) .« Un astronome français à Alger en 1729 ».*R.A*.T.84 (1940), p 253.
[87] Boyer, Pièrre. La prise..., p120، وحمدان خوجة، المصدر السابق، ص 110
[88] أنظر Grammont.op.cit, p 230. – Tassy.op.cit, p 126
[89] Dubois, Thainville. ***Mémoire sur Alger 1809*** (Publié par Gabriel Esquer) librairie de la société de l'histoire de France, Paris, p 130.
[90] Boyer, Pièrre. ***La vie quotidienne***..., p 130
[91] سركاجي أوداسي تعني دار الخل، وذلك لأن الجندي المذنب بعد جلده يتم وضع الخل على المناطق
المجروحة بغرض زيادة الآلام، أنظر: Venture de Paradis.Op.cit, p 225.
[92] Paradis.Op.cit, p 175.
[93] لابد من الإشارة أن السجون أثناء العهد العثماني لم تكن إلا مستودعات مؤقتة يوضع فيها المتهم في
انتظار تنفيذ الحكم الصادر في حقه.
[94] أنظر: Boyer, pièrre. ***La vie.***, p 123 و Venture de paradis. op. cit, p.256
[95] Haedo « Topographie... », p 468.
[96] « Ahad –Aman... », p 213.
[97] Venture de paradis. Op. cit p, 257.
[98] Ibid, p 187.
[99] كاثكارت، المصدر السابق، ص123.
[100] Tassy. Op.cit, p 153.
[101] مجموعة 1641، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 50.
[102] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 282.

[103] Bouabba, Yamilé. Op.cit, p 34.

[104] حارورجي: كلمة تركية تعني اليولداش الذي يكون في عطلة لمدة عام كامل، راجع:
Paradis. Op.Cit, p 172.

[105] مجموعة 3190، الملف الثاني، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 12.

[106] مجموعة 3190، الملف الثاني، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 371.

[107] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 108.

[108] حول هذه التحفيزات راجع مجموعة الرخص الممنوحة للجنود في وثائق المكتبة الوطنية (قسم المخطوطات) مثال: مجموعة 3190، الملف الثاني، ورقة 2-12-370-371-375-377-380

[109] راجع: Tassy.op.cit, p 152 وحمدان، خوجة، المصدر السابق، ص119.

[110] Venture de Paradis. Op.cit, p 172.

[111] Brahimi, Denise. Op.cit, p135.

[112] وولف.ب.جون، المرجع السابق، ص152.

[113] Shaw.Op.cit, p 190.

[114] Gramaye.Op.cit, p 203 و Paradis. Op.Cit, p171.

[115] الأوزاق: كلمة عثمانية معناها الجندي المتقاعد أنظر: حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 115

الفصل الثالث

دورهم السياسي والعسكري

أ). الجيش الإنكشاري ودوره في تعيين حكام الإيالة.

ب). علاقتهم برياس البحر.

ج). فرق المحلة في الجيش الإنكشاري.

د). حاميات الجيش الإنكشاري ودورها في حفظ الأمن.

استطاعت فرقة الإنكشارية أن تهيمن على الحياة السياسية لإيالة الجزائر خلال معظم فترات العهد العثماني، ومن مظاهر هذه الهيمنة أن أصبحت تتحكم في تعيين وعزل الباشاوات، خاصة في العهود المتأخرة حيث تدهورت الأوضاع وازدادت حدة الاضطرابات، مما جعل كثيرا من الدايات يُغتالون من طرف جنود هذه الفرقة، لدرجة أن منصب حاكم الإيالة أصبح مرادفا للموت.

وقد ولدت هذه الوضعية والسعي الحثيث وراء المصالح المادية، صراعا خطيرا بين فرقة الإنكشارية (جيش البر) والرياس (جيش البحر)، كاد أن يتحول في بعض الفترات إلى حرب حقيقية تقوض هياكل الإيالة، غير أن المصالح المشتركة بين الفرقتين خلقت نوعا من التفاهم والتقارب، وأوقفت الصراع بينهما الذي كان يندلع من حين لآخر.

مع حلول القرن الثامن عشر ميلادي تراجع دور البحرية الجزائرية بشكل ملحوظ نتيجة مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، فسيطرت فرقة الإنكشارية على الوضع السياسي والعسكري للإيالة، ورغم قلة جنودها فقد استطاعت مراقبة كل أنحاء البلاد، وكان ذلك بفضل فرق الجيش المتنقلة (المحلات)، أو تلك التي كانت تعسكر في المناطق الإستراتيجية والمدن الهامة (الحاميات)، وهذا ما مكنهم من قمع الحركات التمردية ضد السلطة المركزية، وإجبار السكان على دفع الضرائب وبالتالي ملء الخزينة وتقاضي الأجور بشكل منتظم.

أ- الجيش الإنكشاري ودوره في تعيين حكام الإيالة:

يذكر كثير من المعاصرين من أمثال "شو" أن نظام الحكم في الجزائر العثمانية كان جمهوريا عسكريا، فهو جمهوري لأن الباشا كان يُنتخب مدى الحياة دون أن يكون حكمه وراثيا، وعسكري لأن المنتخب كان من أفراد الجيش، وبعبارة أخرى فإن الجيش الإنكشاري ورياس البحر هيمنوا على زمام السلطة وانفردوا بتعيين من يرضونه من الحكام، وقد زاد هذا الوضع بروزا بعدما توقف السلطان عن إرسال الباشاوات الثلاثيين عام 1659م، والذين كانوا يكلفون بالإشراف على شؤون الإيالة وتمثيل الباب العالي لمدة ثلاث سنوات[1].

وكان من نتائج سيطرة الجيش على ممارسة الحكم، أن ظهر صراع حاد داخل هذه الهيئة بين فرق الإنكشارية نفسها أو مع رياس البحر، فبعد انقضاء عهد الأغوات (1659-1671) المليء بالفوضى والاغتيالات اندلع صراع بين الرياس و"*اليولداش*" حول منصب الباشا، وقد نجح رجال البحر هذه المرة في تعيين فرد منهم بلقب داي، غير أن تراجع قوتهم أمام الغارات الأوربية مكنت الإنكشارية من استرجاع نفوذهم، فأصبح الداي يعين من بين جنود البر حتى 1830، وهذا بعد إجبار الداي حسن ميزومورتو (1683-1688) على الإستقالة.[2]

أما عن الطريقة المعتمدة في تعيين الدايات فكثيرا ما ارتبطت بالظروف التي وصل فيها هؤلاء إلى عرش الجزائر، ففي الظروف العادية وأثناء فترات الهدوء فإنه بمجرد وفاة الداي يعقد الديوان اجتماعا طارئا، حيث يذيع خبر الوفاة في كامل أرجاء مدينة الجزائر، وهكذا يتوجه الجنود إلى القصر لانتخاب

شخص آخر مكانه، وفي ظل هذه الظروف فإن العادات كانت تنص على أن الداي الجديد ينتخب من بين أهم الشخصيات في حكومة الإيالة، أي الخزناجي ، الآغا أو خوجة الخيل.[3]

غير أن هذا المبدأ في التعيين لم يحترم في كل الأحيان إذ كانت الفرصة متاحة لكل جندي ليتولى هذا المنصب، ولهذا كان المرشح يتقدم أمام الآغا، ويبدي كل جندي برأيه فإذا تحصل على الأغلبية فإنه يصبح الحاكم الجديد للإيالة، أما إذا فشل في ذلك فإنه يستبعد ويحل مكانه مرشح آخر، وهكذا حتى يتم الاتفاق على شخص واحد.[4]

بعدها تتم مراسيم تسليم السلطة للداي المنتخب بإرادته أو رغما عنه، حيث لم يكن أمامه إلا خيارين فإما القبول بالمنصب أو الموت[5]، وكانت هذه المراسيم تستدعي أن يلبس القفطان رمز الحكم ثم يجلس على العرش، حيث يحييه جميع الحاضرين بأصوات مرتفعة مرددين عبارة: "لقد إعتمدناك، فلتكن هكذا، يا رب أعطه ازدهارا"[6]. ثم يتقدم المفتي الكبير ليقرأ عليه واجباته بصوت عال، والتي تتضمن أن الله كلفه بحكم هذه الإمارة وجنودها، وأنه عليه معاقبة الأشرار ومكافأة الأخيار، وأن يسهر على دفع أجور الجنود بانتظام، وبذل كل جهوده لحفظ الأمن وازدهار الإيالة، وتحديد أسعار مناسبة للمواد الغذائية خدمة للفقراء.[7]

بعد انتهاء المراسيم يتقدم الحاضرون لتهنئة الداي بتقبيل يده ومعاهدته على الخضوع والإخلاص له، ثم يعلن الخبر على العامة بإطلاق نيران المدافع من حصون المدينة وقلاعها، كما يرسل مبعوث إلى السلطان لإخباره بالأمر والحصول على موافقته الرسمية على التعين.[8]

غير أنه وجدت حالات عُيّن فيها الداي دون اللجوء إلى الانتخاب أو إراقة للدماء، وكان ذلك يتم بعد وصية يوصي بها سابقه عند اقتراب أجله، حيث يعين خليفة له يرضاه الديوان ويوافق عليه، فقد

أوصى الداي إبراهيم (1732-1748) بالمنصب لحفيده إبراهيم كوتشوك (1745-1748)[9]، كما أن الداي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) تولى الحكم في الإيالة بعد وصية من سابقه الداي علي باشا الملقب ببوصباع (1754-1766)، الذي جمع وزراءه وأوصاهم بالولاية لمحمد باشا.[10]

إلا أن انتقال السلطة لم يكن يتم بهدوء في كل الأحيان، وخاصة خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين أين أصبح الجلوس على عرش الإيالة أشبه بالجلوس على بركان معرض للانفجار في أي وقت، فلقد كان الجنود بمجرد عودة الهدوء وتناقص الغنائم أو فشلهم في إحدى الحملات أو تأخر في دفع جراياتهم، يثورون ضد الداي الذي يكون أمام خيارين فإما التنازل عن العرش وإما القتل[11]، ومن ذلك أن الجنود ثاروا ضد الداي شعبان (1688-1695) بسبب إنهاكهم بالحروب ضد تونس والمغرب، وقاموا بسجنه ثم خنقه بأمر من الداي أحمد باشا (1695-1698)، بعد تعرضه للتعذيب بغرض الكشف عن المكان الذي خبأ فيه أمواله.[12]

وهكذا أصبح تعيين الدايات يتم في جو من المؤامرات والصراعات بين فرق الجيش الإنكشاري حيث تسعى كل فرقة إلى تنصيب أحد جنودها، ويكون النصر في آخر المطاف للفئة القوية منها والتي تسارع إلى قصر الجنينة لتنصيب الداي الجديد، بعدما تتخلص من السابق بطلقة نارية أو طعنة خنجر أو الخنق، ولكنها قد تدخل في مواجهات دامية مع فئة أخرى داخل القصر نفسه، والتي تدوم لمدة طويلة من الزمن، حيث كان رفع العلم الأحمر على أبواب القصر بمثابة الإعلان على تواصل الصراع، والذي لا ينتهي إلا بعد رفع العلم الأخضر، وعندها يسارع المنتصرون إلى تعيين حليفهم بإلباسه القفطان المملوء بدم سابقه، أما الحاضرون فيسارعون إلى مبايعته وإعلان خضوعهم له خوفا من العقاب، وفي

هذه الظروف قد يبادر الداي الجديد إلى التخلص من كل أعضاء الديوان السابق وإسناد المناصب الهامة إلى أنصاره.[13]

وأمام هذه الوضعية المضطربة فإن حكم الداي المعين بواسطة الانقلاب كثيرا ما يزول بعد فترة وجيزة قد تدوم ساعات قليلة فقط، وتذكر المصادر أن ستة دايات تعرضوا للاغتيال في يوم واحد ودفنوا عند باب الواد بعد التمثيل بجثتهم[14]، ورغم أن بعض الكتابات تكذب هذه الواقعة وتعتبرها نوعا من الأسطورة لعدم ذكر تاريخ محدد لها ولا أسماء هؤلاء الدايات[15]، فإنها تعبر بصدق عن مدى تدهور الأوضاع السياسية للإيالة، وتزايد عمليات الاغتيال والتصفيات الجسدية.

لقد أصبحت حياة الداي مهددة بالأخطار في كل الأوقات، مما جعله يعيش حالة من الخوف والحذر الدائم من الاغتيال، وبالتالي تركيز كل إهتمامه على كشف المؤامرات والتخلص من كل شخص يبادره شك نحوه، فلقد قام الداي إبراهيم الملقب بالمجنون بالتخلص من ألف وسبعمائة شخص خلال الشهر الأول من تعيينه[16]، أما الداي عبدي باشا (1724- 1732) فكان يغتال كل من يشك فيه، مما جعله يتعرض لثلاث محاولات اغتيال طيلة فترة حكمه ولكنه نجى منها كلها[17].

لهذه الأسباب كان الداي سجين قصره لا يخرج منه إلا بعد تشديد الحراسة حوله، ورغم ذلك فإنه قد يتعرض لطلقة نارية تنهي حياته بمجرد خروجه من باب القصر، ففي عام 1724م أغتيل الداي محمد بن الحسن (1718-1724) من طرف عصابة من الرياس بينما كان متوجها إلى الميناء[18]. وحتى داخل القصر فإن حياة الداي لم تكن في مأمن من الخطر، فقد يفقد حياته على يد أحد مقربيه، ومن ذلك أن الداي علي باشا (1809-1815) اغتيل في حمامه من طرف وكيل الحرج عام 1815،[19] وقد حلبت هذه الوضعية أنظار الكثير ممن زاروا الجزائر،ومن هؤلاء الأب "فو FAU" الذي قدم إلى الجزائر في عام 1729 حيث يصف حياة الداي قائلا: "إن الداي في معظم الأحيان لا يخرج

من قصره، فقد يحدث أنه إذا خرج منه أن تستقبله طلقة من بندقية تعفيه من لقب الداي ومن حياته معا".[20]

في ظل هذه الظروف الغير مستقرة أهمل الداي شؤون البلاد والعباد، وركز كل اهتمامه على إرضاء الجنود الذين أوصلوه إلى هذا المنصب بكل الأساليب ومنها رفع الأجور وتوليتهم المناصب، مما جعله أسيرا لإرادتهم رغم ما يمنحه له هذا المنصب من امتيازات وصلاحيات، لقد وصفه "كوندامين condamine" بأنه: "مستبد وليست له حرية، أرسطوقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة".[21]، أما الكاتب الإسباني "خوان كانوا" فيصفه بأنه: "رجل غني ولكنه ليس سيد خزينته، أب بدون أطفال، زوج بدون امرأة، طاغية بدون حرية، ملك العبيد وعبد لأتباعه".[22] وبسبب وضعيتهم فضل كثير من الدايات التخلي عن مناصبهم والفرار من مدينة الجزائر إلى مناطق آمنة، حفاظا على حياتهم من هؤلاء الجنود المشاغبين، فقد حاول الداي الحاج مصطفى (1700-1705) بعد فشله في حصار تونس عام 1705م مغادرة الجزائر سرا ولكنه قبض عليه قرب القل وحكم عليه بالإعدام[23].

إلا أن أخطر نتيجة تولدت عن هذا الأسلوب في تعيين الدايات وعزلهم، أن تولى هذا المنصب رجال لا علم لهم بشؤون الحكم، بعدما أصبح هم الإنكشاريين تولية من يحقق أهدافهم ويخدم مصالحهم دون مراعاة للكفاءة والخبرة، فبعد سجن الداي شعبان (1688-1695) وتعذيبه عين الجنود إنكشاريا يدعى أحمد كانوا قد صادفوه في إحدى شوارع المدينة وهو يرفع الأحذية، فحملوه على أكتافهم وتوجهوا به إلى قصر الجنينة[24]، ويظهر أن هذه العملية قد تكررت مرات عديدة في تاريخ الإيالة، فقد قال الداي بابا علي يوما لأحد عبيده واصفا له حالته قبل أن يصبح السيد الأول للإيالة:

"لاحظ دور الصدفة في حياة الإنسان وكيف توصله إلى قيادة الرجال، فمنذ أربعين سنة كنت أرعى الأغنام في إحدى قرى آسيا، واليوم أنا ملك عظيم".[25]

وخلاصة فإن تعيين الحكام في الإيالة كثيرا ما تم في ظل صراعات دموية خطيرة تؤدي إلى مقتل كثير من الجنود والموظفين، وللإشارة فإن عهد البيلربايات والباشاوات تميز بالهدوء حيث لم يقتل إلا البيلرباي محمد كرد أوغلي، بينما قتل كل الأغوات وحوالي نصف الدايات[26]، إلا أنه من حسن حظ الإيالة أن هذا الصراع لم يتعد أبواب القصر، وانحصر ما بين الجنود دون بقية السكان الذين كانوا يفضلون البقاء على الحياد بتوقيف كل نشاطاتهم واللجوء إلى بيوتهم في انتظار انتهاء الصراع، خاصة وأن الجنود كثيرا ما استغلوا فترة الفوضى لنهب المدينة وإثارة الرعب بين سكانها[27]، كما أن عدم اشتراك السكان في هذه الاضطرابات ساهم في إنهاء الصراع بسرعة وجنب البلاد حروبا أهلية قد ينتج عنها تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية، مما يهدد استقرار الإيالة وسيادتها.

وفي النهاية فإننا نورد قائمة بأسماء الدايات الذين اغتيلوا من طرف الجيش الإنكشاري أو رياس البحر في الفترة ما بين 1683 و 1817:

الداي	فترة الحكم	طريقة الاغتيال
حسن باشا	1683 -1682	أعدم من طرف الجيش
عبان باشا	1695 -1688	أعدم خنقا بعد تعذيب شديد مارسه عليه الانكشارية ليكشف عن المكان الذي خبأ فيه ماله.
مصطفى باشا	1705 -1700	أعدم خنقا
كداش باشا	1710 -1707	أعدم خنقا من طرف الجيش
راهيم باشا	1710	حاول هتك عرض إمرأة، فاطلقت عليه رصاصتين، ولكنه نجى ولجأ إلى القصر، حيث قتل هناك بعد رميه بقنبلة من أعلى القصر.
ن حسن باشا	1724 -1718	قتل بطلقات نارية من طرف أحد الجنود قرب مقر البحرية
كوتشوك	.1748 -1745	وضع له أحد الانكشاريين السم فمات مسموما
بكو باشا	1754 -1748	قتل خنقا في قصر الجنينة
ر باشا	1805 -1795	قتل ذبحا وسحب جسده عبر شوارع المدينة
باشا	1808 -1805	قتل رميا بالرصاص وهو يحاول الهروب من القصر.
سال باشا	1809 -1808	حاول الانكشارية اجباره على شرب السم، وبعد رفضه خنقوه.
لي باشا	1815 -1809	قتل خنقا في الحمام
زناجي باشا	1815	قتل خنقا في قصر الجنينة
باشا	1817 -1815	قيد ونفذ فيه الحكم خنقا دون أن يبدي أي مقاومة.

ب- علاقاهم برياس البحر:

ساهمت العلاقة بين الجيش الإنكشاري (أي جيش البر) والرياس (أي جيش البحر) بقسط وافر في التأثير الإيجابي أو السلبي على التطور السياسي والعسكري للإيالة، ذلك أن هذه العلاقة كثيرا ما كان يشوبها صراع حاد خاصة في العهود الأولى إذ كان الإنكشارية يتشكلون من أتراك الأناضول الذين تم تجنيدهم حديثا، في حين كان معظم الرياس من المرتدين عن المسيحية والذين هيمنوا على النشاط البحري واستحوذوا على غنائمه.[28]

وهكذا ساهم العامل الاقتصادي المتمثل في الغنائم بنسبة كبيرة في زيادة حدة الصراع بين هاتين القوتين، ففي البداية كان القانون يمنع صراحة الإنكشارية من الانضمام إلى سفن الجهاد البحري مما حرمهم من الحصول على نصيب من الغنائم التي استحوذ عليها الرياس، حيث تمكنوا من جمع ثروة طائلة والإقامة في مساكن فخمة في غرب مدينة الجزائر، وكان هذا الحي شبيها بقلعة محصنة تحميهم من مؤامرات الإنكشارية الذين كانوا يحسدونهم على ذلك[29].

وكثيرا ما نتج عن هذا الصراع مواجهات وصدامات خطيرة هددت استقرار الأوضاع في الإيالة، وكادت أن تُدخلها في حروب أهلية، ففي عام 1555م بعد وفاة البيلرباي صالح رايس، حاول الإنكشارية السيطرة على الحكم (كان كل البيلربايات من طائفة الرياس) فمنعوا البيلرباي الجديد محمد كرد أوغلي المعروف بطاكلري من النزول إلى ميناء الجزائر، بل وعينوا أحد قادتهم ويدعى قورصو بيلرباياً، أما الرياس فساندوا طاكلري حيث تمكنوا من الدخول إلى المدينة والقبض على المتمردين ثم إعدامهم.[30]

للتخفيف من حدة الصراع بين القوتين وتوفير الهدوء داخل الإيالة، لجأ البيلرباي محمد باشا بن صالح رايس عام 1568 إلى إصدار قرار يبيح بموجبه للإنكشارية بالانضمام والمشاركة في النشاط البحري، وبالتالي الحصول على نصيب من الغنائم، كما سمح للرياس أن يشاركوا في فرق جنود البر التي تجوب البلاد لجمع الضرائب[31]، ويظهر أن هذا العمل قد ساهم في التقليل من حدة الصراع بينهما ودعم الفريقين بعناصر جديدة، خاصة فرقة الإنكشارية التي تدعمت بعدد من الأعلاج الذين يتوفرون على قسط وافر من العلم والخبرة والكفاءة[32]، غير أن هذا لم يوقف التنافس نهائيا والذي كثيرا ما كان يتكرر خاصة في عهد الأغوات (1659- 1671)، حيث استولت فرقة الإنكشارية على الحكم، ثم عهد الدايات (1671- 1830) ففيه تمكنت طائفة الرياس من تعيين الدايات الأربعة الأوائل (1671- 1683) ولكن سرعان ما تمكن جيش البر من الاستحواذ على هذا المنصب وواصل تعيين الدايات من فرقته حتى عام 1830م.[33]

غير أن هذا الصراع كثيرا ما كانت توقفه المصلحة المشتركة التي تجمع بين الطرفين، حيث كانت كل فرقة بحاجة إلى الأخرى، فالرياس كانوا يساهمون في ملء الخزينة وبالتالي توفير الأموال المخصصة لدفع جرايات الجند، في حين كان الإنكشارية يعملون على توفير الأمن والاستقرار الداخلي وصد الغارات الخارجية، وهذا ما سمح للرياس بالتفرغ لممارسة الجهاد البحري دون غيرها من المهام الأخرى[34].

أما عن كيفية التحاق "*اليولداش*" بسفن الجهاد البحري، فبعد انقضاء مراسيم دفع الجرايات الكبرى يستطيع الجندي تسجيل نفسه في القوات البحرية للإيالة بهدف الحصول على سهم من الغنائم ما يسمح له بزيادة مداخيله[35]، وكان هذا العمل يتطلب منه تحضيرا خاصا قبل الخروج إلى البحر.

ومن بين الوسائل التي كان الجندي مجبرا على إرفاقها معه، عتاده الحربي الذي يضم بندقية، مسدسين ويطقانا (أي سيفا)[36]، وإلى جانب ذلك يحمل معه قميصين، سروالين وبطانية يستعملها كغطاء، ثم يجمع كل ذلك في كيس صغير إذ لم يكن يقدم له على ظهر السفينة لا سريرا ينام عليه ولا صندوقا يضع فيه أغراضه الخاصة.[37]

وإضافة إلى ذلك كان الجندي يأخذ معه مؤونة بسيطة تشمل في كثير من الأحيان قليلا من الزيت، الخل، الزيتون، التمر والتين المجفف، وتذكر المصادر أن الإنكشاريين كانوا يلجأون إلى نهب الحدائق المتواجدة في ضواحي مدينة الجزائر، حيث يقطفون الثمار التي يسهل تصبيرها، مما يدفع السكان إلى غلق دكاكينهم والبقاء في بيوتهم خوفا من الشغب والفوضى التي يثيرها هؤلاء عشية اقلاع السفن[38]. ويظهر أن المؤونة التي يحضرها الجندي معه لم تكن تكفيه طيلة المدة التي يقضيها في أعالي البحر، ولهذا كان رياس السفن يحملون معهم موادا غذائية إضافية تشمل البسكويت، الأرز، البرغل، الزيت، الزبدة، الزيتون والزبيب إلى جانب كميات من الماء الصالح للشرب، إلا أن الكمية التي يتلقاها الجنود والمجدفون كانت قليلة لا تسد حتى رمقهم، وتتمثل في قليل من البسكويت، الخل مع قليل من الماء وقطرات من الزيت، في حين أن العبيد كانوا أسوأ حالا إذ لا يتلقون إلا قليلا من البسكويت.[39]

كان طاقم السفينة يضم إلى جانب الرايس والعبيد فرقة من المدفعية (أو الطوبجية) يقودها "*باش طوبجي*" وفرقة من الإنكشارية بقيادة ضابط من صف "*البلوكباشيين*" برتبة آغا مهمته مراقبة ما يحدث فوق السفينة وتسجيل تقرير مفصل يضمنه ملاحظاته يقدمه إلى الباشا بمجرد عودته إلى الميناء، وبموجبه يكافئ الرايس أو يعاقب.[40]

ويظهر أن هؤلاء الجنود الأقوياء والمرهوبين في البر، كان عليهم أن يواجهوا كثيرا من المتاعب لعدم تعودهم على حياة البحر واحتقار الرياس لهم، يضاف إليها الانضباط والصرامة المفروضة عليهم على متن السفينة[41]، فلقد كان التنظيم يفرض أن توضع المؤن والجنود بشكل يؤمن توازنا للسفينة، وأما إذا واجهوا عاصفة بحرية فإنه يمنع عليهم منعا باتا تغيير أمكنتهم حتى إذا كان الشخص أحد الضباط السامين.[42]

وكانت وظيفة الجنود الإنكشاريين تنحصر في الجلوس في مؤخرة السفينة وهم يحملون أسلحتهم في أيديهم في انتظار الالتقاء بإحدى السفن المراد سلبها، وبمجرد العثور عليها فإن مهمتهم تكون الهجوم والانقضاض عليها إذ أنهم كانوا أول من يقفز إليها[43]، وبعبارة أخرى فإن هؤلاء الجنود شكلوا ما يشبه "فرقة إنزال عسكرية"، إلا أنهم في معظم الأحيان لا يلجأون إلى قتل ربانها ويفضلون الإبقاء عليهم خصوصا إذا فضل هؤلاء الاستسلام طوعا، وبالتالي يمكن إفتداؤهم مقابل مبالغ من المال.

غير أن مهمة "*اليولداش*" في البحر لم تكن ميسورة في كل الأحيان، فلقد كان معرضا إلى احتمالين فإما الموت أو الأسر أو الحصول على الثروة، فكثيرا ما كان الجندي يُقتل عند دخوله في مواجهات مع سفن الأعداء، أو يتم القبض عليه ويأخذ كأسير إلى بلاد المسيحيين حيث يتعرض لكل أنواع الظلم والاضطهاد[44]، أما إذا تمكن من النجاة والعودة سالما فإنه يحصل على نصيبه من الغنائم التي تشمل الأموال، الحلي، الأغذية، والعبيد...، وكان التقسيم يتم بعدما يأخذ البايلك نصيبه، حيث يقسم ما تبقى إلى نصفين، نصف يخصص لترميم السفينة وتسليحها والنصف الآخر يوزع على طاقمها، يحصل "آغا اليولداش" على ثلاثة أسهم، أما الجندي البسيط فينال سهما ونصف.[45]

وإذا كان بعض الإنكشارية يستغلون هذه الأموال التي جمعوها بعد تعريض حياتهم للخطر في مشاريع اقتصادية تدر عليهم أرباحا طائلة، فإن بعضهم الآخر كان لا ينتفع بها تماما، إذ سرعان ما يلبرها في شرب الخمر ومعاشرة النساء مثلما سبق ذكره.

ج- فرق المحلة في الجيش الإنكشاري:

كانت السلطة المركزية في مدينة الجزائر تعمل على تدعيم أركانها ووجودها إلى جانب إخضاع السكان في المناطق النائية للإيالة، ويتم ذلك بإرسال قوات عسكرية كل سنة لهذا الغرض، والتي كانت توكل إليها مهمة قمع انتفاضات القبائل المتمردة وإخضاعها لحكومة الإيالة، كما كانت تجبر السكان على دفع الضرائب وتتعرف على مواقفهم السياسية، وبالتالي اتخاذ القرارات والاحتياطات الملائمة في الأوقات المناسبة، وفي كثير من الأحيان كانت هذه القوات (أي المحلات) تكلف بمهمة صد الأخطار الخارجية على الحدود الشرقية مع تونس والحدود الغربية مع المغرب، وقد يصل الأمر أن تجتاح هذه القوات أراضي البلدين لتنصيب حلفاء لإيالة الجزائر أو لدفع الخطر عنها.

كانت هذه المحلات الثلاث (أي محلة قسنطينة، محلة الغرب ومحلة التيطري) تنطلق من مدينة الجزائر لتقديم الدعم لبايات هذه البايلكات بغرض القيام بالمهام السالفة الذكر[46]. ويظهر أنه نظرا لشساعة المساحة التي تجوبها هذه المحلات والصعوبات التي تواجهها هناك، كمقاومة القبائل ورفضها دفع الضرائب، فإن مهمتها تستغرق مدة طويلة تصل حسب أحمد الشريف الزهار إلى أربعة شهور بالنسبة لمحلة الغرب، وثلاثة شهور بالنسبة لمحلة التيطري وستة شهور لمحلة الشرق[47]، أي أن ذلك يرتبط بمدى قوة القبائل التي تقيم بكل بايلك وعلاقتها بحكومة الإيالة.

تتشكل كل محلة من عدد معين من الخيام أو الخباء، فكانت على عهد "بارادي" ستون خيمة لمحلة قسنطينة، وثمانون خيمة لمحلة الغرب، وعشرون خيمة لمحلة التيطري[48]، أما في عهد حمدان خوجة فكانت مائة خيمة لمحلة قسنطينة، وستون خيمة لمحلة معسكر، وأربعون خيمة لمحلة التيطري.[49]

لقد ارتبط عدد الخيام بعدد الجنود الذي كان يتغير حسب الأوضاع السياسية التي عرفتها الإيالة خلال مراحل المختلفة، ففي العهود الأولى كان بإمكان فرقة مكونة من أربعمائة إلى ستمائة جندي إنكشاري أن تجبر القبائل على دفع الضرائب والخضوع[50]، ولكن بعد ذلك أصبحت هذه الفرق غير قادرة على أداء واجبها، مما اضطر الإيالة إلى تدعيمها بقوات إضافية والاعتماد على قبائل المخزن خاصة بعدما تعلم السكان استعمال الأسلحة النارية وأتقنوا فنون القتال كما سبق ذكره.

أما عن موعد انطلاق هذه المحلات الثلاث فكان يتم أثناء فصل الربيع، إذ بعد الانتهاء من دفع الجرايات الكبرى يعين الجنود الذين سيشكلون هذه الفرق[51]، وكان هؤلاء يتجمعون خارج مدينة الجزائر عند باب عزون، حيث يقيمون في الخيام ينتظرون أوامر آغا المحلة بالانطلاق، وكان هذا المكان نفسه الذي يتوقف عنده *"اليولداش"* بعد عودتهم وقبل دخولهم إلى المدينة.[52]

ونظرا لصعوبة المهمة وطول المدة فإن كل محلة كانت تحصل على كل ما يلزمها من مؤونة وسلاح وحيوانات، إذ كان باشا الجزائر يقدم لكل فرقة مؤونة تشمل البرغل (قمح يقلى ثم يرحى ويغربل لتنزع منه النخالة ويحتفظ به ليطبخ عند الحاجة) والبسكويت، الزبدة، اللحم مرة واحدة في الأسبوع[53]، وإلى جانب ذلك كان الباي يضطر أن يحمل معه مؤونة تتمثل في قطعان من الماشية، البسكويت، الزيت وغيرها من المواد حتى يكون الجنود في مأمن من نقص الغذاء، خاصة وأن السكان

كانوا يتزحون إلى المناطق الداخلية والمعزولة عند اقتراب المحلة من أراضيهم مما يحرمها من مصدر هام للمؤونة[54].

وإلى جانب المؤونة كان *"اليولداش"* يحمل معه مجموعة من الأسلحة ليقوم بواجبه، وهي عبارة عن بندقية وسيف، كما كان البايلك يقدم لكل جندي أربعة أرطال من البارود بقيمة خمسة عشر درهما للرطل الواحد، وأربعة أرطال من الرصاص بقيمة خمسة دراهم للرطل الواحد، وهذا ما يكلفه ثمانون درهما تخصم من أجرته وتدفع إلى خزينة الحكومة[55]، أما لباسه فإلى جانب ذلك الذي كان يلبسه، فإنه يحمل معه قميصين وسروالين، أما للنوم فتقدم له بطانية وغطاء صغير، إلى جانب برنوس يستعمله للاتقاء من المطر.[56]

ولنقل الأمتعة والعتاد فإن البايلك يمنح لكل خيمة ستة بغال أو أحصنة، والتي قد تستعمل كذلك لنقل الجرحى، وإلى جانبها توجد دواب احتياطية في مؤخره المحلة تستعمل عند الضرورة كموت أحدها أو تعرضها إلى جروح.[57]

أما لفرض النظام والسير الحسن داخل المحلة، كان الداي يعين أحد *"الأياباشين"* برتبة آغا أو برتبة كاهية لقيادتها وتطبيق العدالة بين الجنود، إذ أن القانون لم يكن يسمح للباي أو أي ضابط بمعاقبتهم، ويسهر على تنفيذ أوامرها شاوشان من ذوي اللباس الأخضر[58]. أما لضمان الغذاء اليومي فلقد كانت كل خيمة تعين وكيل خرج، وهو بمثابة المقتصد الذي يشرف على تسيير المؤونة التي يمنحها البايلك لأعضاء المحلة كما يكلف بشراء الغذاء ونصب الخيمة وتهديمها ونقل المتاع فوق الدواب، وإلى جانبه يوجد *"الأشجي"* الذي كان يُختار من بين الجنود الحديثي التجنيد، حيث توكل إليه

مهمة تحضير الغذاء لجنود الخيمة، ويساعد وكيل الخرج على حمل المتاع وإنزاله، وهناك "*السقاباشي*" الذي يشرف على مجموعة من الجنود مهمتهم توفير الماء للمحلة.[59]

كان انطلاق المحلة يتم بعد استنفاذ كل التحضيرات، حيث تتوجه إلى مقر الباي لتنظم إلى قواته المشكلة أساسا من الحاميات التركية وقبائل المخزن، ومن هناك تنطلق جميعها تحت قيادة الآغا والباي باتجاه القبائل، وكانت هذه القوات تقسم إلى فرق صغيرة يقود كل واحدة ضابط برتبة "أوداباشي"، وحسب "بايسونال" الذي شاهد محلة الشرق، فإن سيرها كان يخضع لتنظيم معين، ففي المقدمة يسير الآغا وهو يمتطي حصانا، ويسبقه شاوش ثم تتبعه مجموعة من الجنود الإنكشارية المشاة، وبعد ذلك يأتي الباي المتبوع بعدة فرق من الجنود وحاملي الأعلام وأصحاب الطبول، وفي المؤخرة قبائل المخزن والأعلاج والعبيد.[60]

ما يستخلص من ذلك أن سير المحلة كان يخضع للانضباط والنظام و لم يكن عشوائيا، كما أن كل الجنود والضباط يسيرون على الأقدام، ما عدا الباي والآغا و كاهيته الذين كانوا يمتطون الأحصنة، غير أن هذا لا ينفي وجود فرقة من الفرسان ترافق المحلة، ولهذا الغرض كان بعض الأهالي يكلفون بمهمة الاعتناء بالخيول وتغذيتها.[61]

وكان النظام يفرض أن يسبق وكيل الخرج و"*الأشجي*" ومساعديه الجنود ليقوموا بنصب الخيام وتحضير المعسكر لهم، بحيث عند وصولهم يجدون الطعام جاهزا فيتناولونه ويركنون إلى الراحة[62]. أما المعسكر فهو عبارة عن مجموعة من الخيام ذات شكل دائري، يمكن لكل واحدة أن تأوي حوالي ثلاثين رجلا. وكانت كل خيمة تتشكل من فرقة من الجنود يقودهم "*البلوكباشي*" (أي قائد الفرقة) ويساعده

"أوداباشي"، وكيل الخرج وسبعة عشرة يولداشا أي ما يشكل مجموع عشرين جنديا إلى جانب بعض الأهالي المكلفين بخدمة الجنود والاعتناء بالدواب المخصصة لنقل الأمتعة.[63]

تخضع نصب الخيام لتنظيم معين، ففي الوسط توضع خيمة الباي وتقابلها خيمة الآغا، وحولها نصب خيام الجنود، وبمجرد وصول الجميع تقام مجموعة من المراسيم، إذ يقترب شاوشان يمثلان كل الجنود من الآغا ويسألانه إذا كانوا سيجدون الماء والغذاء وكل ما يحتاجون إليه داخل المحلة، فيرد عليهم بالإيجاب، ثم يسألانه إن كانوا يعملون لصالح الديوان وإذا كانت الأموال التي سيجمعها الباي ترسل إلى الداي بمدينة الجزائر، بعد ذلك يرسل الآغا الشاوشان إلى الباي لتقديم طلبات الجنود الذي يخبرهما بأن كل احتياجاتهم متوفرة في المحلة وأن الأموال سترسل إلى الداي، ثم يحملان رده مرة أخرى إلى الآغا الذي يخبرانه بأنهم سيشنقون الباي أو يقطعون رأسه إذا لم يف بوعوده وهكذا تنتهي المراسيم.[64]

وكان آغا المحلة يقوم بتفتيش الجنود والاطمئنان على اكتمال عددهم الذي كان في كثير من الأحيان ناقصا بسبب هروب بعضهم، أو تأخرهم عن الالتحاق بالمحلة، حيث يظهر أن كثيرا منهم كانوا يفضلون البقاء في مدينة الجزائر، ربما لرعاية مصالحهم أو تجارتهم، وأمام هذه الوضعية كان الآغا يحرر تقريرا إلى باشا الجزائر لإخباره بذلك، ففي 5 ذي الحجة 1243هـ/ 21 جوان 1828 م، أرسل آغا محلة الشرق رسالة إلى الداي حسين يخبره فيها عن غياب أربعة عشر جنديا من المحلة[65]، وتقرير آخر بعثه آغا نفس المحلة في 14 ذي الحجة 1244هـ/17 جوان 1828م إلى الداي حسين يخبره فيها بأنه أحصى جنود محلته في منطقة برج حمزة (أي البويرة)، واكتشف أن بعضهم بقي في مدينة الجزائر حيث أورد أسماءهم في التقرير.[66]

لقد تميزت حياة الجنود داخل المحلة بالانضباط واحترام بعضهم البعض وخاصة الضباط، كما أصدرت الإيالة مجموعة من القوانين أطلق عليها "عهود الأمان"، ومما ورد فيها أن أي جندي يرتكب مخالفة ينتج عنها اضطرابات فإنه يمنع من دخول مدينة الجزائر، أما إذا كان المذنب آغا المحلة نفسه فإن عقوبته تؤجل إلى حين عودته إلى المدينة، حيث يتم التحقق من ذلك، وإذا ثبتت عليه المخالفة فإن الحكم سيصدر ضده فورا.[67]

ولجباية الضرائب كانت محلة *"البوللداش"* تتنقل من منطقة إلى أخرى متتبعة في ذلك آثار القبائل، وإذا سارت الأمور بشكل عادي فإنها بمجرد الاقتراب من إحداها يحضر شيوخها لدفع ما عليهم من ضرائب، رغم أن المكلفين بالتحصيل كثيرا ما يعملون على إثارة غضب هؤلاء الشيوخ حتى يتمكنوا من فرض غرامات باهضة عليهم كعقوبات.[68]

غير أن هذه العملية لم تكن تتم دائما بسهولة، فكثيرا ما كان الجنود يلجأون إلى الضغط والقوة لإجبار القبائل على دفع ما عليها من ضرائب، وقد تندلع بين الطرفين مواجهات مسلحة فيقوم الجنود بنهب كل شيء من حيوانات ومؤونة، وتفرض على القبيلة المنهزمة عقوبات صارمة حيث تعامل كقبيلة منهزمة وتصادر ممتلكاتها، ومن ذلك أن الباي محمد الكبير قاد غزوة مكونة من خمسة عشر ألف رجل، منهم ألفي تركي جنوب معسكر، وخلالها تم معاقبة أربعة عشر أو خمسة عشر دوارا، وتم الحصول على غنيمة مكونة من: سبعة وستين ألف رأس من الأغنام والماعز، وخمسة آلاف جمل وستمائة وثلاثة وثلاثين بغلا وسبعمائة وعشرين بقرة وثورا، كما تم أسر ستين شخصا معظمهم من النساء، وتم بيع جزء منها والباقي وزع على الجنود وقبائل المخزن[69]، وفي عام 1825 قام مصطفى بومرزاق باي التيطري بحملة ضد قبيلة الأربعاء تمكن خلالها من أسر مائة وعشرين من الأعيان واستولى على عشرة

آلاف وسبعمائة جمل وفي العام التالي قام بحملة أخرى ضد أولاد مختار الشراقة حيث استولى على خمسمائة جمل وأربعة آلاف خروف.[70]

د- حاميات الجيش الإنكشاري ودورها في حفظ الأمن:

إضافة إلى المحلات التي كانت تجوب أرجاء الإيالة، كانت السلطة المركزية تقيم في المدن الهامة والمناطق الإستراتيجية مراكزا دائمة للمراقبة يتناوب الجنود على الإقامة فيها خلال فترة محددة بعام واحد، وقد أطلق عليها الحامية أو النوبة، حيث كانت كل واحدة منها مكونة من عدد معين من *السفرات*" (أي المائدة) التي يتجمع حولها "*اليولداش*" عند موعد تناول الطعام.[71]

ويظهر أن هذه الحاميات اكتسبت أهمية كبرى وإستراتيجية داخل الإيالة، إذ أن عروج كان قد أقام عددا منها في المناطق التي أخضعها مثل شرشال التي شكل بها حامية مكونة من مائة جندي، أو قلعة بني راشد التي ترك بها أخرى بقيادة أخيه إسحاق قبل توجهه إلى تلمسان كما سبق ذكره، وقد مكن هذا العمل الإيالة من تركيز وتثبيت وجودها في كامل ترابها، وخاصة في المدن الكبرى أو في الأبراج المتمركزة في النقاط الإستراتيجية لمراقبة السكان.[72]

لقد تدعم عدد الحاميات أو النوبات بشكل ملفت للانتباه في أواخر العهد العثماني بالجزائر، ويرجع ذلك إلى القوة والخطورة التي أصبح يشكلها السكان على القوات الإنكشارية، ففي العهود الأولى كانت هذه الفرق تجوب أنحاء البلاد بكل حرية لإخضاع المتمردين حتى في المناطق المحصنة طبيعيا، بفضل سياسة التحالفات مع القبائل وامتلاكها للأسلحة النارية، وهكذا لم تكن بحاجة لإقامة الأبراج والحصون، غير أن الأوضاع تغيرت بعد ذلك خاصة بعدما أصبح التفوق التركي يزول تدريجيا

نتيجة امتلاك السكان للأسلحة النارية، وقد اضطرت هذه الوضعية الجنود الإنكشاريين إلى إقامة نقاط لمراقبة القبائل المتمردة والتحصن وراء الجدران والأبراج.[73]

ونظرا لأهمية هذه الحاميات، فإن مهمة *"اليولداش"* داخلها كانت إجبارية، إذ كان القانون يمنع على الجنود النوباجية تعويض أنفسهم بجنود آخرين يكونون في حالة عطلة مثلما كان عليه الحال بالنسبة لأولئك المعينين للمحلة، وكل ما كان يسمح لهم به تبديل الحامية التي وجه إليها بحامية أخرى بعد الاتفاق مع أحد جنودها، غير أن هذا التغيير لا يعني الجنود المعنيين في إحدى حصون مدينة الجزائر أو خليجها.[74]

أما لنقل الإنكشاريين إلى الحامية التي وجهوا إليها، فيظهر أن الإيالة اعتمدت في ذلك على وسيلتين، فإما عن طريق البحر بالنسبة للمدن الساحلية باستعمال سفن الأسطول، وإما بواسطة الدواب بالنسبة للمدن الداخلية، ويذكر "بارادي" أن كرائها كان يقع على عاتق سكان المدينة التي ستقيم فيها الحامية، فيدفع الأهالي ثلاثة أرباع القيمة المالية والباقي يدفعه اليهود.[75]

ولأداء مهمتها في أحسن حال كانت الحكومة توفر لكل نوبة مؤونة متنوعة تضم الأرز، البرغل، اللحم الذي يوزع مرتين في الأسبوع على الجنود، إلى جانب الصابون لغسل ملابسهم ويضاف إلى ذلك ما كان يقدمه السكان، فكانت حامية بسكرة مثلا عند وصولها إلى المدينة تبقى في ضيافة سكانها لمدة ثلاثة أيام متتالية.[76]

إلا أن هذا النصيب من المؤونة لم يكن يسد حاجة الجنود في كثير من الأحيان، مما اضطرهم إلى التكفل بمصاريفهم الخاصة والإضافية بوضع نصيب من أجرهم بين يدي وكيل الخرج و*"الأشجي"* لتكليفهما بتوفير هذه المستلزمات[77]، وفي أحيان أخرى كان آغا النوبة يضطر إلى توجيه طلب رسمي إلى

الداي يتضمن التماسا بإرسال ما ينقص من مؤونة، ففي عام 1229هـ/ 1814هـ اضطر آغا نوبة عنابة بسبب غضب الجنود وخوفا من ثورتهم أن يوجه رسالة إلى داي الجزائر، يعلمه فيما بعدم كفاية المؤونة خاصة القمح والزيت والسمن والصابون الذي لا يمكن أن تسد حاجة *"اليولداش"* إلا لمدة خمسة عشرة أو ستة عشر يوما فقط، ولهذا فهو يرجوه النظر بعين العطف إلى جنوده[78]. وفي 18 شعبان 1244هـ/فبراير 1828م، راسل آغا نوبة بسكرة الداي حسين يشكو إليه نقص الحطب المخصص لتحضير الطعام *"للسفرات"*، ويخبره بأنه راسل باي قسنطينة دون أن يتلق منه أي رد مما اضطره إلى مراسلته شخصيا.[79]

وإلى جانب المؤونة كان البايلك يوفر لكل نوباجي إضافة إلى سلاحه الخاص ثلاثة أرطال من البارود بسعر خمسة عشر درهما للرطل الواحد، وثلاثة أرطال من الرصاص بثمن خمسة دراهم للرطل الواحد، وهو ما يكلفه ثمنا يقدر بستين درهما يقتطع من أجرته ويدفع إلى خزينة البايلك[80]، وهذا يكفيه لمدة سنة التي سيقضيها في الحامية.

كان الجنود داخل الحامية مقسمين إلى عدد من *"السفرات"* (أو الموائد)، تضم كل واحدة ما بين أحد عشرة وستة عشرة جنديا يشرف عليهم جماعة من الضباط يتشكلون من الآغا الذي يُختار من بين أقدم *"البلوكباشيين"*، *"الأوداباشي"*، *"السقاباشي"*، *"الأشنجي باشي"*، وكيل الخرج وشاوشا.[81]

أما في الأبراج فوجد هناك قائد البرج الذي كان يقيم خارجه مع عائلته، ولا يحضر إليه إلا لقضاء المصالح العامة للناس الذين يأتون إليه لتقديم الشكاوى، فيحكم فيها بعد الاستماع إليهم، وأمام هذه الوضعية فإن البايات لم تكن لهم أي سلطة على جنود الحامية الذين خضعوا للآغا الذي كانت له حرية التصرف، بحيث لا يتلقى أوامره إلا من الداي نفسه.[82]

إلا أن عدد الجنود الذين يبعثون للعمل داخل إحدى الحاميات لم يكن يكتمل في كل الأحيان، فكثيرا ما لوحظ نقص في أعدادهم إما لتأخرهم في الالتحاق بنوبتهم، أو الفرار من أداء واجبهم خاصة وأن هذا العمل لم يكن مرغوبا فيه بين الجنود، وتخبرنا الوثائق عن حالات كثيرة للتغيبات، ففي عام 1229هـ/ 1814هـ بعث خليل آغا نوبة بجاية رسالة إلى الداي حسين يعلمه فيها بنقص اثني عشرة جنديا من نوبته موزعين كالآتي: يولداش واحد من سفرة الآغا بقي في مدينة الجزائر، أربعة من سفرة الكاهية لم يعلم وجهتهم، وسبعة جنود من سفرة *"البلوكباشي"* منهم جنديين بقيا في مدينة الجزائر[83]، وفي 20 ذي القعدة 1244هـ/ماي 1828م بعث آغا نوبة مستغانم رسالة إلى الداي حسين تخبره فيها بأن اثنين وأربعين جنديا من جنود نوبته لم يلتحقوا بعد.[84]

كانت المهمة الملقاة على عاتق جنود النوبة المنتشرة داخل المدن أو في المناطق المعزولة تنحصر فيما يلي:

1. حماية وحراسة الطرق الرئيسية التي كانت تسلكها القوافل التجارية أو القوات الإنكشارية وحتى البايات عند قدومهم إلى مدينة الجزائر لدفع الدنوش، وفي هذا المجال أوكلت إلى برج بوغني بمنطقة القبائل مهمة تأمين الطريق التي كانت تمر عبرها قافلة باي قسنطينة، إلا أنه اضطر إلى تغيير مسلكه بعدما هاجمت إحدى القبائل المتمردة البرج، حيث حطمته عن آخره وقضت على الحامية التي كانت تعسكر به.[85]

رغم ذلك استطاعت هذه الأبراج والتحصينات توفير أكبر قدر من الأمن في التنقلات والتحركات، وصد الكثير من هجومات القبائل المتمردة، حيث عملت الإيالة على تقويتها وتدعيمها والإكثار من عددها، فيذكر الجاسوس "بوتان" عام 1808م أنه وجدت على طول الطريق الرابط بين مدينة الجزائر

وقسنطينة ثمانون نقطة للحراسة والمراقبة، وهو نفس العدد على طريق الجزائر –المدية، أما على الطريق الموصل من مدينة الجزائر إلى وهران فوجدت ما بين سبعين وثمانين نقطة مراقبة.[86]

2. فرض النظام والاستقرار في المدن التي تعلن تبعيتها للسلطة المركزية، حيث ترسل إليها حامية للدفاع عن سكانها وفرض الانضباط بينهم، وهكذا أصبحت تمثل حكومة الداي على المستوى المحلي.

3. محاصرة القبائل المتمردة والثائرة التي شكلت شبه جمهوريات مستقلة داخل مناطقها الجبلية المحصنة، ومنها أصبحت تشكل خطرا على الوجود العثماني في الجزائر، مما دفع الإيالة أمام صعوبة التوغل إلى هذه المناطق إلى محاصرتها في معاقلها، ببناء مراكز محصنة بإمكانها صد هجوماتها ومحاصرتها اقتصاديا، غير أن هذا العمل كثيرا ما كان دون جدوى[87]، إذ أصبح الجنود محاصرين في هذه الأبراج تنحصر مهمتهم على ما يظهر في الدفاع عن الحصن بصد هجومات القبائل دون تمكنهم من القيام بأي عمل عسكري خارجه، وإذا تم ذلك فيكون من خلال الاستعانة بالقبائل الحليفة المتواجدة بالمنطقة.[88]

وهكذا أصبحت تحركات الجنود النوباجية محدودة، إذ كثيرا ما انحصرت داخل البرج أو في المناطق المحيطة به، غير أن كثيرا منهم استطاعوا أن يقيموا علاقات مع الأهالي من خلال مصاهرتهم كما أن بعضهم الآخر أقاموا مشاريعا اقتصادية تدر عليهم بعض الأموال التي تضاف إلى أجورهم[89]. أما لتسهيل حياة هؤلاء الجنود فقد تم توفير كل ما يحتاجه هؤلاء في حياتهم اليومية.

كانت الأبراج مكونة من طابقين، حيث يضم الطابق الأرضي لبرج سيباو ،مثلا مخازنا للمؤونة والذخيرة وسجنا، أما الطابق العلوي فيضم مجموعة من الغرق منها غرفة القايد وأخرى للشواش والقادة

آخرين، إلى جانب مخزن للسلاح ومطعم، كما يشمل فتحات تخرج منها فوهات المدافع لمراقبة المناطق المحيطة بالبرج وحماية الأهالي، والتي يسهر عليها جماعة من الجنود الطوبجية يقودهم "باش طوبجي".[90]

للإشارة فقد ساهمت الأبراج في ظهور تجمعات سكانية عبارة عن مستوطنات أو قرى في مناطق كانت سابقا خالية من السكان، فبعد بناء البرج يتوافد عليه الأهالي الذين يقيمون مساكنهم بالقرب منه طمعا في الحماية والأمن، وحسب الضابط الفرنسي "كارت" فإن هؤلاء كانوا من اللصوص والمجرمين الذين يفرون من قبائلهم خوفا من العقاب، ويلجأون إلى قائد البرج الذي يمنحهم قطعة أرض لزراعتها ويصبحون جنودا أو خيالة بعد تدعيمهم بالسلاح والأحصنة على أن يدفعوا ثمن كل ذلك بعد جني المحصول وبيعه، وإلى جانب هؤلاء يتوافد على هذه المستوطنات أعداد من العرب والكراغلة والنساء ذات الأخلاق المشبوهة، وينتج عن كل ذلك اختلاط بين هذه العناصر عن طريق التزاوج وهكذا تكون الزمالة.[91]

دفاعات مدينة الجزائر:

لقد وقع الدفاع على مدينة الجزائر وحمايتها من الواجهة البرية والبحرية على عاتق الجيش الإنكشاري. وبفضل إفشال كل المحاولات الأوروبية المسيحية للأستيلاء عليها، فقد عرفت مدينة الجزائر باسم "الجزائر المحروسة" أو "الجزائر المنصورة"[92]، فلقد كانت عبارة عن قلعة جيدة التحصين يصعب على أي عدو اقتحامها، رغم أنها كانت دائمة التعرض للاعتداءات الخارجية القادمة من البحر، مما جعلها دائمة التأهب لصد هذه الهجومات وردها خائبة.

فكذا عمل حكام الإيالة منذ القرن السادس عشر ميلادي على تحصين المدينة وتقوية جهازها الدفاعي، والذي أدخلت عليه تعديلات وتحسينات في الفترات اللاحقة، مع تكثيف الدول الأوربية لهجوماتها الجماعية أو المنفردة.

وأمام هذا الوضع أحيطت المدينة بأسوار وجدران شامخة تمتد على طول ألفين وخمسمائة متر، أما علوها فيصل مما بين عشرة واثني عشرة مترا، وسمكها ما بين مترين وثلاثة أمتار حيث يختلف عن منطقة لأخرى على طول الجدار، أما المواد التي استعملت في بناءها فتتشكل أساسا من الإسمنت الذي يؤسسها، أما بناؤها فتم بواسطة الآجر المشوي إلى جانب الحجارة والأتربة، وتم طلاؤها بمادة الجير، بما تظهر ذات لون أبيض جذاب، وفي أسفل هذا الجدار تم حفر خندق عميق وعريض مهمته عرقلة تقدم الأعداء القادمين من جهة البر أو البحر.[93]

وكانت تتخلل هذا الجدار والخنادق مجموعة من الأبراج والأسوار الجيدة التحصين، حيث روعي في بناءها إستراتيجية المكان حتى تتمكن من توفير حماية واسعة للمدينة وصد الغارات من كل الاتجاهات، ولهذا شيدت قرب منافذ المدينة ودعمت بمدافع ثقيلة.[94]

ويظهر أن هذه الأبراج كانت عموما مقسمة إلى خطين دفاعيين، أحدهما أمامي متقدم والآخر خلفي، تضاف إليها الدفاعات المتمركزة داخل المدينة نفسها[95]، وكان امتدادها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب على طول ساحل المدينة بالشكل التالي:[96] برج تمنفوست، برج وادي الحميز، برج الكنادل، برج الحراش، برج باب عزون، البرج الجديد، برج باب الواد، برج مرسى الذبان، برج قلعة الفنار، برج سيدي فرج، برج قلعة الإمبراطور، برج النجمة.

وكانت تسهر على حماية الميناء أربعة أبراج: برج الفنار، برج السردين، برج القومان، برج رأس المول.

وبعد قصف اللورد إكسموت عام 1816 قامت الإيالة ببناء حصنين جديدين لحماية مداخل المدينة، أطلق عليهما برج البحر وبرج ما بين أو الوسط.

نظرا لأهمية هذه الدفاعات فكثيرا ما لجأت الحكومة إلى صيانتها دوريا أو تدعيمها، ولهذا كانت تفرض على السكان القيام بهذه المهمة دون مقابل (أي السخرة)، ويذكر "بارادي" أنه نتيجة حاجة الإيالة إلى حفر خنادق ما بين باب عزون وواد الحراش، فقد كُلفت النقابات المهنية بهذا العمل، حيث كانت كل نقابة تقوم بالحفر لمدة يوم واحد.[97]

أما وراء هذه الحصون والأبراج فتمركزت مجموعة من النوبات، أوكلت إليها مهمة الحراسة وصد أي عدوان تتعرض له المدينة.

غير أن أهم النوبات لمدينة الجزائر كانت تلك الموجهة إلى قصر الجنينة المقر الرسمي لإقامة الداي، إلى جانب حصن القصبة أقدم حصون المدينة ، ولهذا كان يختار لها أحسن الجنود وأخلصهم، كما منع على الكراغلة الانخراط فيها.[98]

1. نوبة القصر: يظهر أن جنود هذه النوبة كانوا من ذوي الكفاءة العسكرية الكبيرة باعتبارهم الحرس الشرفي الخاص لمقر الحكومة، إذ أوكلت إليهم مهمة السهر على حفظ حياة الداي وكبار الموظفين بتوفير الأمن داخل القصر، حيث كانوا يجردون الجنود الداخلين إليه من أسلحتهم، وحسب المصادر فقد كان هؤلاء يلبسون لباسا جزائريا، ويحملون سيوفا ومسدسات، وبسبب خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم فإنه لم يسمح لهم بمغادرة مراكزهم لدرجة أنهم كانوا يتناولون

طعامهم من مطبخ الداي وينامون في نفس المكان.[99] ويشرف على هذه القوة خوجة القصر، ويظهر أن هذا المنصب كان ذا أهمية لدرجة أنه لا يمنح إلا لذوي الثقة، حيث بإمكان صاحبه أن يجلس يوما ما على كرسي الداي.[100]

ل- نوبة حصن القصبة: اعتبرت القصبة ولفترة طويلة من الزمن الحصن الوحيد في المدينة، حيث شُرِع في بنائها عام 1516م واكتمل في عام 1592م.[101]

ونظرا لأهميتها وموقعها الإستراتيجي حيث بنيت في أعالي المدينة فقد اعتبرت حصنا داخل حصن، إذ أحيطت بجدار يتراوح سمكه ما بين مترين وثلاثة أمتار، وارتفاعه ما بين عشرة أمتار واثني عشر مترا، كما دعمت بحوالي خمسين مدفعا موجهة في كل الاتجاهات، فمنها ما هو موجه نحو المناطق المحيطة بالمدينة وأخرى نحو الميناء، وأخرى موجهة نحو المدينة نفسها والتي تستعمل لتفريق المتظاهرين أو المتمردين الذين يهددون الأمن العام.[102]

أما داخل القصبة فكان عبارة عن ترسانة توضع فيها أسلحة البايلك، إذ وجدت فيها مخازن الذخيرة من بارود وكرات المدافع والنار، إلى جانب مخازن الأسلحة الفردية كالبنادق والسيوف، يضاف إليها مخازن تحتوي على المؤونة ومواد أخرى إلى جانب إسطبلات للخيول التي كان معظمها يوجد خارجها في إسطبلات البايلك.[103]

لقد ارتبطت بهذه القصبة أحداث كثيرة عرفتها المدينة في فترات متعاقبة ومنها ثورة الكراغلة عام 1630، كما أن الداي علي باشا نقل مقر الحكم إليها في 1817 بعدما كان في قصر الجنينة قصد التخلص من سيطرة الإنكشارية، ورافق ذلك نقل الخزينة العامة للبايلك إليها مما زاد في أهميتها، فقد تم تدعيمها بثلاث نوبات تتناوب على حراسة الخزينة.[104]

جدول رقم 1: توزيع الحاميات في الجزائر.

ـسبة	مجموع السفرات	عدد جنود كل سفرة	مجموع الجنود
[illegible]	2 سفرتان	14-14	28 جنديا.
[illegible]	5 سفرات	17-15-16-16-14	78 جنديا.
[illegible]	10سفرات	16-16-16-16-15-16-16-16-14-15	156 جنديا.
[illegible]	5 سفرات	15-14-16-15-13	73 جنديا.
[illegible]	5 سفرات	15-14-14-14-14	171 جنديا.
[illegible]	4 سفرات	15-16-16-15	62 جنديا.
[illegible]	3 سفرات	14-15-15	44 جنديا.
[illegible]	سفرتان	14-15	29 جنديا.
[illegible]	5 سفرات	16-16-15-16-13	76 جنديا.
[illegible]	3 سفرات	15-14-13	24 جنديا.
[illegible]	سفرتان	15-14	29 جنديا.
[illegible]	سفرة واحدة	15	15 جنديا.
[illegible]	4 سفرات	15-16-16-15	62 جنديا.
[illegible]	سفرة واحدة	15	15 جنديا.
[illegible]	سفرتان	15-14	29 جنديا.
[illegible]	سفرتان	15-15	30 جنديا.
[illegible]	سفرة واحدة	15	15 جنديا.
[illegible]	سفرة واحدة	15	15 جنديا.
[illegible]	سفرة واحدة	15	15 جنديا.
[illegible]	سفرتان	18-19	37 جنديا.

...	3 سفرات	20-20-19	59 جنديا.
...لنوبة	**64** سفـــرة	**980** جـــنديا	**980** جنديا

أما عن توزيع الحاميات على مختلف أنحاء الإيالة وعدد الجنود المتمركزين في كل واحدة منها، ...الجدول رقم (4)[105] يوضح لنا بشكل دقيق ومفصل توزيعها الجغرافي وعدد *"السفرات"* المتمركزة ...كونة من هذه النوبات، غير أن الجدول أهمل ذكر بعض الحاميات التي كانت تتمركز خاصة على ...المدن الرئيسية وفي المناطق الإستراتيجية وخاصة في الأبراج كبرج بوغني أو ساباو وسور الغزلان والقل ...ويظهر أنه ركز على أهم الحاميات، خاصة وأن الكثير منها كان قد تحطم وهجرها الجنود بعد ...ثورات الريفية وانعدام الأمن فيها، وبالتالي لم يصبح لها أي دور عسكري تقوم به في هذه الفترة (...[123]).

إذن نستنتج أن حاميات الجيش الانكشاري، كانت منتشرة في كل جهات الايالة، حيث ...ساهمت إلى جانب قبائل المخزن في حفظ الأمن والنظام، وهذا رغم قلة عدد الجنود الذين يشكلون ...الحامية كما هو موضح في الجدول أعلاه.

هوامش الفصل الثالث

[1] يشبه القنصل الأمريكي "وليام شالر" هذا النظام بذلك الذي ظهر في الإمبراطورية الرومانية بعد وفاة الإمبراطور "كومودوس" أنظر: شالر، وليم، المرجع السابق، ص42.

[2] جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص389.

[3] أنظر: Venture de Paradis.Op.cit, p 204 وحمدان، خوجة، المرجع السابق، ص121.

[4] سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص74.

5 Tassy.Op.cit, p 129.

[6] سبنسر، وليم، المرجع السابق، ص74.

[7] Shaw.op.cit, p 153.

[8] خط همايون 556 1231/6/22هـ. المركز الوطني للأرشيف بالجزائر،

[9] Venture de Paradis. Op.cit, p 205.

[10] Gaïd, Mouloud.op.cit, p 162.

11 Renaudot. Op.cit, p 90.

[12] د. سعد الله، أبو القاسم، *أبحاث وآراء...*، الجزء الثاني، ص332.

[13] Tassy.Op. cit, p 130.

[14] حول هذه الحادثة راجع: Tassy. Op. cit, p 134

EMIRIT, Marcel " Un astronome...", p 228.

[15] Grammont (H.D).Op. cit, p 228.

[16] Tassy. Op.cit, p 130.

[17] جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص433.

[18] Tassy. Op.cit, p 135.

19 Boyer, Pièrre. Op. cit, p 94.

[20] Fau (Le R.P, de la Mercy). « Description de la ville d'Alger avec l'observation d'une éclipse de lune qui y arrive le 13 Février 1729 ». *R.A*, T 85 (1940), p 252.

[21] EMIRIT, Marcel . « Le voyage de la condamine à Alger 1731 » . *R.A* (1954) , p 292

[22] Gaïd, Mouloud.op.cit, p 153

[23] د. فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص73.

[24] Grammont (H.D de).Op. cit, p 266.

[25] Renaudot. Op .cit, p 86.

[26] Grammont .Op. cit, p 227.
[27] Ibid, p 228.
[28] Haedo « topographie... », p 407.
[29] Belhamissi, Moulay. ***Marine***..., p 183.
[30] Grammont.Op. cit, pp 83 – 84.
[31] أنظر: Gramaye. Op.cit, p 193 و Haedo "Topographie" , p 503.
[32] جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص101
[33] Yamilé, Bouabba. Op. cit, p 40.
[34] د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص95.
[35] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص119.
[36] Venture de Paradis. Op. cit, p205.
37 Gramaye. Op. cit, p 205.
[38] شالر، وليم، المصدر السابق، .ص.ص55-56.
[39] Haedo « Topographie... », pp 43 –44.
[40] Shaw. Op. cit, p 120.
[41] Belhamissi, Moulay. Op. cit, p 188.
[42] Haedo « Topographie... », p 47.
[43] Venture de Paradis. Op.cit, p 188.
[44] حول الموضوع راجع
Belhamissi Moulay. ***Les captifs algériens et l' Europe chrétienne***. E.N.A.L, Alger, 1988, pp 35 – 44.
[45] Venture de Paradis. Op. cit, p152.
[46] Grammont.Op.cit, p 410.
[47] الزهار، أحمد الشريف، المصدر السابق، ص.ص 35 –36.
[48] Venture de Paradis. Op. cit, p 171.
[49] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص140.
[50] Haedo « Topographie... », p 509.
[51] لم يكن الجندي الإنكشاري مجبرا على الانخراط في المحلة، إذ كان يكفيه أن يتفق مع أحد رفاقه ليحل مكانه مقابل مبلغ مالي محدد. أنظر: Venture de paradis. Op. cit, p 166.
[52] أنظر Haedo. "Topographie..."p.p 509-510 وأيضا Gramaye.Op.cit, p 202
[53] حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص139.
[54] Shaw. Op.cit, p193.

[55] Devoulx (A). Tachrifat..., p30.
[56] Haedo. « Topographie... », p511.
[57] Tassy.Op. cit, p 153
[58] Shaw. Op. cit, p 153.
[59] Venture de Paradis.Op.cit, p.p 168 – 171.
[60] Paysonnel (J.A). Op. Cit, p 196.
61 Shaw. Op. cit, p.p 191 – 192.
62 Boyer, Pièrre. Op.cit, p 145.
63 Tassy. Op. cit, p153.
64 Paysonnel (J.A). Op. cit, p197.
[65] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 238.
[66] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 321.
[67] « Ahad-Aman... », p.p 215- 216.
68 Boyer, Pièrre. Op. cit, p 145.
69 EMIRIT (M). « Les aventures de Thédenat esclave et ministre d'un Bey d'Afrique (XVIIIe siècle) » *R.A*, TXCII (1948), p 182.
[70] Federmann et Aucapitaine. « Beylik de Titterie» *R.A* (1867), p 301.
[71] نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق، ص79.
[72] اعتمد الأتراك في بناء الأبراج والحصون على خطة الرومان، حيث أن معظمها بني على بقايا أبراج رومانية، والفرق يكمن في الوسائل المستعملة للدفاع عنها، أنظر:.Aucapitaine. Op.cit, p 21

[73] Robin (N). « Note sur l'organisation... », pp 133- 134.
[74] Venture de Paradis. Op. cit, p 166.
[75] Ibid, p 174.
[76] Devoulx (A) Tachrifat..., p 74.
[77] Gramaye. Op. cit, p 204.
[78] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 169.
[79] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 301.
[80] Devoulx (A). Tachrifat. Op. cit, p 30.
[81] Venture de paradis. Op. cit, p 173.
[82] Weissman, Nahoum. Op. cit, p 171.
[83] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 70.
[84] مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 320.
[85] Aucaptaine. Op. cit, p19.

[86] Boutin. Op. cit, p 47.

[87] الغالي، الغربي، المرجع السابق، ص140.

[88] Robin (N). « Note sur… », p 134.

[89] Venture de paradis. Op. cit, p 173.

[90] Robin (N). « Note...», p 203.

[91] Aucaptaine. confins…, p 13.

[92] كثير من الوثائق الرسمية آنذاك تحمل هذه العبارات كأختام الدايات مثلا، فإلى جانب اسم الداي ترد عبارة "والي محروسة جزاير غرب"، وفي وثائق أخرى نصادف مصطلح "الأوجاق المنصور دار الجهاد".

[93] راجع: Renaudot. Op. cit, pp 13 -14 و Boyer (P). *La vie.*., p 35.

[94] لمزيد من الوصف أنظر:

Devoulx (A). « Alger.Etude archéologique et Topographique sur cette ville, aux époques romaines (Icosium), arabe (Djazaïr Beni Maz renna) et turque (El Djazaïr) ». ***R.A*** , 1876, 1877-1878, p 170 et Sq .

وكذلك Renaudot. Op. cit, p 20

[95] لتفاصيل أكثر أنظر:

BELHAMISSI, Moulay – Alger la ville aux mille canons. pp 23 - 28

[96] أنظر: خلاصي، علي، المرجع السابق، من ص.ص 105- 128.

97 Venture de Paradis. Op. Cit, p 168.
98 Ibid, p 168.
99 Renaudot. Op. cit, p 96.
100Venture de Paradis. Op. Cit, p 213.
101Belhamissi (M). ***Alger***…, p 29.
102101 Boyer (P). ***La vie***…, p 37.
103Ibid, p 37.
104Devoulx (A). ***Tachrifat***, p 32.
105Ibid, pp 35 –36.

الفصل الرابع

انهيار الجيش الإنكشاري وعوامله. 1798-1830

أ- الاضطرابات.

ب- تراجع عملية التجنيد وتناقص عدد جنود الإيالة.

ج- الفرار من الجيش.

د- الاحتلال الفرنسي ومصير الإنكشارية.

1. ظروف الاحتلال الفرنسي.

2. مصيرهم بعد الاحتلال الفرنسي.

شكل تدخل الجنود الإنكشاريين في الشؤون السياسية وإهمالهم لواجبهم العسكري أحد العوامل التي عجلت بانقراض هذه الفرقة من الجزائر، ذلك أن هذه الصراعات أنهكت قواها وخفضت من معنوياتها القتالية.

كما لا يجب إهمال الظروف الخارجية في انهيار هذه الفرقة، خاصة بعد تراجع عملية التجنيد التي أدت إلى تناقص خطير في أعداد الجنود، حيث أن الإيالة اعتمدت طيلة العهد العثماني على جلب المتطوعين من الخارج دون السماح للسكان بالانخراط في الجندية، كما أنه لا يمكن إنكار العامل الداخلي في هذا التراجع خاصة مع انخفاض مداخيل الخزينة، التي كان جزء منها يخصص لعملية تجنيد المتطوعين من الأناضول ومناطق أخرى.

وأمام تدهور الأوضاع السياسية والأمنية والمالية للإيالة، برزت في صفوف الجنود ظاهرة خطيرة زادت في تقهقر الفرقة، تمثلت في هروب الجنود من وحداتهم والعودة إلى أوطانهم أو اللجوء إلى إيالات أخرى بهدف تحسين وضعهم المادي، والنجاة بأنفسهم من الموت التي أصبحت تهددهم مع سيادة الفوضى واللاأمن داخل إيالة الجزائر.

ستبرز هشاشة هذه الفرقة بعد فشلها في صد الحملة الفرنسية عام 1830، والطرد الجماعي لجنودها من الجزائر بعد توقيع الداي حسين على معاهدة الاستلام يوم 5 جويلية 1830.

- الاضطرابات:

إذا كان إنكشارية القرن السابع عشر قد تميزوا بإثارة الفوضى والاضطرابات بتدخلهم المستمر في شؤون الحكم واغتيال الباشاوات، فإنهم منذ القرن الثامن عشر أصبحوا يميلون إلى الهدوء والتعايش بسلام مع الباشاوات، الذين استطاع الكثير منهم أن يجلسوا على عرش الإيالة لفترة طويلة من الزمن ويموتون في فراشهم بعد أن عينوا خلفاء لهم لتولي شؤون الحكم من بعدهم[1]، فالملاحظ أنه ما بين عامي 1710 و1798 لم يعين على رأس الإيالة سوى تسعة دايات فقط، استطاع ثلاثة منهم أن يحكموا لوحدهم ما بين 1754 و1798، أي لمدة أربع وأربعين عاما، ويأتي على رأس هؤلاء الداي محمد بن عثمان باشا الذي حكم لوحده خمسة وعشرين عاما أي من سنة 1766 إلى 1791[2]، ولم يعكر هدوء واستقرار هذه المرحلة إلا تلك الأسطورة القائلة باغتيال خمس دايات في يوم واحد عام 1754 من خلال الصراع الذي نشب بين فرق الإنكشارية بعد اغتيال الداي محمد بكير باشا (1748-1754)، وإذا كانت بعض المصادر تؤكد هذه الحادثة فإن أخرى تنفيها وتعتبرها نوعا من الأسطورة[3].

ولم يكن هذا الهدوء مقتصرا على الجيش الإنكشاري المتواجد في مدينة الجزائر، بل شمل حتى المقاطعات البعيدة عن مركز الحكومة من خلال تحسن العلاقات بين البايات وفرق *"اليولداش"* التي كانت تقيم في الحاميات أو المحلات. وقد مكنت هذه الأوضاع كثيرا من البايات من الإشراف على شؤون بايلكاتهم لفترة طويلة من الزمن، وبالتالي الإصلاح من أحوالها وحل الكثير من المشاكل التي كان يواجهها السكان، فصالح باي حكم إقليم قسنطينة ما بين 1771 و1792 أي لمدة واحد وعشرين سنة ورغم تغير سيرته في أواخر أيامه، حيث أصبح يظلم الناس ويرهقهم بالضرائب، فإن عهده كان مليئا بالإنجازات والانتصارات، وفي هذا المجال يذكر محمد الصالح بن العنتري أن عهده كان متميزا، إذ

يقول في هذا الصدد: " وأتقن بنيالها – أي قسنطينة – فكان فيها منفعة للعباد ومصلحة وحصنا للبلاد، وأسس المساجد للديانات، وأجرى للضعفاء والقليلين الصدقات، فبذلك كانت أحواله في غاية الاستقامة والرعية طائعة إليه ومنقادة، ... وملك الأملاك في كل البلاد، وعم الخير كل العباد ..."[4].

أما في إقليم الغرب فقد استطاع الباي محمد الكبير البقاء على رأس البايلك من 1779 إلى غاية عام 1796، وقد مكنه استقرار الأوضاع من فتح وهران وطرد الإسبان منها نهائيا في سنة 1792[5]، بعدما كانوا قد طردوا منها في عام 1708 أثناء حكم الداي محمد بكداش (1707 – 1710)[6]، غير أنهم تمكنوا من الرجوع إليها في سنة 1732 في عهد الداي كرد عبدي (1724 – 1732).

إلا أن فترة الهدوء لم تدم طويلا حيث أنه سرعان ما عاد الجيش الإنكشاري إلى إثارة الفوضى، معبرا بذلك على نهاية فترة الاستقرار السياسي، وكان من نتائج ذلك أن دخلت الإيالة في دوامة خطيرة من الصراعات والأزمات منذ مطلع القرن التاسع عشر، وتواصلت إلى غاية دخول الفرنسيين وسقوط حكومة الداي حسين بتاريخ 5 جويلية 1830.

يصف السيد حمدان خوجة الجيش الإنكشاري في أواخر عهد الجزائر العثمانية قائلا :"صارت تلك الميليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة حسب هواهم "[7]، إن هذا الوصف يشرح بدقة الوضعية التي آلت إليها القوات الجزائرية وخطورة الفساد الذي انتشر بين أفرادها، فتراجع دورها في توفير الأمن للإيالة داخليا وخارجيا خاصة بعد تحطيم معظم قطع الأسطول الجزائري من طرف " اللورد إكسموت Lord Exmouth " في عام 1816[8]،وقد رافق هذه الحملة إطلاق عدد كبير من الأسرى المسيحيين

المتواجدين في مدينة الجزائر والذين اعتبِروا لفترة طويلة من الزمن مصدر دخل لخزينة الإيالة، إلى جانب ما كان يحصل عليه الأسطول من غنائم، ومن هذه الثروة كانت تدفع أجور الجنود الذين أصبحوا أكثر تذمرا بسبب التأخير المتكرر في تسديدها.

ولملء الخزينة وتوفير الأموال لدفع مرتبات "*اليولداش*"، لجأ حكام الإيالة إلى إرهاق سكان الأرياف بالضرائب، مما جعل هؤلاء يتذمرون على السلطة المركزية ويعلنون الثورة والعصيان ضدها. وهكذا ساهمت هذه الأوضاع مجتمعة في التأثير السلبي على نفسية الجندي الإنكشاري الذي أصبح أكثر عنفا وثورة من السابق، فتراجعت معنوياته القتالية بشكل مثير الانتباه، مما جعله يفقد هيبته داخل المجتمع الجزائري بعدما كان مرهوبا من طرف الجميع[9].

أما باشاوات هذا العهد فكانوا مجرد أدوات لخدمة مصالح "*اليولداش*" وتوفير المبالغ المالية لدفع أجورهم بكل الوسائل وإرضائهم حتى لا يتعرضوا للقتل، فخلال عهد الفوضى تولى شؤون الإيالة ثمانية دايات قتل منهم الستة الأوائل الذين حكموا ما بين عامي 1798 و1817، وتمكن السابع من الموت في فراشه، أما آخرهم فقد رحل من الجزائر بعدما وقع على معاهدة الاستسلام مع فرنسا.

إن تتبع الأحداث التي ميزت عهد كل داي من دايات فترة الاضطرابات تبين بشكل جلي مدى تعفن الأوضاع السياسية والعسكرية، ويمكننا أن نبين هذا التدهور ودور الإنكشارية في إذكائه من خلال ما يلي:

1. عهد مصطفى باشا (1798–1805): يعتبر من أولئك الدايات الذين فرض عليهم عرش الإيالة رغما عنهم، فبعد وفاة الداي حسن (1791-1798) يوم 14 ماي 1798، عرض عليه المنصب لكنه رفض ذلك بشدة، ربما لعدم توفره على خبرة في تسيير شؤون الحكومة، فحسب بعض

المصادر عمل مصطفى فحاما ثم كناسا قبل أن يعين خزناجيا، ويعود الفضل في توليه منصب الداي إلى اليهود[10].

وإذا كانت بعض الكتابات تؤكد على عدم صلاحية مصطفى باشا لتولي هذا المنصب، إذ تبين أنه كان رجلا جاهلا وخشنا في معاملاته مع الغير، ومن حين لآخر كان ينتابه نوع من الجنون ممزوجا بالخوف[11]، فإن كتابات أخرى تبينه رجلا صالحا وعارفا بخبايا الحكم ومن هؤلاء ما ذكره الحاج أحمد الشريف الزهار عند الحديث عن عهد هذا الداي فيقول: " ولما توفي حسن باشا، تولى حفيده مصطفى الخزناجي، وكان رجلا صالحا، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء، رحيما بالفقراء والأيتام، محبا للمجاهدين والغزاة، وكان شجاعا رحمه الله "[12].

غير أن أكبر خطأ ارتكبه الداي مصطفى باشا كان منحه حرية واسعة لليهود للتصرف في شؤون الإيالة الجزائرية، وقد ولد هذا العمل سخطا بين السكان والإنكشارية ضده، وانتهت الأوضاع بثورة عارمة للإطاحة بالداي والنفوذ اليهودي، وقد نتج عن ذلك مقتل اليهودي بوشناق في 25 جوان 1805 من طرف أحد الجنود، ثم إغتيال الداي نفسه يوم 30 أوت 1805 بعد مؤامرة دبرها له أحمد خوجة الخيل. وكان مصطفى باشا قد حاول النجاة بنفسه من خلال المطالبة بالسماح له بمغادرة الجزائر إلى إسطنبول ولكن طلبه رفض، وعندما حاول الهروب إلى ضريح الولي الصالح ولي دادة العجمي، وجد أبوابه مغلقة، فقبض عليه من طرف الجيش حيث قتل ومثل بجثته التي ألقي بها عند باب عزون[13].

2. عهد أحمد باشا (1805 – 1808): عمل على توطيد الأمن واستعادة الهدوء في كل أنحاء الإيالة، فكان عليه إرضاء الجنود حتى يبعدهم عن التفكير في الثورة، ومن ذلك أنه ضاعف جراياتهم، كما قام بمنح صاعين من القمح لكل جندي متزوج إلى جانب "*علوفته*"[14]، ويعتبر هذا العمل

مخالفا للقوانين العسكرية التي تحرم *"اليولداش"* المتزوج من كل الامتيازات التي يتمتع بها زميله الغير متزوج ما عدا الأجرة.

وكباقي باشاوات هذا العهد، فإن أحمد باشا ارتكب الكثير من الأخطاء جعلت نهايته تكون مأساوية، وحسب حمدان خوجة فإنه ارتكب الكثير من الجرائم حيث عزل وقتل البايات، وأحاط نفسه بحاشية ليست لها أي كفاءة، خاصة بعدما أصبحت المناصب الهامة تباع وتشترى[15]. لقد كان عهده مليئا بالاضطرابات الداخلية والخارجية، حيث واجه الجيش الإنكشاري ثورة جديدة لدرقاوة ببايلك وهران، وهجوما لإيالة تونس على بايلك قسنطينة، وكان من نتائج هذه الأحداث أن خسر الإنكشاريون الكثير من أفرادهم مما جعلهم يتهمونه بأنه المتسبب في ذلك[16]، وإلى جانب ذلك اتهم أحمد باشا بمخالفة قوانين الإيالة عندما بادر بإحضار زوجته للعيش معه داخل قصر الجنينة، في حين أنه يفترض عليه أن يعيش حياة العزوبة داخل قصره[17]، كما وصل به الحد أنه كاد يتسبب في أزمة خطيرة مع الباب العالي عندما أراد قتل مبعوث السلطان في أحد الأيام، ومع هولندا عندما قام بتقييد قنصل هذه الدولة[18].

أمام هذه الظروف مجتمعة التي ولدت توترا في العلاقات بين الباشا والإنكشارية، قام الداي أحمد بتكوين فرقة من الفرسان شبيهة بفرقة المدفعية المتنقلة لدى الجيوش الأوربية[19]، وهكذا أعلن الإنكشارية الثورة على أحمد باشا حيث هاجموا القصر وقتلوه بينما كان يحاول الهروب، ثم مثلوا بجثة في شوارع المدينة[20]. وقد صادفت ثورة إنكشارية الجزائر تلك التي قام بها زملاؤهم ضد السلطان سليم الثالث في إسطنبول في عام 1807 بسبب الإصلاحات التي أقرها هذا السلطان المذكور على نظام

الجيش العثماني[21]، مما يبين وجود علاقة وطيدة بين إنكشارية الجزائر وغيرهم في أرجاء الإمبراطورية العثمانية الواسعة الأرجاء.

3. عهد الداي علي باشا الغسال (1808–1809): إن أصل هذه التسمية مستمدة من المهنة التي كان يمارسها هذا الباشا قبل توليه شؤون الحكم، إذ تذكر المصادر أنه كان يقوم بتغسيل أجساد الأموات[22].

لم يكن هذا الباشا إلا أداة طيعة لخدمة مطالب الجنود المادية التي أصبحت تتزايد يوما بعد يوم، فبمجرد جلوسه على العرش طالبه الجنود بفتح خزينة الإيالة وتقسيم أموالها عليهم، لكنه رفض واقترح عليهم نهب المدينة بشرط اقتسام أموالها بالتساوي بينهم، وكان من نتائج هذا الاقتراح أن وقع شقاق خطير بين الجنود، ففي الوقت الذي استحسن فيه العزاب الفكرة وتحمسوا لتنفيذها، فإن المتزوجين منهم والكراغلة رفضوا ذلك خوفا على مصير منازل ذويهم وممتلكاتهم، فساندوا الحضر ضد الجنود العزاب، ولم يتمكن أي طرف من المبادرة بالهجوم على الطرف الآخر، كما شل النشاط الاقتصادي للمدينة وبقي السكان في خوف وذعر لعدة أيام، حيث لم تعد الأوضاع إلى مجاريها إلا بعد عودة المحلة التي وجهت إلى بايلك الغرب[23].

ولم يقتصر تمادي الجنود في غطرستهم عند هذا الحد، بل بادروا إلى ارتكاب مخالفات ضد الشرع الإسلامي عندما استولوا على الأملاك الموقوفة للحرمين الشريفين[24].

وبسبب فشله في تحقيق المطالب المتزايدة للجنود قرر هؤلاء التخلص منه، ففي 7 فبراير 1809 هاجموا القصر وقاموا بخنقه هناك بعدما فشلوا في إجباره على تناول السم[25]، وكان عهده المضطرب قصيرا جدا حيث لم يدم إلا أربعة أشهر فقط.

4. عهد الحاج علي باشا (1809-1815): يذكر أحمد الشريف الزهار أن وصول هذا الباشا إلى الحكم كان بمحض الصدفة، فبسبب وظيفته كخوجة للخيل في حكومة الداي السابق، قدم في أحد الأيام إلى القصر قبل الموعد المحدد، وتمكن من الدخول دون أن يعترض طريقه النوباجية المكلفين بالحراسة، فتوجه مباشرة إلى كرسي الحكم ووضع نفسه مكان الداي السابق بمبايعة من الحاضرين، ثم أمر بالقبض على الباشا السابق وخنقه[26]. وإن صدقت هذه الرواية فإنها تبرهن بصدق على مدى تعفن الأوضاع السياسية والعسكرية للإيالة، مما أصبح يعجل بانهيارها وزوالها.

تذكر المصادر أن هذا الباشا لم يكن يتمتع بأي مستوى تعليمي، يشك في كل شخص من حوله، مما جعله يسفك الدماء بسخاء، كما أنه كان كثير الإدمان على تناول مادة الأفيون المخدرة[27]، وقد أثرت هذه الطباع على تصرفاته وقراراته، فرغم الصرامة التي كان يتمتع بها إلا أن الأوضاع ازدادت تدهورا، فتوسعت رقعة ثورات الطرق الدينية، كما واجه التحرشات التونسية وأساطيل القوى الأوربية[28]، وأخطر ما واجهه كان الضعف الرهيب الذي أصاب الجيش الإنكشاري وتناقص أعداده بشكل مثير للانتباه[29].

في 22 مارس 1815 انتهى عهد الداي علي باشا، بعد مؤامرة دبرت له من طرف وكيل الحرج والآغا عمر، حيث اغتيل بينما كان داخل حمامه[30].

5. عهد محمد باشا (1815): يعتبر نموذجا للرجال الصالحين الذين قل عددهم في أواخر عهد الإيالة، والذين كانوا قد ساهموا في وقت سابق بدور كبير في تقويتها[31]، فقبل توليه هذا المنصب كان يشتغل خزناجيا في حكومة الباشا السابق، لقد كان شيخا طاعنا في السن تولى منصب الباشا رغما عنه

ضغط من الوزراء والضباط وعلى رأسهم الآغا عمر[32]، فربما كان متأكدا من مصيره في حالة قبوله المنصب الذي أصبح الكثيرون يتهربون منه لأنه أصبح مرادفا للموت.

قام هذا الباشا بعمل سبب غضب الإنكشارية وثورتهم عليه، فمباشرة بعد اعتلائه كرسي الحكم حاول إصلاح النظام المالي للإيالة، حيث أمر بإعادة إحصاء الجنود لعلمه بأن الكثير من المسجلين غير موجود في الواقع، وأن كثيرا من *"اليولداش"* يتقاضون أجور هؤلاء الجنود الوهميين، وقد مكنه هذا العمل من إحصاء أربعة آلاف إنكشاري فقط منهم سبعمائة خارج العمل، ونتيجة لذلك فإنه لم يبق في منصبه إلا خمسة عشر يوما، حيث ثار عليه الجنود وخنقوه في القصر يوم 7 أفريل 1815[33].

6. **عهد عمر باشا** (1815-1817): من أصل يوناني، ينتمي إلى أولئك المتطوعين البؤساء الذين تم تجنيدهم لصالح الجيش الجزائري، غير أنه اتسم بأخلاق وخصال حميدة، ومنها احترامه لتعاليم الدين الإسلامي[34]، وعلى غرار سابقيه فإنه اضطر إلى قبول هذا المنصب بعدما رفضه لمرتين، و لم يصبح بإمكانه فعل ذلك هذه المرة[35].

واجه عمر باشا مصاعبا كثيرة، وكان منها النقص الفادح في عدد الجنود بعدما تناقص عدد المتطوعين، إلى جانب إفلاس الخزينة، أما خارجيا فلقد اضطر إلى التوقيع على معاهدة سلام مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد استشهاد الرايس حميدو[36]،كما أنه عجز على صد حملة " اللورد إكسموث "، وكان من نتائج ذلك ثورة الإنكشارية ضده محاولين نهب المدينة، غير أنه تمكن من توقيفهم بعدما وزع عليهم مبالغا من المال[37].

في صيف عام 1817 إجتاح المدينة وباء الطاعون، فأودى بحياة الكثير من السكان، وأتهم عمر باشا بسوء الطالع، فدبر الإنكشارية محاولة إنقلابية ضده، انتهت بخنقه دون أن يبدي أي مقاومة[38].

7. عهد علي خوجة باشا (1817-1818): على عكس من سبقه من الباشاوات، فإن علي خوجة كان يتوفر على قدرات أهلته لأن يطبع عهده بمجموعة من الإصلاحات والقرارات الهامة، لقد كان يتوفر على قدر من العلم – لهذا أطلق عليه اسم خوجة –، وكان طيبا وذكيا، إلا أنه سريع الغضب[39].

بعدما استطاع التخلص من عمر باشا حاول أن يطبع حركته الانقلابية بطابع شرعي، فبعث رسالة إلى السلطان يبرر فيها حركته ويتهم سابقه بالاستبداد وتسيير شؤون الإيالة وفق أهوائه، وصرف أموال الخزينة في مشاريع لا فائدة منها[40].

عمل علي باشا جادا على إصلاح أوضاع الإيالة السياسية والعسكرية المتدهورة، وذلك بإعادة الهيبة إلى منصب الباشا وفرض الطاعة والانضباط بين الجنود، ولعلمه برد فعل "*اليولداش*" على هذه الإصلاحات، قام بإحاطة نفسه بحرس خاص لا يفارقه أبدا، وكان يتكون من مائتين من الجنود، كما أحدث تغييرات هامة وعميقة في الحكومة بعزل بعض الوزراء وقتل بعضهم الآخر[41].

غير أن أهم عمل بادر علي خوجة إلى القيام به، تمثل في نقل مقر الحكم من قصر الجنينة القريب من إقامات الجنود إلى حصن القصبة في أعالي المدينة والمجهز بالمدافع، مما مكنه من التحكم في تكتلهم[42]، وقد يكون وراء هذا العمل أهداف إستراتيجية وأمنية تنحصر في إبعاد مركز الحكومة عن الخطر الخارجي بعد قصف عام 1816م[43]. ومهما يكن من الأمر فإن علي باشا بهذا القرار عبر عن دهاء سياسي، حيث أن هذا الانتقال لم يمثل تغييرا بسيطا في مقر الحكم، بل تعداه ليصبح تحولا سياسيا هاما في فترة كانت الإيالة تعيش مرحلة حرجة.

ومما زاد في أهمية هذه التحولات، تخلى علي خوجة عن الاعتماد على الجيش الإنكشاري بعدما أوقف جلب المتطوعين من المشرق، وكون قوة محلية تضم ألفين من سكان بلاد القبائل، وستة آلاف من الكراغلة الذين أبعدوا لفترة طويلة من الزمن عن الوظائف المدنية والعسكرية السامية، وقد أوكلت لهؤلاء مهمة حراسة مقر الحكم الجديد وخزينة البايلك[44] التي كثيرا ما تعرضت للنهب.

أمام ظهور بوادر حركة تمردية بين الجنود، قام الباشا بالتخلص من المدبرين للاضطراب وأصدر قرارا بحل فرقة الإنكشارية وفرض الطاعة بين جنودها، أما الرافضون للإصلاحات فقد سمح لهم بمغادرة الجزائر والرجوع إلى أوطانهم، وكان من نتائج ذلك أن غادرت مائتي عائلة المدينة متوجهة نحو تونس، طرابلس والأناضول[45]. وتذكر المصادر أن علي خوجة وضع الجواسيس بين الجنود ليتعرف على خططهم ومؤامراتهم، وفي مرة جمع المشوشين وأرسلهم لمواجهة القبائل الثائرة، ثم أتبعهم بفرقة من الجيش قتلت الكثير منهم وأبعدت الباقي عن المدينة[46]، ويظهر أن هذا العمل ساهم في إبعاد خطرهم أو التقليل منه.

لم تقتصر إصلاحات علي خوجة على المجال السياسي والعسكري، بل امتدت إلى ميادين أخرى، ومن ذلك محاربته لظاهرة البغاء التي انتشرت بين الجنود بطرده للنساء الباغيات من داخل الثكنات بل ومن مدينة الجزائر كلها وإرسالهم إلى شرشال، كما منع تناول الخمور بغلق الحانات وفرض الانضباط والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي[47]، ولكسب شرعية من السكان وتأييدهم قام بتخفيض أسعار المواد الغذائية، غير أنه سرعان ما تخلى عن قراره بعدما عرفت المدينة ندرة في هذه المواد كادت أن تسبب مجاعة خطيرة[48].

أفقدت هذه الإصلاحات الإنكشارية لكثير من الامتيازات التي اكتسبتها منذ مدة طويلة من الزمن، فأعلن الجنود الثورة على الباشا الذي استطاع أن يهزمهم بفضل قوة مدفعيته الموزعة على حصون المدينة وقوة جيش القبائل والكراغلة، أما من نجى منهم فقد لجأ إلى محلة الشرق التي أعلنت العصيان وقررت التوجه إلى مدينة الجزائر لقلب نظام الحكم. ورغم أن علي خوجة حاول قطع الطريق أمام هذه القوة المتمردة بإرسال مبعوثين إلى سكان القبائل لقطع الطريق أمامها عند جبال البيبان – أبواب الحديد – الإستراتيجية، فإن الثائرين احتازوا الممر بسلام واستطاعوا الوصول إلى مدينة الجزائر في نهاية نوفمبر 1817، وهناك طالبوا التفاوض مع الباشا غير أن يحي آغا[49] خيرهم بين الاستسلام بدون شرط أو الحرب.

عند إندلاع الحرب ظهر ضعف الإنكشارية أمام القوات المحلية، فخسروا ألف ومائتي جندي ومائة وخمسين ضابطا، ومن بقي منهم طلب الاستسلام أو الرحيل إلى أزمير والقسطنطينية، فمنح لهم ذلك[50].

مكن هذا العمل الداي علي خوجة أن يموت في فراشه عكس سابقيه فبعد إصابته بوباء الطاعون توفي يوم 1 مارس 1818، وكان قبل ذلك قد عين خليفة له بعدما أوصى بمنصبه إلى حسين خوجة الخيل[51]. ومهما يكن فإن المواقف اختلفت من إصلاحات علي باشا، فحمدان خوجة يعتبره مجرد رجل مجنون جمع حوله عصابة من الجنود الأشقياء، واستطاع بفضلهم الاستيلاء على الحكم، كما يرى بأنه ارتكب الكثير من الجرائم لدرجة أنه: " لو عاش لتسبب في خراب الإيالة ما في ذلك من شك"، ويظهر أن هذا الحكم فيه كثير من القسوة، فاعتماد علي خوجة على السكان المحليين كان يتجه بالإيالة إلى التخلص من هيمنة الجنود الإنكشارية وتأسيس دولة وطنية تعتمد على قوات محلية وتنهي

امتيازات اليولداش الذين أضاعوا هيبتهم ومكانتهم، لدرجة أن الباشا أهالهم أمام جميع السكان بعدما أمر بقطع رؤوس سبعة جنود من المدبرين لحركة الانقلاب عند باب القصبة، وكانوا قبل ذلك يعاقبون سرا في دار آغا الإنكشارية[53].

وخلاصة فإن هذا الحدث لم يشكل تغيرا بسيطا في نظام الحكم فحسب، بل كان ثورة شاملة في شكله وجوهره، الذي انتقل من جمهورية عسكرية إلى مملكة يكون للباشا فيها السلطة العليا والمطلقة في الإشراف على شؤون الإيالة، دون إشراك الإنكشارية أو ديوالهم مثلما كان عليه الحال سابقا[54].

8. عهد حسين باشا: لم يكن متحمسا لتولي هذا المنصب الخطير، ولكنه اضطر إلى قبول ذلك كالكثير ممن سبقه[55]، وبمجرد جلوسه على كرسي الحكم تخلى على سياسة علي خوجة، فلقد كان رجلا يحب الأمان والسلم حيث أصدر عفوا شاملا في حق الإنكشارية، وألغى كل مراسيم وإجراءات سابقه إذ أعاد فتح الحانات وسمح للباغيات بالرجوع إلى مدينة الجزائر لدرجة أنه بنى لهن حيا خاصا لممارسة مهنتهن[56].

كان هدف حسين باشا من هذا التغيير يكمن في إعادة هيبة الجنود الإنكشارية، غير أن الوقت كان قد فات، وخاصة وأن هؤلاء عادوا إلى إثارة المشاكل جعلت الباشا يتعرض لمحاولتين لاغتياله من طرفهم، وقد دفعه هذا الوضع المتردي إلى التحصن في القصبة تحت حراسة مكونة من جنود زواوة، بحيث أصبح لا يخرج منها إلا للضرورة القصوى[57].

كما واجه حسين باشا مشاكلا داخلية خاصة ثورة السكان الذين أصبحوا يرفضون دفع الضرائب ويتمردون على الحكومة المركزية، بعدما تأكدوا من ضعفها وتدهور قوة الإنكشارية[58]، ويضاف إلى ذلك المشاكل الخارجية كالحملة الإنجليزية ضد الجزائر في عام 1824[59]، ولكن أخطر

مشكل واجهته إيالة الجزائر في عهده، ذلك الخلاف مع الدولة الفرنسية منذ 1827 والذي سينتهي باحتلال الإيالة وزوالها في 1830.

ب- تراجع عملية التجنيد وتناقص عدد جنود الإيالة:

إذا كانت عملية جمع وجلب المتطوعين من الأناضول ومناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانية، قد عرفت نشاطا كبيرا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بفضل مداخيل الجهاد البحري، فإنها سرعان ما تراجعت وأصبحت تتم بمشقة كبيرة، حيث ارتبط ذلك بما انتاب النشاط البحري من ركود وتدهور منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، لدرجة أن الإيالة أصبحت مهددة بفقدان قوتها العسكرية لاعتمادها الكلي على التجنيد[60].

رافق تراجع غنائم الجهاد البحري تناقص فادح في أموال خزينة البايلك التي كان جزء هام منها يخصص لدفع أجور المجندين، وحسب " ديبوا تانفيل M. Dubois Thoinville " فإن تناقص وفود المجندين من المشرق يرجع أساسا إلى هذا السبب، حيث أصبحت الحكومة عاجزة على توفير مرتبات هؤلاء الجنود[61]، وذلك ما تؤكده رسالة الداي عمر باشا (1815-1817) إلى السلطان إذ يخبره فيها: " إننا ملزمون على دفع أتاوات ما بين ثلاثين وأربعين ألف إنكشاري، ففي سالف الزمن كنا ندفع أجورهم على دفعة واحدة، ولكن منذ عشر سنوات لم نتمكن من مضاعفة أتاواتهم، كذلك كنا نسدد الأجور كل شهرين، أما اليوم فإن تسديد أتاواتهم يتم مرة واحدة كل أربعة أشهر بالنسبة للبعض وستة أشهر بالنسبة للبعض الآخر، وقسم ثالث تسدد أجورهم كل سنة "[62].

ومما زاد الأوضاع سوءا وساهم في التناقص الخطير في عدد الجنود، تلك الظروف المتدهورة والمتأزمة التي أصبحت تعيشها الإيالة، فلقد كانت الأوبئة والمجاعات التي تصيب الإيالة عامة ومدينة

الجزائر خاصة من فترة لأخرى تسبب هلاك عدد كبير من السكان وفيهم نسبة كبيرة من أفراد الجيش الإنكشاري، فحسب الأسير "كاثكارت" كانت ثكنات مدينة الجزائر قبل 1786م مكتظة جدا بالجنود، ولكن بعد وباء الطاعون الذي أصاب المدينة في تلك السنة، والذي نتج عنه موت عدد كبير من الجنود، أصبحت هذه الثكنات شبه خالية[63]. أما مصدر هذه الأوبئة فيرجعه الحاج أحمد الشريف الزهار إلى أولئك المتطوعين الوافدين إلى الإيالة عن طريق البحر من المدن التركية باعتبارها مراكزا تلتقي فيها أجناس مختلفة من كل أنحاء الدولة العثمانية، وفي هذا المجال يقول: " وفي سنة 1201هـ/1785م جاء الوباء للجزائر، حتى وصل الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير. قيل أنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ/ 1795م "[64]، وقد ضرب هذا الوباء المدينة في عهد الداي محمد باشا (1766-1791).

وإلى جانب الأوبئة ودورها في تناقص عدد الجنود، فإن هؤلاء كانوا معرضين للموت في أي وقت بسبب طبيعة عملهم، ومن ذلك خروجهم في الحملات الموجهة لقمع الانتفاضات المحلية التي خاضها شيوخ الطرق الدينية في هذه الفترة، والتي أنهكت كثيرا القوات النظامية للإيالة[65]، كما أن كثيرا منهم كانوا يوجهون إلى التقاعد بسبب تقدمهم في السن، أو عجزهم على أداء واجبهم العسكري بسبب المرض أو حادث طارئ، وأمام كل هذا كانت الإيالة مضطرة إلى استقدام متطوعين جدد لتعويض هؤلاء، غير أن عدد المستقدمين لم يكن كافيا لسد هذا النقص.

تبين لنا الإحصائيات العراقيل التي أصبحت تواجه عملية جلب المتطوعين إلى الإيالة منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي إلى غاية مجيء الاحتلال الفرنسي في عام 1830، فما بين عامي 1801 و 1809 وصل إلى الجزائر 2264 مجندا – أي بمعدل 251 مجندا كل سنة –، أما ما بين عامي 1810

و1820 فقد استقبلت الإيالة 4115 مجندا جديدا – أي 411 مجندا في كل عام – ، في حين أنه قدم إلى الجزائر 4154 مجندا ما بين 1820 و1830 – أي 415 مجندا في السنة [66]–، إن هذا العدد القليل من المجندين الذي كان يحضر سنويا لم يكن بإمكانه حتى تعويض الجنود الذين يقتلون في المعارك، أو يوجهون إلى التقاعد أو يعودون إلى أوطانهم أو يتوجهون لأداء فريضة الحج بعد حصولهم على عطلة وتسريح من الداي نفسه، ورغم محاولات حكومة الإيالة تنشيط عملية التجنيد والارتفاع الطفيف في عدد المتطوعين منذ 1810، فإن ذلك بقي دون حاجتها.

ويظهر أن العدد الحقيقي للجنود كان أقل بكثير من العدد المسجل في دفاتر أجور الإنكشارية، فحسب إحصاء الداي محمد باشا (1815) كان العدد الحقيقي لجنود الإيالة أربعة آلاف "يولداش"، منهم سبعمائة خارج النظام[67]، وفي عهد خليفته عمر باشا (1815-1817) الذي كان على علاقة حسنة بالسلطان ارتفع عدد المجندين، حيث قدم إلى الإيالة ألف ومائتين وتسعون (1290) مجندا جديدا[68]، غير أن هذا العدد سرعان ما انخفض بشكل كبير في عهد الداي علي باشا (1817-1818) بعد المجزرة التي ارتكبها هذا الداي في حق الإنكشارية، والتي راح ضحيتها ألف ومائتين من الجنود ومائة وخمسين ضابطا، كما بادر إلى اتخاذ قرارا بتوقيف التجنيد من المشرق[69].

حاول الداي حسين (1818-1830) إعادة تنشيط عملية التجنيد، خاصة مع بداية المشاكل مع فرنسا بسبب أزمة حادثة المروحة، وقد دفعه هذا الوضع إلى توجيه طلب رسمي إلى السلطان العثماني في سنة 1827 يلتمس منه السماح للإيالة بجمع المتطوعين من الأناضول والمناطق الأخرى، وقد ورد في الرسالة: "منذ عدة سنوات لم تحصل الأوجاق على فرق عسكرية من الأناضول، وهو في حاجة إلى

فرق تركية، ولهذا نرجو منكم الموافقة على إرسال بعض الفرق من المتطوعين من مدينة أزمير والمناطق الساحلية الأخرى"[70].

وإذا كان للعوامل الداخلية التي كانت تعيشها الإيالة في تلك الفترة آثارها على تراجع عملية التجنيد، فإنه لا يمكن إهمال دور الظروف الخارجية في تأزم العملية، إذ عرفت هذه الفترة اندلاع الحرب بين الدولة العثمانية واليونان في منطقة البحر المتوسط مما عرقل قدوم السفن المحملة بالمجندين إلى الإيالة خوفا من وقوعها في الأسر[71].

وفي عام 1826 بادر السلطان محمود الثاني إلى إدخال تغييرات جذرية في نظام الإنكشارية مع تزايد اضطراباتهم وتدهور قدراتهم العسكرية[72]، وقد كان أخوه السلطان سليم الثالث قد سبقه إلى هذا العمل، فقام بإنشاء جيش نظامي أطلق عليه " النظام الجديد "، غير أنه لم يتمكن من إكمال مشروعه حيث قبض عليه الإنكشارية الرافضون للإصلاح واغتالوه[73].

ومع مجيء محمود الثاني تزايدت الأخطار الخارجية وعجز الجيش الإنكشاري على مواجهتها، فقرر إعادة إصلاحه متأثرا في ذلك بالجيش المصري في عهد محمد علي، وبالجيوش الأوربية الحديثة[74]، وبعد موافقة الأعيان وكبار ضباط الإنكشارية أعلن عن تأسيس فرقة جديدة من الجيش النظامي أطلق عليها "أشكنجي" (أي الجنود العاملون)[75]، غير أن هذا النظام الجديد لم يرض كل الجنود، فظهرت مؤامرة في صفوف هؤلاء، ولكن السلطان تفطن لها وتمكن من القضاء عليها من خلال الاستعانة بالمدفعية، بعدما حاصر المتمردين في ساحة " آت ميداني " وأباد الكثير منهم، وهكذا في يوم 17 جوان 1826 أصدر السلطان فرمانا ينهي مهمة الإنكشارية ويبطل وجودها وكل قوانينها من كل أنحاء الدولة العثمانية[76].

ساهم هذا الوضع الجديد الذي عرفه الباب العالي في التأثير المباشر على عملية التجنيد التي أصبحت تتم في ظل صعوبات ومشاكل عويصة، وكادت أن تتوقف نهائيا بعدما أصبح المتطوعون يفضلون الانخراط في النظام الجديد على التطوع في جيش الإيالة الجزائرية، الأمر الذي كان يضطرهم إلى الابتعاد عن أوطانهم وأهاليهم ومواجهة مصير مجهول[77].

ويظهر أن السلطات العثمانية قد وجدت في إلحاح الجزائريين المتمثل في السماح لهم بجمع المتطوعين فرصة للتخلص مما تبقى من الجنود الإنكشارية بعد إصلاحات عام 1826، ففي رسالة من الحاج حسين "*باش دالي*" الجزائر في مدينة أزمير بتاريخ 13 جمادى الثانية 1242 هـ/ديسمبر 1826م يعلم فيها بإلغاء نظام الإنكشارية من طرف الباب العالي، وسماح السلطات العثمانية باختيار أحسن الجنود لإرسالهم إلى الإيالة، وهذا ما مكنه من جمع ما بين أربعين وخمسين من هؤلاء[78].

غير أن عملية جمع المتطوعين من بين الجنود المسرحين لم تساهم في تحسين الأوضاع العسكرية للإيالة، فقد ازداد عدد المجندين نقصا وندرة، وتخبرنا رسالة بعثها أحد المكلفين بالتجنيد إلى باشا الجزائر، أنه استطاع جمع عدد من المتطوعين عن طريق الصدفة فقط، غير أن هذه العملية ستصبح مستحيلة مستقبلا لقلة المقبلين على التجند79. إلا أنه رغم ذلك تواصل توافد المجندين ولكن بأعداد قليلة جدا، ومن ذلك وصول أربعة وعشرين جنديا متطوعا إلى الإيالة، منهم واحد وعشرون متطوعا جديدا [redacted] على متن سفينة مصرية كانت متوجهة إلى صفاقس بإيالة تونس[80].

أثر هذا الوضع بشكل بارز على عدد الجنود الإنكشاريين العاملين في الإيالة، حيث انخفض وأصبحوا لا يشكلون إلا قوات رمزية، كما أن دورهم في الحياة السياسية والعسكرية أصبح أقل فاعلية مما كان عليه في السابق، وقبيل مجيء الاحتلال الفرنسي لم يوجد إلا عدد قليل من الإنكشارية، ومن

ذلك أنه وجد في بايلك التيطري خمسين صبائحيا من الإنكشارية ومائة وعشرين من الجنود المشاة، أما في مدينة الجزائر فوجدت قوة مكونة من ثلاثمائة وخمسة وأربعين (345) رجلا، وكان بمدينة وهران قوة مكونة من مائة وستة وخمسين رجلا[81]، وما يستخلص من هذا الإحصاء أن تعداد هذه القوات لم يكن إلا رمزيا فقط.

غير أن النقص في عدد الجنود كان السمة البارزة التي ميزت الإيالة طيلة الفترة العثمانية، وتدل الإحصائيات أنه لم يتعد في معظم الأحيان الإثني عشرة ألف (12000) رجل[82]، وهو عدد قليل مقارنة بشساعة المساحة وكثرة المواجهات الداخلية والخارجية التي كانت تستدعي وجود قوات ضخمة لصدها أو قمعها، خاصة في الفترة المتأخرة أين زادت الأوضاع حدة وتوترا مما صعب على الجيش النظامي مراقبة كل الجهات وفرض الانضباط وسلطة الحكومة، ويوضح الجدول رقم 2 عدد القوات النظامية العاملة في جيش الإيالة خلال فترات مختلفة:

جدول رقم 2: القوات النظامية في الجزائر.

المصدر	الفترة	العدد
وثيقة سرية بارشيف سيمانكس[83] .	1533	2600 رجل
[84]Haedo.	1624	6000 رجل
[85]Dan.	1634	22000 رجل
[86]Gramaye.	1619	12000 رجل
[87]Shaw	1732-1720	ما بين 15000 و16000 رجل
[88]Tassy	1724	12000 رجل
[89]Payssonnel.	1725-1724	12000 رجل
[90]Fau	1729	20000 رجل بين مشاة وفرسان
[91]Standari	1769	7000 رجل
[92]Venture de paradis	1788	ما بين 7000 و8000 رجل
[93]Kercy	1791	10000 رجل
[94]Boutin	1808	10000 رجل
[95]Dubois - Thainville	1809	10000 رجل
شالر، وليام.[96]	1824-1816	4000 رجل
[97]Tachrifat	1829	3861 رجل

إلا أن هذه الإحصائيات تبقى مجرد تقديرات غير رسمية وثابتة، يقدمها لنا أشخاص عاشوا في الجزائر خلال مراحل متعاقبة، وبالتالي لا يمكن بأي حال أن تؤخذ كمصدر موثوق لمعرفة العدد الحقيقي للجنود الإنكشارية، ولكن أول إحصاء رسمي تم في عام 1745، والذي حدد عددهم بـ 11897 جنديا منهم 2545 جنديا خارج النظام لأسباب مختلفة، وكان الجنود العاملون موزعين على 424 أوجاقا حيث كان كل أوجاق يضم عددا محددا من الجنود كما يلي[98]:

من 11 إلى 20 رجلا ←134 أوجاقا.

من 21 إلى 30 رجلا ← 156 أوجاقا.

من 31 إلى 40 رجلا ← 81 أوجاقا.

من 41 إلى 50 رجلا ← 21 أوجاقا.

من 51 إلى 60 رجلا ← 15 أوجاقا.

من 61 إلى 70 رجلا ← 6 أوجاقا.

من 71 إلى 80 رجلا ← 3 أوجاقا.

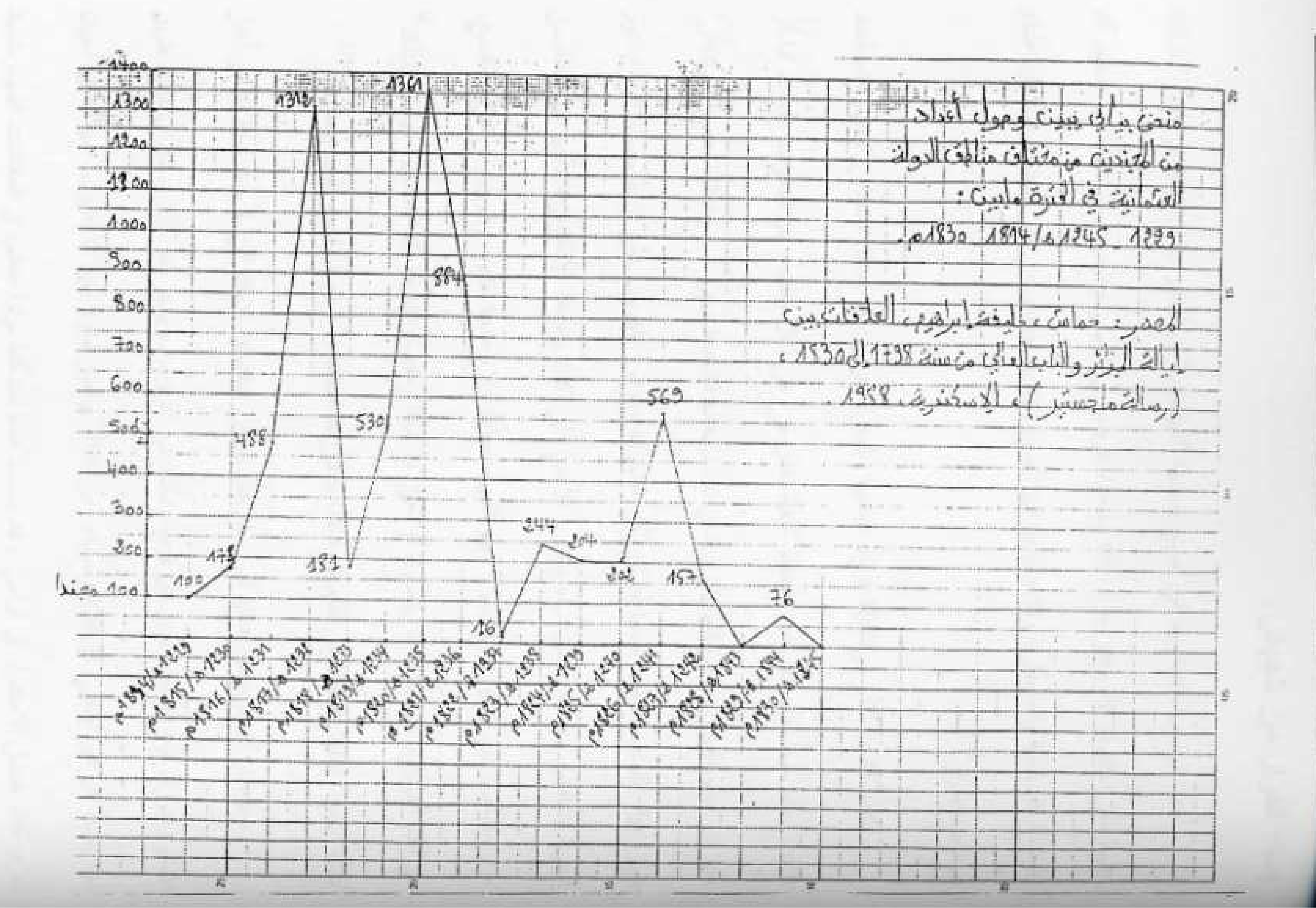
من 81 إلى 90 رجلا ← أوجاقين (02).

من 91 إلى 100 رجلا← أوجاقا (02).

وأمام قلة عدد الجند النظامي التجأت حكومة الإيالة إلى تكوين جيش احتياطي تستعين به وقت الحاجة، وكان يتكون من القبائل الموالية للأتراك والتي يطلق عليها قبائل المخزن، ومن المهام التي

أوكلت إليها إخضاع ومراقبة قبائل الرعية، وتحصيل الضرائب منها، وحفظ النظام، وحراسة الطرق الرئيسية التي تمر عبرها قوافل التجارة وفرق الجيش الإنكشاري، ومقابل هذه الخدمات كانت تمنح لهذه القبائل امتيازات متعددة ومنها الإعفاء من الضرائب ما عدا الشرعية منها كالزكاة والعشر[99]، غير أنها لم تكن تتقاضى أجرة على خدماتها باعتبار أن القوانين العسكرية للإيالة تمنع صراحة انخراط السكان في الجيش، ولكن يظهر أن حسين باشا قد تخلى عن هذا القانون عندما قرر تسجيل فرق زواوة من منطقة القبائل في سجل الجيش الإنكشاري واعتبارهم كجنود نظاميين لا كاحتياطيين[100].

ويظهر أن الدافع المادي قد ساهم بشكل كبير في التقليل من استقدام المتطوعين إذ سعى أتراك الجزائر إلى المحافظة على امتيازاتهم وثرواتهم داخل الإيالة، خاصة وأن قلة عددهم جلب لهم ثروة طائلة، واستقدام أعداد جديدة من الجنود يجبرهم على صرف أموال إضافية بغرض التكفل بهؤلاء القادمين الجدد، ومنها دفع أجورهم مما ينقص من ثرواتهم ومواردهم الخاصة[101]. ويبين المنحنى البياني التالي عدد الجنود المجندين في الفترة ما بين 1814 – 1830 .


منحنى بياني يبين وصول أعداد
من المجندين من مختلف مناطق الدولة
العثمانية في الفترة ما بين:
1229 _ 1245هـ/1814 _ 1830م.
المصدر: حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين
إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830،
(رسالة ماجستير)، الإسكندرية، 1988.
1400
1300
1200
1100
1000
900
800
700
600
500
400
300
200
100 مجندا
100
178
458
1312
181
530
1361
884
16
244
204
202
569
157
76

بـ- الفرار من الجيش:

أدت الوضعية المتدهورة التي أصبح يعيشها *"اليولداش"* في أواخر عهد الإيالة إلى ظهور مشكلة خطيرة على استقرار الأوجاق وقوته، إنها مشكلة الهروب من الجيش والرجوع إلى الأوطان، ويظهر أن الأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية التي أصبح يعيشها الجندي هي التي دفعته مرغما إلى اغتنام أي فرصة للفرار[102].

لقد كانت أكثر من ثلاثة قرون عاشها الجيش الجزائري في حالة استنفار وتأهب دائم لصد الأخطار الخارجية وقمع الثروات المحلية كافية لخلق نوع من الملل والسأم بين صفوف الجنود، مما أثر سلبا على معنوياتهم وروحهم القتالية، وبالتالي انتشار هذه الظاهرة بينهم[103]. وهكذا أصبح *"اليولداش"* يعيش حياة بائسة، خاصة بعدما أضاع كل امتيازاته وفرص الحصول على ثروة بسبب تراجع دور البحرية وتناقص مداخيل الضرائب. وتخبرنا الأغاني التي كان يرددها الإنكشارية بكثير من التفاصيل حول معاناتهم، فهي تصورهم بائسين، معنوياتهم منحطة، أذلاء بعدما كانوا مرهوبين من طرف الجميع، حتى أنهم أصبحوا لا يجدون ما يلبسون أو حتى ما يسد رمقهم، لدرجة أن الجندي أصبح لا يملك "عشرة أسبير " لتناول فنجان من القهوة وهكذا تدهورت صحته وأصبح لا يدري كيف يتصرف[104].

وباعتبار أنه لم يصبح هناك أمر يدفع الجندي إلى البقاء في الإيالة التي لم يأت إليها إلا من أجل الغنائم والثروة، فإنه أصبح يتحين أي فرصة تمكنه من الهروب، ويظهر أنه كان يسلك في ذلك طريق البر، حيث يمر عبر أراضي الإيالة التونسية، ومن هناك يواصل سيره حتى الأناضول، غير أنه في أحيان أخرى كان يفضل الاستقرار في تونس. وقد سببت هذه المشكلة توترا خطيرا في العلاقات الديبلوماسية بين إيالة الجزائر وتونس وحتى طرابلس، فكثيرا ما كانت الجزائر تطالب تونس بعدم مساعدة الجنود

الهاربين، بمنعهم من المرور عبر أراضيها. وللتخفيف من حدة التوتر وتفادي صراع مسلح بين الإيالات الثلاث، فإن الباب العالي كثيرا ما كان يتدخل لحل هذا المشكل بطرق ديبلوماسية سلمية[105]، وفي هذا الإطار قام السلطان محمود الثاني في 11 ربيع الأول 1242هـ/ أكتوبر 1826م بإرسال فرمان إلى محمود باشا باي تونس، وقد تضمن منع الجنود الهاربين من إيالة الجزائر من الإقامة في تونس أو عبور أراضيها، وضرورة القبض عليهم فورا وتسليمهم إلى وكيل الجزائر ليعيدهم إلى فرقهم التي فروا منها[106].

كان لتدخل السلطان شخصيا في هذه القضية نتائج إيجابية، فلقد اضطر بايات تونس إلى الانصياع لهذه الأوامر ومساعدة إيالة الجزائر للحد من التزيف الذي أصاب جيشها، حيث تعهد هؤلاء بمنع الجنود الهاربين من الإقامة في تونس أو المرور عبر أراضيها، وإرجاع كل هارب إلى الجزائر، ويمكن أن نستخلص ذلك من الرسالة التي بعثها حسين باي تونس إلى حسين داي الجزائر بتاريخ 19 رجب 1243هـ/ جانفي1828م لهذا الغرض[107].

وإذا كان الجنود يضطرون إلى الفرار والرجوع إلى أوطانهم بسبب ضغط المشاكل التي أصبحوا يعيشونها في الإيالة أو حتى داخل وحداتهم، فإن بعضهم سرعان ما يقررون العودة إلى الجزائر بعد مدة قصيرة من مغادرتها والانخراط مرة أخرى في جيشها، وهذا ما حدث لشخص يدعى الحاج محمود الذي كان يعمل "*باش طوبجي*" في بايلك قسنطينة، ولأسباب خاصة – كما يذكر – اضطر إلى الفرار نحو تونس ثم بيروت حيث كان ينوي أداء فريضة الحج، غير أنه قرر الرجوع إلى الجزائر مرة أخرى، ولكن السفينة التي كان على متنها أسرت من طرف سفن يونانية، حيث بقي في اليونان لمدة أربع سنوات،

وبعد إطلاق سراحه عمل في مكتب الصدر الأعظم بإستانبول، وبعدها أصبح ينوي الرجوع إلى الجزائر[108].

وعلى العموم فإن لجوء الإيالة إلى فتح أبواب التجنيد في أواخر العهد العثماني لأي شخص حتى أولئك السيئين أخلاقا والمثيرين للشغب، قد ساهم بقسط وافر في تزايد انتشار هذه الظاهرة بين هؤلاء الجنود، فأصبحوا مجرد مرتزقة لا يهمهم إلا ما يحصلون عليه من أموال. ورغم محاولات الحكومة قمع هذا العمل الخطير على قوة الجيش الإنكشاري ومعنوياته وعلى استقرار شؤونها، فإن ذلك لم يمنع من استمرار الانحطاط والتدهور.

د- الاحتلال الفرنسي ومصير الإنكشارية:

1). ظروف الاحتلال الفرنسي:

بينت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر عام 1830، بما لا يدعو مجالا للشك على ضعف السلطة السياسية والعسكرية للإيالة وبلوغها مرحلة متقدمة من الضعف، الذي لا يمكن معه إعادة إصلاح الأوضاع التي بدأت في الانهيار منذ مطلع القرن الثامن عشر وتواصلت بشكل متواتر وسريع مع مطلع القرن التاسع عشر، ورغم ظهور محاولات لإصلاح حالة الجيش الإنكشاري فإنها لم تكن إلا محاولات يائسة ومتأخرة، حيث انتهت دون أن تحقق الأهداف المسطرة لها، ومن ذلك محاولة الداي علي خوجة (1817-1818) السابق الذكر، أو دعوة المفتي إبن العنابي الذي دعى إلى إصلاح الجيش لأنه الركيزة الأساسية للإيالة، فألف كتابا سماه " السعي المحمود في نظام الجنود "، وفيه دعى إلى الاقتباس من نظام الجيوش الأوربية متأثرا في ذلك بالثورة الفرنسية لعام 1789، وإصلاحات محمد علي

باشا والي مصر (1805-1840) أو النظام الجديد الذي أقره السلطان محمود الثاني عام 1826، غير أن آراءه لم تأخذ بعين الاعتبار[109].

بالفعل فلقد كانت حملة 1830 آخر امتحان يواجهه إنكشارية الجزائر ليتقرر مصيرها بعد ذلك. إن فرنسا قررت منذ عام 1827 فرض حصار بحري على الجزائر مستغلة لذلك حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل الفرنسي " بيير دوفال Piérre Duval "، تلك الحادثة التي اعتبرتها فرنسا مساسا بشرف الشعب الفرنسي وملكه " شارل العاشر Charles X" (1824-1830)[110].

لقد وصلت العلاقات الديبلوماسية بين إيالة الجزائر وفرنسا حدا خطيرا من التوتر، خاصة بعد قضية سفينة " البروفانس Province "، ففي يوم 30 جويلية 1829 قدم وفد فرنسي برئاسة " دولا بروتونيار La brotonnière " على ظهر هذه السفينة بغرض التفاوض مع حكومة الداي وحل المشكلة العالقة بين البلدين، غير أن هذه المفاوضات باءت بالفشل مما جعل الوفد الفرنسي يقرر الرجوع إلى بلاده، وعوض الإبحار مباشرة نحو فرنسا، فإن السفينة انحرفت نحو السواحل الجزائرية مقتربة بذلك من دفاعات المدنية بغرض التحسس على مدى قوة الإستعدادات الجزائرية، وهذا ما اضطر الطوبجية إلى إطلاق النار عليها بغرض إبعادها فقط[111]، ويظهر أن الحكومة الفرنسية اتخذت من هذه الحادثة ذريعة للتعجيل بالحملة ضد الجزائر.

وهكذا في 25 ماي 1830 انطلقت الأرمادة الفرنسية من ميناء " طولون Toulon " قاصدة السواحل الجزائرية، ويظهر أن القوات المشاركة في الحملة كانت كثيرة العدد والعدة، فالمصادر تقدرها بسبعة وثلاثين ألف وستمائة وسبعة عشر (37617) رجلا، معظمهم من القوات البرية التي تشكل من ثلاثين ألفا وثمانمائة وإثنين وخمسين (30852) رجلا منهم الضباط وضباط الصف والجنود

سطاء، إلى جانب خمسمائة وخمسة وثلاثين (535) فارسا، وألفين وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين (2333) رجلا من سلاح المدفعية، وألف وثلاثمائة وإحدى عشر (1311) رجلا من سلاح العتاد، ويضاف إلى كل هذه القوات مجموعة إحتياطية تشكل قوة دعم، تتكون من عشرة آلاف ومائتين وأربعة وثمانين (10284) رجلا تبقى في مدينة طولون تنتظر الأوامر بالتحرك عند الضرورة القصوى، ويرافق هذه القوات مجموعة من الدواب تضم أربعة آلاف وخمسمائة وستة وأربعين (4546) حصانا وبغلا[112].
ما نقل هذه القوات فتم بواسطة أسطول ضخم جدا يتشكل من مائتي سفينة حربية، وخمسمائة سفينة تجارية، أوكلت إليها مهمة نقل الجنود والعتاد الحربي إلى جانب المؤونة والماء الصالح للشرب[113].

في مقابل هذه الترسانة الضخمة فإن القوات النظامية الجزائرية كان عددها لا يتعدى ستة آلاف رجل فقط[114]، مما اضطر الباشا إلى الإستعانة بالقوات المحلية المشكلة من القبائل، وفي هذا الإطار يذكر سيمون بفايفر Pfeifer " أن الباشا استطاع أن يجمع قوة تتشكل من خمسين ألف رجل، حيث حضر أحمد باي قسنطينة حوالي إثني عشرة ألف رجل، وباي التيطري ثمانية آلاف رجل وخليفته ثلاثة آلاف رجل، وخليفة باي وهران ستة آلاف رجل، وشيوخ منطقة القبائل ما بين ستة عشر ألف وثمانية عشر ألف رجل، وأمين الميزابيين أربعة آلاف رجل، ويضاف إلى كل هذه القوات الجيش النظامي المكون أساسا من الكراغلة والإنكشارية، إلى جانب سكان المدينة[115]، ويظهر أن هذا العدد فيه نوع من المبالغة، ومن ذلك أن أحمد باي يذكر أنه عند قدومه إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش لم يكن معه سوى أربعمائة فارس أو أقل[116]، وحتى وإن صدق إحصاء " بفايفر " فإن هذه القوات الضخمة لم تكن تخضع لأي تنظيم عسكري كما أنها كانت تعسكر بعيدا عن المدينة.

إن نظرة متأنية في تعداد قوات كل طرف كانت تنبئ بمعركة ساخنة ومصيرية، غير أن التفوق التكيكي والتسليح كان لصالح القوات الفرنسية التي استطاعت أن تتحكم في أساليب القتال الحديثة، خاصة وأن حروب أوربا في عهد " نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte " كانت قد أكسبتها مهارة قتالية كبيرة[117]، ومقابل ذلك فإن القوات الجزائرية تميزت بعدم الإنضباط وعدم إتقان الفنون القتالية حتى أن حمدان خوجة عند حديثه عن رجال منطقة متيجة يذكر أنهم " لا يعرفون سوى بيع الحليب"[118].

عامل آخر ساهم في ضعف التحضير للقوات الجزائرية يتمثل في تعيين الداي حسين باشا لصهره إبراهيم آغا كقائد عام للقوات الجزائرية، بعدما عزل يحيى آغا بتهمة التآمر ضده.وكان يحيى من أبناء الجزائر ذي كفاءة عسكرية كبيرة، مما جعله يكتسب شعبية واسعة بين السكان وحتى الجنود[119]، في حين أن إبراهيم آغا كان قليل الخبرة وارتكب الكثير من الأخطاء، ومنها أنه لم يمنح الجندي الواحد سوى عشر رصاصات ظنا منه أنه بذلك سيقضي على نصف الجيش الفرنسي[120]، كما أنه لجأ إلى وضع معظم القوات الجزائرية بعيدا عن مدينة الجزائر، رغم وصول الأخبار التي تحدد مكان نزول القوات الفرنسية في سيدي فرج[121].

رغم هذه المشاكل فإن الإستعدادات العسكرية الجزائرية لمواجهة الحملة الفرنسية كانت متواصلة، فإذا كانت القوات الجزائرية تعاني من نقص في السلاح والتنظيم، فإنها كانت تتوفر على قدر كبير من الإرادة والحماس، وهذا ما تخبرنا به رسالة بعثها الحاج محمد مفتي في الجزائر إلى شقيقه بمدينة أزمير قبيل الحملة الفرنسية يخبره فيها بالأوضاع في المدينة، فيذكر أن أبراجها جيدة التحصين وقد وضع بها أكثر من ألف مدفع جاهزة لإطلاق القنابل ويسهر عليها جنود طوبجية، أما الجنود فهم مستعدون

للقتال، ويظهر ذلك من خلال الإعتناء بأسلحتهم ومواضبتهم على أداء الصلاة في أوقاتها وسماعهم لدروس الوعظ والإرشاد واحترام العلماء، غير أنه يتأسف على كراهية الجنود للدراويش حيث لا يوجد أي درويش بينهم، أما الداي حسين فإنه يواضب على الصلاة والصيام والسهر على تطبيق تعاليم الإسلام[122].

في ظل التحضير لمواجهة الحملة الفرنسية كانت المؤامرات متواصلة، فقبيل قدوم الفرنسيين بأيام قليلة دبرت مجموعة مكونة من ستة وأربعين إنكشاريا على رأسهم المدعو مصطفى خوجة، محاولة انقلابية ضد الداي حسين وحكومته انتقاما لمقتل يحيى آغا، ومن بين المشاريع التي وضعها الإنقلابيون تعين مصطفى خوجة دايا على الجزائر، والتفاوض مع فرنسا، وإذا رفضت فإنهم سيعلنون خضوعهم للإنجليز[123]. كان الاتفاق أن تتم العملية في عيد الأضحى خلال تقدم التهاني، لكن الداي اكتشف المؤامرة بعد وشاية من أحد الأعضاء المتآمرين، وتمكن من التخلص من مصطفى خوجة وآخرين كما عفى عن البعض الآخر[124]، ويظهر أن هذه المؤامرة قد ساهمت في قطع ما بقي من علاقات بين الداي والإنكشارية.

في أول مواجهة مع الجيش الفرنسي أثبتت القوات الجزائرية ضعفها، حيث تمكن الفرنسيون من النزول في سيدي فرج دون مقاومة تذكر، بعدما تمكنوا من تحطيم الدفاعات التي لم تصمد أمامهم، لأنها كانت مكشوفة إذ لم تحصن بالخنادق، و لم يوضع بها إلا إثني عشرة مدفعا[125]، أما الجزائريون فقد انسحبوا إلى هضبة أوسطى والي في انتظار وصول الدعم من مختلف جهات مناطق الإيالة، كما إلتجأوا إلى أسلوب حرب المناوشات ضد الفرنسيين[126].

أمام هذه الظروف التي كانت تتطلب إتحاد كل الجزائريين لإنقاذ الإيالة من الخطر الخارجي المحدق بها، وقع حادث زاد في اتساع ي الهوة بين السكان والإنكشارية، فلتشجيع الجميع على خوض المعركة المصيرية، أصدر الداي قرارا يمنح بموجبه مائة دورو لكل شخص يحضر رأس جندي فرنسي، وكلف الآغا إبراهيم بدفع هذه المنح لمن يستحقها[127]، لكن أحد الإنكشاريين قتل جنديا من القبائل، وقام بقطع رأسه من أجل الحصول على المنحة، إلا أن أحد رفاق الضحية شاهد ما فعله الإنكشاري، فقرر جنود القبائل قتله، غير أنه صرح بأنه لم يقتله عن قصد بل ظن بأنه فرنسي، فعفى عنه الآغا إبراهيم وأرسله إلى مدينة الجزائر لحمايته من انتقام القبائل الذين ازدادوا كرها للأتراك وأصروا على الإنتقام منهم[128].

ويظهر أن الجزائريين قد وجدوا في الحملة الفرنسية فرصة للتخلص من الإنكشارية، الذين اضطهدوهم لفترة طويلة من الزمن، فأصبحوا يعتدون عليهم داخل معسكراتهم خلال الليل ويهربون، وأمام ذلك فإن الداي حسين طالب جنوده باستعمال الهدوء والذكاء في التعامل معهم حتى لا يثيروهم ضدهم[129].

أما عن سير المعارك فبعد إستيلاء الجيش الفرنسي على منطقة سيدي فرج، بدأوا زحفهم نحو المدينة، لكنهم واجهوا مقاومة شديدة من طرف الجزائريين وكان من أهم المعارك معركة أوسطى والي وسيدي خلف، غير أن الجيش الفرنسي تمكن من تحطيم الجدار الدفاعي الذي أقامه الجزائريون الذين اضطروا إلى التراجع إلى قلعة مولاي حسن (أو حصن الإمبراطور) الواقعة في أعالي المدينة وتحصنوا هناك في انتظار المعركة الحاسمة[130].

حسب المصادر فإن هزيمة الجزائريين في أوسطى والي تعود إلى انسحاب جيش القبائل من المعركة ولجوءه إلى الجبال، مما نتج عنه اضطراب في صفوف الجزائريين الذين تراجعوا منهزمين تاركين وراءهم غنائما كثيرة قدرها "بفايفر" بعدد معتبر من الخيام ما بين ستمائة وثمانمائة خيمة، بها الكثير من قطع الأسلحة والزرابي والتبغ والبن، إلى جانب الدواب والأغنام وعدد معتبر من المدافع[131]، وقد مكنت هذه الغنائم القوات الفرنسية من مواصلة الحرب بكل أمان من جانب المؤونة.

وبسبب هذه الهزائم المتكررة بادر الداي حسين إلى عزل صهره الآغا إبراهيم من قيادة الجيش، بعدما لم يبد أي كفاءة في مواجهة الجيش الفرنسي، وعين مكانه شيخ الإسلام المفتي إبن العنابي الذي كلفه بحث الجزائريين على الجهاد، والدفاع عن مدينتهم، غير أن هذا الرجل كان رجل دين وليس رجل حرب، حيث لا يصلح لقيادة الجيش[132]. ثم عين مكانه باي التيطري مصطفى بومرزاق كقائد للقوات الجزائرية[133]، غير أن الوقت كان قد فات حيث كانت المدينة على وشك السقوط في يد الفرنسيين.

آخر عقبة واجهت الجيش الفرنسي قبل دخوله المدينة كانت حصن مولاي حسن، وكان الداي قد أوكل مهمة الدفاع على هذا الحصن للخزناجي مصطفى، الذي كان حسب حمدان خوجة يتآمر على الداي ويسعى للإستيلاء على الحكم ثم يعقد صلحا مع فرنسا وفق شروطها[134].

كثف الفرنسيون من قصفهم لهذا الحصن أمام مواجهة ضعيفة للجزائريين، مما سبب تحطيم جزء كبير منه، وهلاك الكثير من السكان، وانتشار الخوف والذعر بين الآخرين، ويذكر أحمد الشريف الزهار أنه نتج عن عنف المعركة مقتل عدد كبير من الفريقين، ومن نجى من الجزائريين فقد استعمل كل الأساليب للنجاة بنفسه، ومن هؤلاء الخزناجي شخصيا[135]، وكان قبل هروبه أمر بإشعال النار في مخزن

البارود الموجود في الحصن مما نتج عنه إنفجار سبب ذعرا كبيرا بين السكان، وتحطيم الكثير من البيوت التي وجدت بالقرب منه[136].

بعد سقوط الحصن أصبحت القوات الفرنسية تتحكم في المدينة، وأمام هذه الأوضاع دعى الداي حسين باشا إلى عقد إجتماع طارئ حضره أعيان المدينة وأعضاء الحكومة وضباط الجيش للأخذ رأيهم بين مواصلة المقاومة أو الاستسلام، وفي 4 جويلية 1830 أرسل الداي وفدا يتكون من كاتبه مصطفى والقنصل الإنجليزي، إلى جانب أحمد بوضربة وحمدان بن عثمان خوجة كمترجمين لمقابلة القائد الفرنسي "دي بورمون Bourmont" والاتفاق معه على شروط الاستسلام[137]. وفي الغد من ذلك تم التوقيع على المعاهدة، واستولى الجيش الفرنسي على المدينة وضواحيها، ورفعت الأعلام الفرنسية، أما السكان الذين حاربوا الجيش الفرنسي فعادوا خائبين إلى قراهم، في حين لجأ الإنكشارية إلى ثكناتهم بالمدينة في إنتظار ما سيقرره قائد الحملة في حقهم[138].

2. مصيرهم بعد الإحتلال الفرنسي:

كان من بين بنود معاهدة الاستسلام التي وقعها الداي حسين مع القائد الفرنسي " دي بورمون"، :أن تسلم جميع حصون المدينة والميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة بالتوقيت الفرنسي ليوم 1830/07/06، وفي نفس الوقت يضمن قائد الحملة للقوات الإنكشارية نفس الحقوق والحماية التي منحها للداي وحاشيته[139].

وهكذا في يوم 5 جويلية 1830 شرع في نزع السلاح من الإنكشارية العزاب داخل ثكناتهم من طرف وحدات من الجيش الفرنسي دون مقاومة تذكر، أما المتزوجون منهم والذين لا يتعدى عددهم ألف شخص، فقد حملوا أسلحتهم بأنفسهم إلى حصن القصبة مقابل منحهم وصلا بذلك[140].

أما عن مصير الداي حسين فإنه غادر مدينة الجزائر على متن سفينة فرنسية تدعى " جان دارك Jeanne DANC "، جهزها له قائد الأسطول الفرنسي " دي بيري Duperré " حيث توجه إلى نابولي ومنها إلى الإسكندرية، وفي نفس اليوم بدأ قائد الحملة في ترحيل حوالي ألفين وخمسمائة (2500) إنكشاريا من العزاب على متن سفن حربية فرنسية إلى آسيا الصغرى بعدما منحهم أجرة شهرين كاملين وخمسة بياستر إسبانية كمنحة للسفر[141]، وقد سمح للإنكشارية المتزوجين بالبقاء مؤقتا في مدينة الجزائر مع أسرهم، غير أنه سرعان ما شملهم قرار الترحيل بحجة رفضهم البقاء في الجزائر خوفا من انتقام الجزائريين واليهود[142]، ولكن السبب الحقيقي وراء طردهم كان الخوف من إثارتهم للثورة والاضطرابات، وإرضاء للحضر واليهود الذين كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر[143].

ويظهر أن عملية الترحيل تمت في جو كئيب، وفي ظل معاناة بين الأتراك المرحلين بسبب الظروف الصعبة التي تمت فيها العملية، فحسب أحد الضباط الفرنسيين " أوبينيوسك D'AUBIGNOX " الذي عايش تلك الظروف، فإن كثيرا من العائلات تشتتت بسبب افتراق الآباء من الأزواج والأبناء، كما أن الكثير منهم طردوا بالقوة من منازلهم في جو من البكاء والحزن[144]. إن هذه الشهادة تبين بشكل قاطع مدى مخالفة فرنسا لوعودها التي قطعتها للجزائريين عامة والإنكشارية خاصة[145].

أما فيما يخص أملاك الإنكشارية المطرودين فقد أصدر " دي بورمون " في يوم 2 أوت 1830 قرارا ينص على أن أي تركي مرحل بإمكانه تعيين وصي ليرعى ممتلكاته[146]، إلا أنه يظهر أن هذا القرار لم يجد له طريقا للتطبيق بعدما نهبت أملاك وثروات كل الجزائريين، حيث في 8 أوت

1830 أصدر القائد " دي بورمون " قرارا آخرا ينص على الاستيلاء على أملاك الأتراك المطرودين، وقد شمل هذا القرار حتى أملاك الأوقاف المحبسة على الحرمين الشريفين[147].

وإلى جانب ما عاناه الجنود من طرد وتعسف على يد القوات الفرنسية، فإن سلطات الباب العالي تخوفت من عودة هؤلاء المطرودين، حيث قررت منعهم من دخول مدينة أزمير، باعتبارهم من الأرذال وذوي الأخلاق السيئة، ومعروف عنهم إثارة المشاكل والفوضى[148].

هوامش الفص الرابع

1. Robert, Montrant (et autres).op.cit, p 408.

2. حول حياة هذا الداي وسيرته راجع: المدني، أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

3. أنظر الفصل الثاني.

4. العنتري، محمد الصالح بن، ***فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة*** (مراجعة وتقديم وتعليق بوعزيز يحيى). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 62.

5. حول حياة هذا الباي ودوره راجع: الراشدي، إبن سحنون، أحمد بن محمد بن علي، ***الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني*** (تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي). منشورات وزارة التعليم الأصلي، سلسلة التراث، قسنطينة. 1973.

6. الجزائري، إبن ميمون محمد، المصدر السابق، ص 30.

7. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 149.

8. Chabaud. « attaques des batteries Algériennes par lord Exmouth en 1816 ».*R.A*, 1875, p 195

9. Grammont (H.D de) op.cit, p 373.

10. Boyer, Pièrre. op.cit, p 93.

11. Grammont. op.cit, p 355.

12. الزهار، المصدر السابق، ص 71.

13. Grammont.op.cit. pp 361-362.

14. الزهار، المصدر السابق، ص 95.

15. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص.ص 150-151.

16. Gaïd, Mouloud, op.cit, p 173.

17. Grammont. op.cit, p 369.

18. Boyer, Pièrre. op.cit, p 94.

19. أنظر: Boyer, Pièrre. op.cit, p 142, و Boutin.op.cit, p 139.

20. Grammont. op.cit, p 139.

21. دائرة المعارف الإسلامية (*مادة إنكشارية*)، المجلد الثالث، ص 76- 81.

22. Boyer, Pièrre. op.cit, p 131.

23. جون،ب، وولف، المرجع السابق، ص 443.

24. الزهار، المصدر السابق، ص 103.

25. Grammont. op.cit, p 370.

26. الزهار، المصدر السابق، ص 105.

27. Boyer, Pièrre, op.cit, p 94.
28. Gaïd, Mouloud. op.cit, p 175.

29. أصبح التجنيد في هذه الفترة يتم بصعوبة كبيرة جدا، راجع عنصر تناقص التجنيد في هذا الفصل.

30. حول تفاصيل اغتيال هذا الباشا، راجع: الزهار، المصدر السابق، ص 111.

31. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 152.

32. الزهار، المصدر السابق، ص 112.

33. Grammont, op.cit, p 374.

34. شالر، وليم، المصدر السابق، ص 162.

35. Boyer, Pièrre, op.cit, p 95.

36. حول أسباب وتفاصيل هذه المعاهدة أنظر: الزهار، المصدر السابق، ص.ص 117 و118.

37. Grammont, op.cit, p 380.

38. شالر، وليم، المصدر السابق، ص 172.

39. نفس المصدر والصفحة.

40. خط همايون 22474، المركز الوطني للأرشيف، الجزائر.

41. الزهار، المصدر السابق، ص 132.

42. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 153.

43. Raymond, André. Op.cit, p 171.

44. د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 86.

45. Gaïd, Mouloud. op.cit, p 178.

46. الزهار، المصدر السابق، ص 136.

47. جون، ب. وولف، المرجع السابق، ص 446.

48. Boyer, Pièrre. op.cit, pp 95, 96.

49. حول يحي آغا راجع: Robin (N). « Note sur Yhia Agha ». ***R A*** T 18- 1974,pp 59 - 75.

50. لتفاصيل أكثر حول هذه الأحداث أنظر: الزهار، المصدر السابق، ص.ص 134، 135.

Grammont, op.cit, pp 381, 382.

51. Boyer, Pièrre. op.cit, p 96.

52. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 153.
53. الزهار، المصدر السابق، ص 136.
54. Ernest, Watbled « pachas – pachas dey »,*R A* n°17 1873, p 412.
55. Boyer, Pièrre, op.cit, p 96.
56. الزهار، المصدر السابق، ص 144.
57. Grammont, op.cit, p 383.
58. جون، ب. وولف، المرجع السابق، ص 447.
59. لمعلومات أكثر حول هذه الحملة راجع: شويتام، أرزقي، ***نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره 1800-1830***،رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1988، ص.ص 136 - 144.
60. Colombe, Marcel,« Contribution ... », p 181.
61. M. Dubois, Thainville. Op.cit, pp 131-132.
62. التميمي، عبد الجليل، ***بحوث*** ...، ص 60.
63. كاتكارت، ليباندر، المصدر السابق، ص 100.
64. الزهار، المصدر السابق، ص 51.
65. الغالي، الغربي، المرجع السابق، ص 49.
66. Colombe, Marcel. Op.cit, p 180.
67. Boyer, Piérre. Op.cit, p 94.
68. د.فارس، محمد خير، المرجع السابق، ص 86.
69. Grammont. op.cit, pp 381-382.
70. Kuran, Erküment, « La lettre du dernier dey au grand vizir de l'empire ottoman», *RA*, 1952, p 192.
71. حماش، خليفة، إبراهيم، المرجع السابق، ص 178.
72. المحامي، محمد فريد، المصدر السابق، ص.ص 219-220.
73. دائرة المعارف الإسلامية (*مادة إنكشارية*)، المجلد الثالث، ص 78.
74. المحامي، محمد فريد، المصدر السابق، ص 219.
75. دائرة المعارف الإسلامية،(*مادة إنكشارية*)، ص 78.
76. المحامي، محمد فريد، المصدر السابق، ص 220.
77. حماش، خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 179.
78. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 196.
79. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 205.

80. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 344.

81. Rinn. « Le royaume d'Alger sous le dernier dey », *R.A* n°41 1863, pp 136 et 141-142.

82. Weissman, Nahoum. Op.cit, p 62.

83. المدني، أحمد توفيق، *حرب الثلاثمائة سنة*، ص 279.

84. Haedo. « topographie ... », p 509.

85. Grammont. Op.cit, p 240.

86. Gramaye. Op.cit, p 201.

87. Shaw. Op.cit, p 186.

88. Tassy. Op.cit, p 57.

89. Paysonnel. Op.cit, p 255.

90. Fau, op.cit, p 255.

91. بونو، سلفاتور، " العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي "، (ترجمة أبي القاسم ابن التومي)، *مجلة الأصالة*، العدد 7، 1972، ص 117.

92. Venture de paradis. Op.cit, p 109.

93. Kercy, ***Memoire sur Alger 1791***. Publié par Gabriel Esquer. librarie ancienne honoré champion. Paris . 1927, p 104.

94. Boutin. op.cit, pp 44-45.

95. Dubois – Thainville. Op.cit, p 131.

96. شالر، وليام، المصدر السابق، ص 51.

97. Devoulx (A). Tachrifat ..., p 36.

98. Deny (J). op.cit, pp 40-41.

99. سعيدوني، ناصر الدين، *دراسات ...*، ص 104.

100. الزهار، المصدر السابق، ص.ص 165-166.

101. سعيدوني، ناصر الدين، *دراسات ...*، ص 102.

102. إن ظاهر الفرار من الجيش كانت منتشرة كذلك في صفوف الجيوش الأوربية، ففي عام 1711 أصدر فريدريك الأول Frederic I ملك بروسيا قرارا ينص على قطع أنف الفارين وإحدى أذنيهم مع الحكم عليهم بالأشغال الشاقة، أنظر: حاطوم، نور الدين، *تاريخ القرن الثامن عشر في أوربا*. دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ص 198.

103. يعتبر هذا العمل عكس ما كان معروفا بين المجندين الأوائل الذين كانوا يأتون إلى الإيالة بأعداد كبيرة بدافع الجهاد ضد الكفار.

104. Kaddache, Mahfoud. Op.cit, p 23.

105. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، رقة 143.

106. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ، ورقة 190.

107. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 246.

108. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ورقة 212

109. أنظر: محمد بن محمود بن العنابي، ***السعي المحمود في نظام الجنود*** (تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. وسعد الله، أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي***، ج2، ص ص460-461.

110. الزهار، المصدر السابق، ص 164.

111. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 183.

112. Gautherot, Gustave. ***La conquête d'Alger 1830*** Bibliothèque Payot. Paris, 1929, pp 46-47.

113. بفايفر، سيمون، ***مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر*** (تقديم وتعريب دودو أبو العيد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 63.

114. Esquer, Gabriel. ***La prise d'Alger***, p 316.

115. بفايفر، سيمون، المصدر السابق، ص 80.

116. الزبيري، محمد العربي، ***مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة***، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 11.

117. جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص 453.

118. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 190.

119. الزهار، المصدر السابق، ص 136.

120. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 193.

121. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الحديث، ص 34.

122. مجموعة 3190، الملف الأول، (قسم المخطوطات) المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 117.

123. بفايفر، سيمون، المصدر السابق، ص 76.

124. الزهار، المصدر السابق، ص 169.

125. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 190.

126. سعد الله، أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الحديث***، ص 34.

127. الزهار، المصدر السابق، ص 170.

128. بفايفر، سيمون، المصدر السابق، ص 82.

129. Esquer, Gabriel. *La prise d'Alger*, p 314.

130. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 196.

131. بفايفر، سيمون، المصدر السابق، ص 83.

132. سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الحديث*، ص 38.

133. حمدان، خوجة، المصدر السابق، ص 199.

134. نفس المصدر والصفحة.

135. الزهار، المصدر السابق، ص 174.

136. Grammont. Op.cit, p 406.

137. سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الحديث*، ص 41.

138. جون.ب.وولف، المرجع السابق، ص 453.

139. ***Copie du registres manuscrit des arrêtés du gouvernement général de l'Algerie de 1830 à 1834*** (manuscrit à la bibliothèque nationale d'Alger sous le n° 3306),p 01.

140. Esquer, Gabriel. ***La prise d'Alger***, p 424.

141. Le marchand (E). ***L'Europe et la conquête d'Alger*** (d'après des documents tirés des archives de l'état). Librairie académique Perrin et Cbe. Paris و 1913, pp 287-288.

142. Nettement, Alfred. **Histoire de la conquête d'Alger**. Jacques le coffre et Cbe librarie. Paris :, 1856, p 467.

143. أندري برينان، أندري نوشي، إيف لاكوست، ***الجزائريين الماضي والحاضر*** (ترجمة أسطنبولي رابح ومنصف عاشور) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 236.

144. Gautherot, Gustave. Op.cit, p 186.

145. كان من نتائج سياسة الطرد الإجباري للأتراك، تناقص عدد الأسر التركية، فقبل الإحتلال كان عددها في مدينة قسنطينة لوحدها 5025 عائلة تركية وكرغلية، راجع:

Noushi, André. « Constantine à la veille de la conquête française ». *C.T* n°11, 3 ѐme trimestre, 1955, pp 371-387.

146. Gautherot, Gustave. Op.cit, p187.

147. أندري، برينان (وآخرون)، المرجع السابق، ص 236.

148. خط همايون 22530 /1246 هـ المركز الوطني للأرشيف بالجزائر.

الخلاصة

إن ظهور فرقة الإنكشارية في الجزائر، ارتبط بتاريخ إعلان خير الدين تبعيته للدولة العثمانية، فتعيينه حاكما برتبة بايلرباي، منحه السلطان العثماني حق تجنيد المتطوعين من مختلف مناطق الإمبراطورية بعدما وضع تحت تصرفه ألفي إنكشاري عرفوا بانضباطهم ومهاراتهم الحربية، فساهم هؤلاء بدور فعال في تثبيت تقاليد عسكرية جعلت من الجزائر " قوة عسكرية " طيلة أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، كما وضعوا النواة الأولى للجيش النظامي الجزائري في تلك الفترة.

ولهذا يبدو من الصعب دراسة التاريخ السياسي والعسكري للإيالة دون ربطه بتاريخ هذه الفرقة التي ساهمت في أهم الأحداث التي عرفتها البلاد، حيث مكنها وضعها من التمتع بسلطات وامتيازات واسعة؛ فتحكم جنودها في كل أشكال الأنشطة واستغلوها لخدمة مصالحهم، وقد نتج عن ذلك إنحراف الإنكشارية عن مهمتهم العسكرية المحضة وولوجهم عالم السياسة، فأصبحوا يتحكمون في مصير الولاة بتعيين من يرضونه وعزل أو قتل من لا يخدم مصالحهم ولا يحقق مطالبهم المادية والمعنوية.

إن الأخطار الداخلية والخارجية التي هددت استقرار وسيادة الجزائر في تلك المرحلة، هي التي دفعت بالجيش الإنكشاري إلى تصدر الأحداث وبروزه كقوة رئيسية، خاصة بعد تراجع دور جيش البحر أو الرياس، وكان من نتائج ذلك أن دخلت الجزائر في مرحلة الخيار بمجرد ما دب الضعف والفوضى في صفوف هذا الجيش.

خلاصة

غير أنه من الظلم إتهام الإنكشارية بأنهم السبب الرئيسي وراء زوال إيالة الجزائر، فلقد وجدت مجموعة متكاملة من العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى هذه الكارثة، حيث يمكن إدراجها ضمن إطار ضعف عام عرفه العالم الإسلامي في وقت كانت أوربا تشهد تطورا اقتصاديا وتقنيا هائلا، انعكس إيجابيا على جيوشها التي أصبحت أكثر فعالية ومهارة،وبالمقابل فإن الجيش الإنكشاري بقي متمسكا بأساليب تقليدية، ظهر تخلفها في عدم قدرتها على التصدي للحملة الفرنسية على الجزائر.

إن قدوم الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، كان له الفضل الكبير في تقوية الجزائر عسكريا باستقدام التنظيمات العسكرية العثمانية إليها، ووضع الأسس الأولى لتكوين فرقة الإنكشارية.

واعتمد حكام الجزائر طيلة العهد العثماني على تجنيد المتطوعين من مختلف جهات الدولة العثمانية، في حين أبعد السكان المحليون عن الانخراط في الجيش، وقد دفعهم هذا العمل إلى إبقاء العلاقات قائمة مع الباب العالي رغم ما كان يعتريها من خلافات، كما أن عملية جلب المتطوعين كانت جد مكلفة لدرجة إرهاق الخزينة العامة، وكان من الممكن صرف هذه المبالغ في مشاريع أخرى لو فتح باب التجنيد لأبناء المنطقة.

لم يختلف الجيش الإنكشاري في الجزائر عن غيره من الجيوش النظامية آنذاك، فلقد خضع لتنظيم وقوانين عسكرية، ومنها نظام الترقية الذي كان يخضع لمبدأ الأقدمية، أو اللباس العسكري المتميز والتخطيط المنظم خلال المعارك.

تميز الجنود الانكشارية بالانضباط وإتقان الفنون القتالية، وكانت العلاقة بينهم أخوية، مما ساعد على تماسكهم ووحدتهم، كما أن قوانينهم لم تخضعهم للعقوبات أمام الملأ، غير أن أي اعتداء كان يعرض صاحبه لأقصى العقوبات التي كانت تنفذ سرا في الإقامة الرسمية لآغا الإنكشارية.

وقد وضع الانكشارية في حالة استنفار دائم لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي هددت الإيالة طيلة أكثر من ثلاثة قرون.

بالمقابل فإن الجندي الانكشاري كان يتمتع بامتيازات مادية ومعنوية كبيرة، يضمنها له الانخراط في إنكشارية الجزائر، ومنها الأجرة التي يتقاضاها كل شهرين قمريين، وحصوله على مواد غذائية مجانا أو بأسعار منخفضة. كما أن الجندي كان يتمتع بعطل طويلة الأمد، وبحق السفر لزيارة الأهل أو الحج. أما بعد التقاعد فإنه يتقاضى أجرة تمكنه من العيش مع عائلاته بعيدا عن الفاقة والحاجة.

إن نظام الإنكشارية يشجع على عدم اختلاط الجند بالأهالي عن طريق المصاهرة، ولذا فإنه كان يمنح امتيازات لغير المتزوجين. وقد دفع هذا الوضع بالعديد من الجند إلى تفضيل حياة العزوبة على مصاهرة الأهالي، فكان من نتائج ذلك ظهور مشاكل لا أخلاقية خطيرة منها الدعارة والشذوذ الجنسي والتي تحدثت عنها المصادر بكثير من الإسهاب. ولكن ذلك لم يمنعهم من مصاهرة بعض العائلات، مما نتج عنه ظهور فئة اجتماعية جديدة عرفت " بالكراغلة ".

وكان من نتائج هذا الانعزال أن زال تأثيرهم مباشرة بعد مجيء الاحتلال الفرنسي وقيام قائد الحملة الفرنسية بطردهم جماعيا.

كما أنه مع مرور الزمن تزايد وزن فرقة الإنكشارية، بحيث أصبح بارزا في عهد الدايات من خلال سيطرتهم على شؤون الحكم وتسيير شؤون البلاد حسب أهوائهم وإرادتهم، وتحولت مطالبهم من مادية إلى سياسية، وكان من نتائج ذلك أن انتشرت ظاهرة " الاغتيالات السياسية " التي راح ضحيتها عدد كبير من الدايات وبالخصوص في العهود الأخيرة من حياة الإيالة.

وقد ساهمت الانتفاضات الريفية في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر في التعجيل بانهيار الجيش الإنكشاري بسبب الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بجنوده، كما أن إصلاحات علي خوجة (1817-1818) في عام 1817 ومساندة السكان له في محاولة القضاء على هذه الفرقة كان لها أثر سلبي على بقائها.

ومهما يكن من أمر، فإنه وبالرغم من قلة عدد الجنود الإنكشاريين طيلة الفترة المدروسة، فلقد تمكنوا من فرض سيطرتهم على المجتمع والسياسة في أرجاء الجزائر، غير أن هذا لا ينفي وجود مناطق واسعة لم يتمكن الجيش الإنكشاري من إخضاعها، وبقيت خارج السيطرة.

إن عدم ارتباط الإنكشارية بالجزائر كان في كونهم دخلاء، يضاف إلى ذلك قلة مصاهرتهم للأهالي، وإتباعهم المذهب الحنفي، وخضوعهم لنظام قضائي خاص، وللطريقة الصوفية البكداشية بعيدا عن الطرق المحلية. كل ذلك جعلهم جيشا محترفا في خدمة الإيالة، مقابل امتيازات مادية وسياسية واقتصادية. وعندما سقطت مدينة الجزائر، لم يكن ما بقي الجيش الإنكشاري في صدارة الجهاد ضد الفرنسيين، ففضلوا العودة من حيث جاؤوا.

وخلاصة القول، لم يكن الجيش الإنكشاري في الجزائر بمعزل عما كان يعيشه إنكشارية الدولة العثمانية، وهذا ما جعلهم صورة طبق الأصل لهم، ومنها تأثرهم بمظاهر الضعف والفوضى التي عمت كل أرجاء الإمبراطورية، فتراجعت قدراتهم القتالية وتدهورت معنوياتهم، فأصبحوا مصدرا للفوضى نتج عنها عدم الاستقرار في أنظمة الحكم.

الملاحق

عثرت على وثيقة تتعلق بنظام الجنود الإسلامية في العصور الوسطى، فارتأيت إدراجها لما لها من أهمية في دراسة التاريخ العسكري للشعوب الإسلامية، ولما لها من علاقة بموضوعنا.

أ- إعداد الجند:

اتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمة:" الملك متار، والجند أساسه".

فإذا قوي الأساس تم البناء، وإذا ضعف الأساس انهار البناء، فلا سلطان إلا بجند، والعناية بالجند متأكدة، لا سيما حيث الجهاد والرباط.

ب- طرق الاعتناء بالجند:

1. إنصافهم في مرتباتهم.
2. ملك قلوبهم بعد ذلك بالإحسان الزائد.
3. استدعاؤه محبتهم بلين الكلمة، وخفض الجناح، وطيب الكلام، ورد السلام، وإعطاء الحق، واستعمال الصدق في الوعد.
4. تفقدهم بالنظر فيهم، إثباتا وإسقاطا.
5. تمكين الرهبة في قلوبهم، ليتم ما يراد بهم.
6. اتخاذهم من أجناس مختلفة، قالوا: يستحب للسلطان أن يكون جنده أجناسا متفرقة، وقبائل شتى، بحيث لا يتهيأ لهم الاتفاق على رأي واحد في الخلاف والعداوة.
7. أخذهم بصرف ما يفضل عن عطائهم في زيهم وسلاحهم.

8. معرفة ما لهم من حقوق الخدمة، فقد قيل: يجب على السلطان أن يعرف لكل واحد منهم حق خدمته، ولا ينسى له محمود أفعاله، وليعلمهم بالغرض الذي يجرون إليه في خدمته، والقدر الذي يستحقون عليه من كرامته.

9. حفظهم من مضرة من يرى نفسه فوق عنائه.

10. إطعامهم في الأعياد والفصول

ج- أخطاء السلطان تجاه الجند:

1. حبس مرتباتهم.

2. توفير واجبهم فيستغنوا عنه، أو تقتير واجبهم، فيضجوا منه، أي لا تسرف لهم في العطاء، وأعطهم عطاء قصدا.

3. إيثار بعضهم بما لا يليق ولا يستحقه بعمله.

4. إذلالهم بما يخشى بهم فسادهم: لا تقترب منهم ولا تجاهرهم في الكلام.

5. تسليطهم على الرعية بالعنف والتحامل.

6. تقويتهم بإضعاف الرعية، قالوا: إذا قوى السلطان جنده بإضعاف رعيته، فهو مضيع لجنده، متلف لملكه، وكذا بالعكس، فليكن غرضه العدل في سيرته، وجبايته بين جنده ورعيته.

7. إهمالهم عن التدريب بالحركة.

8. اشتغالهم بالتجارة وكسب المستغلات، وليكن اكتسابهم من الجهاد على المملكة والإغارة على أعدائها.

9. تضييعهم في السلم إلى وقت الحاجة إليهم (الحرب).

المصدر:

الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الأول (دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم)، ليبيا، الدار العربية للكتاب، تونس، بدون تاريخ. ص 203 – 208.

16

الحمد لله بعد ان ملك الامير الهمام فخر الامراء العظام ذو القدر الرفيع والاحترام السيد محمد باشا الدولاتلي ايده
الله تعالى وحفظه المذكور بما حوز هنا به جميع القطعة الارضية التي استقربنا بها مقبرة لدفن الاموات الطايع
له بالهبة الصحيحة المعتبرة شرعا حسبما ذلك مبين ومفسر حيث اشير الملك التام وكان ذلك كذلك اشهد
الان السيد محمد باشا شهيديه على نفسه انه حبس ووقف لله تعالى بنية سنية على اهل الاخلاص والتقوى
سنيه جميع المقبرة المذكورة على اهل الوجاقه الذي هو اوجاق ثلاثماية واربعة وعشرون المعروف باوجاق
داغ دوران بحار الخر الصير على يسار الداخل لها ينتفع اهل الاوجاق المذكور به من امواتهم بها بغير منع لاحد منهم
رجيعا كان او وضيعا بالذلك من صح ومن داخلا وخارجا تحبيسا تاما مؤبدا ووقفا دايما سرمدا لا يحول
عن حاله ولا يغير عن سبيله ومنواله الى ان يرث الله تعالى فالما على اصوله محفوظا بشروطه وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين فمن سعى في تبديله او تغييره فالله تعالى حسيبه وسايله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون تقبل الله تعالى منه عمله قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ان الله يجزي المتصدقين
ولا يضيع اجر المحسنين ثم اشهد السيد محمد باشا المذكور شهيديه على نفسه الكريمة انه رفع عن المقبرة المذكورة
يد الملك ووضع يد الحيازة بل واذن لاهل الاوجاق المذكور به حوز ذلك [redacted] عاز وه حوزا تاما جوريا لمايحب شرعا
وشهد على اشهاده بذلك واحواله الجايزة شرعا من به عرفنا واسما بتاريخ اواسط شوال المبارك الميمون
من عام احد وثلاثين ومائة والف من هجرته عليه افضل الصلاة وازكى السلام عبيد ربه سبحانه وتعالى واحقر
عبيده واحوجهم اليه راجي عفوه وغفرانه محمد بن علي لطف الله به وعبيد الله سبحانه وتعالى امين وبعد الدين

وثيقة قضائية: الداي محمد باشا (1766 – 1792) يوقف أرضا يملكها لتكون مقبرة لجنود أوجاقه سابقا والذي رقمه 324 والمعروف "بأوجاق داغ دوران" (أواسط شوال 1131 هـ).

المصدر: مجموعة 3204، الملف الثاني، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 116.

الحمد لله بين يدي الشيخ الامام وهو السيد مصطفى بن محمد وفقه الله تعالى بمنه وسوده
اشهد المكرم سعيد بن احمد الصابي البنور، شهيدا به على نفسه انه قبض من المكرم
عثمان التركي الذي اوجاقه بنزكره مايتان وسبعة واربعون وكيل الحاج بن يوسف مافوره
ماية ريال واحدة كلها باعيانها بوجيبه ضرب كل ريال ثلاثة ريالات دراهم صغارا
ليعمل بجميع العدد المذكور على وجه القراض وحكمه الجاري بين المسلمين وما جاء الله به
من الربح بعد نضوض راس المال يكون بينهما انصافا سوية واعتدالا وعليه بتقوى الله
وطاعته مشهدا مع ذلك عثمان المذكور ان جميع العدد المذكور لاهل بيت اوجاقه
الكائنين بدار الانكشارية ومن مالهم الخاص بهم دفع عنهم جميع العدد المذكور ولا
حق له معهم في ذلك وبيده نايبة عنهم وعمر به وذلك بعد ان اخر امين جماعتهم سعد
الله بن احمد على لسان رسوله عم اللمام بن محمد شيخ اواخر جمادى الثانية الذي هو من عام
ثلاثة واربعين ومايتين والف من هجرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم محمد
بن ... وفقه الله بمنه وعلي بن ... الله بمنه

وثيقة قضائية: جندي من الأوجاق 247 يسلم نيابة عن أصدقائه مبلغ مائة ريال كقرض لأحد التجار بغرض استثمارها في التجارة على أن تقسم الأرباح مناصفة بين الطرفين (أواخر جمادى الثانية 1243 هـ).

المصدر: مجموعة 3204، الملف الثاني، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 27.

رسالة من الحاج عمار وكيل الجزائر بتونس إلى إبراهيم وكيل الخرج في 20 ربيع الثاني 1244 هـ/ 1829 م.

وصول سفينة تمساوية إلى تونس من أزمير وعلى متنها موظفون جزائريون و26 مجندا جديدا واثنين من القدماء.

المصدر: مجموعة 3204، الملف الثاني، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 12.

[illegible]

1829

رسالة من محمود بن أمين السكة وكيل الجزائر في تونس إلى ابراهيم وكيل الخرج في 26 رجب 1241 هـ/1826 م.

وصول سفنية إلى حلق الوادي (تونس) وعلى متنها أربعة وثمانون يولداشا جديدا موجهين إلى إيالة الجزائر.

المصدر: مجموعة 1903، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 41.

N° 41

الحمد لله . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

...

كتب لثمان وعشرين خلت من شهر رجب الأصب سنة ١٢٤١

٥٠

ولی النعما کثیر الکرما مراحم شعارا بنده پرورا افندم عطوفتلو سلطانم

چاکرلرینک قبرس جزیره‌سنه مأموریتی سرکشیده اعلان اولنمق اقتضا ایدن بابده جانب عالیلرینه عرضنا
مأمور بنده‌لری ایما ایدن جزیرهٔ مرقومه‌یه تقریب بوقته قدر معدود و ... اوامر علیه‌یه
امتثال جزیره‌یه داخل اولدیغم اثناده باقر جانبنه مأموریت چاکرانه‌می بسط و بیان ایدرک اهالی
جزیره‌یه خطابا متعدد بیورلدیلر صدور ورسال اولنوب بونلرک جمله‌سنده وارد اولان فقره‌لرده
طرف شرع شریفدن جواب اوله‌رق ویریلن اعلامات اوقونه‌رق تقدیم خاکپای جهانبانیلری قلنمقله
قلمنده بحثه الوورود لدی الورود مضمون اعلامات شرعیه‌دن کیفیت حالدن معلوم علم
عالم آرای حضرت ولی النعمیلری بیورلمشدر ورودم جزیره‌ده کائن ذکر ماتقدم فرقه‌سنک
وقوعبولان محاربه‌ده ذرفع اسقیالرین ایل ورق تفریقله سرقطعلری درد ولتلرده‌یم
سوق وتسییر واخذ گرفت اولنان ذوات کیفیتلری ونقوله اشخاص ایدوکلری ارباب
وقوفدن بعد التفحص تأدیبه مستحق اولنلر اجرای تأدیبلری و مستحق اولمیانلرک سبیللری
تخلیه اولنمق ایچون نزد چاکریده ابقا اولندقلری اکرچه دیگر عریضه چاکرانه‌مده اشعار اولنمشیدی
لکن اخذ اولنان اشخاص قبرس محصلی آغا قوللرینک وسائر وقوف ناس اولانلرک جمع
محاکمه‌لرینده معتنی اوله‌رق تحقیق اولندقده اسقیای مقاومتلرینک فرقه الینوب تأدیبه مستحق
اولمدقلرینه خبر ویرمدیکلرندن اشبو فرقه الی اشخاص عفوا اطلاق ایرانیده ترتیب اولنمسی تنفیذینه
تحقیق ایدن اشخاصده خوف و تبعت عارض اوله‌جغی ... ایدلکلری اولنمقله
بو اثناده سرعسکر منصوره خاقانیه‌دن جزایر غرب اوجاقلرینه عساکر حربیه تحریر ایچون قپودان
دریا سعادتلو وزیر مکرم قوللری طرفلرندن ویرلدی بیورلدی موجبنجه جزایر طرفلرینه سفینه ایله ورود
ایدن وایلدن قبرسلی جزیره‌سنه حین ورودلرنده بیورلدی ... اثبات وتقاضاسی ...
تحریر عساکره مجبور اولدقلرینه نزد چاکرانه‌مده ابقا اولنان فرقه اسقیاطائفه‌سنی
لاجل التأدیب اصلاح نفوسلری ایچون قتله بدل اوجاقلر منصوره‌یه بر مدت خدمت ایتدیرلمک
اسقیاطائفه‌سنی اتباعم قوللری واوجاق مرقومه دایرلرینه ترفقا طوزله اسکله‌سنه کوندریلوب
اسکله مرقومه‌دن جزایر سفینه‌سنه وضع والقا اولنمشدر واسقیانک مقاومتلری اعدام واززاله‌سنه
مبادرت اولنمسی حکم سفکدماءی موجب حالا ترک اجتناب اولنوب وسفک دمایه دخی
رضای دولت علیه‌نک عدم تعلقنه بناءً و اشخاص مرقومه‌نک حاللرینه ترحما اوجاقلر
منصوره‌یه نفی وتغریب واجلالی وطن برله تبعید اولنمقلری مناسب وبالاتفاق رای
وتدبیر اولندیغی معلوم ولی النعمیلری بیورلدقده بو بابده وهر حالده امر وفرمان والطف
واحسان ولی النعما کثیر الکرما مراحم شعارا بنده پرورا افندم سلطانم حضرتلرینکدر

PRESIDENCE DU CONSEIL

REPUBLIQUE
DEMOCRATIQUE

دفتر : خط همايون
عدد : 3374
تاريخ : ١٢١٧

Alger, le.......

ولي النعم كثير الكرم صاحب العطف و المراحم سيدى و مولاى
حضرة البادشاه المحترم .

هذه الوثيقة عبارة عن عريضة لحضرة احمد باشا متصرف ولاية — ضمن فيها صاحبها الخصومات و المقاتلات التي حصلت بقرية — درملجيلر — الكائنة بجزيرة قبرس بسبب التعدى الذى حصل لها من طرف بعض الاشقياء .

و كان الباشا المشار اليه قد حضر الى الجزيرة اثناء توجهه الى مدينة باف التي نصب عليها .

من اجل اجراء تحقيق بخصوص الحادثة المذكورة التي جرت في القرية المذكورة .

و بما ان الاقتتال كان بسبب تجاوز و تعدى الاشقياء فان اجراء التحقيق في حقهم كان امرا ضروريا ، و لذلك فقد تم تنصيب لجنة اهل الوقوف للنظر و التحقيق في حق المتجاوزين و كان العدد الذى امسك بهم من الاشقياء يتراوح بين 40 و 50 شقي لاستحقاقهم الجزاء الذى يستحقونه و ذلك بموافقة اهل الوقوف الذى كان قد نصب من اجل هذه المهمة .

الا ان الشئ الذى نلاحظه بشان هؤلاء الاشقياء الذين استحقوا اشد الجزاء من الدولة العلية لارتكابهم اعمالا تبرر ذلك ، ان يبعد هؤلاء من اوطانهم و اهليهم و يرسلوا الى اوجاق جزائر الغرب المنصورة التابعة للحضرة الخاقانية من اجل الجهاد في سبيل الدين و الدولة و من اجل اصلاح النفس و تهذيبها ايضا في تلك الديار المجاهدة ، مع السفينة التي وردت الى الجزيرة بامر من قبطان البحار لجلب الجنود الى الجزائر .

اذ نكون بذلك قد تجنبنا من سفك دمائهم التي لا تحب الدولة العلية بالطبع سفكها كما نكون قد حققنا ايضا تجزيتهم بسبب ابعادهم عن اهليهم و بلادهم ، و ذلك فضلا عما يرجى منهم من اصلاح النفس جهادهم في تلك الديار المجاهدة .

شريطة ان تكون هذه الملاحظة موافقة للارادة الشاهانية لان الامر و الفرمان في جميع الامور و الميادين لصاحب القوة و السلطان حضرة البادشاه المعظم .

ملاحظة :

هذه هي خلاصة فحوى العريضة المقدمة من طرف احمد باشا المذكور انفا و المتصرف في ولاية لم نعرف اسمها بالضبط .

[illegible]

لازم گلور

[illegible]

H.H.
22530

دفتر: خط همايوني

عدد: 22530

تاريخ: 1246

لقد اصبح محتوى التقارير التي وردت الينا من طرف عمر لطفي افندي محتسب ازمير وكذا محتوى الرسالة الواردة من طرف ناظر مورللو معلوما وموضحا لدى المقام الشاهاني العالي هؤلاء الذين خرجوا من الجزائر لا يعاملون بمعاملة سوء ما داموا باقيين على حالهم دون اضرار بغيرهم ولكن اذا لم يبقوا حسب حالهم وارادوا ان يستولوا على منصب الداي فعند ذلك يمكن العمل من اجل تأديبهم وتخديلهم

الخط الهمايوني:

حاشية:

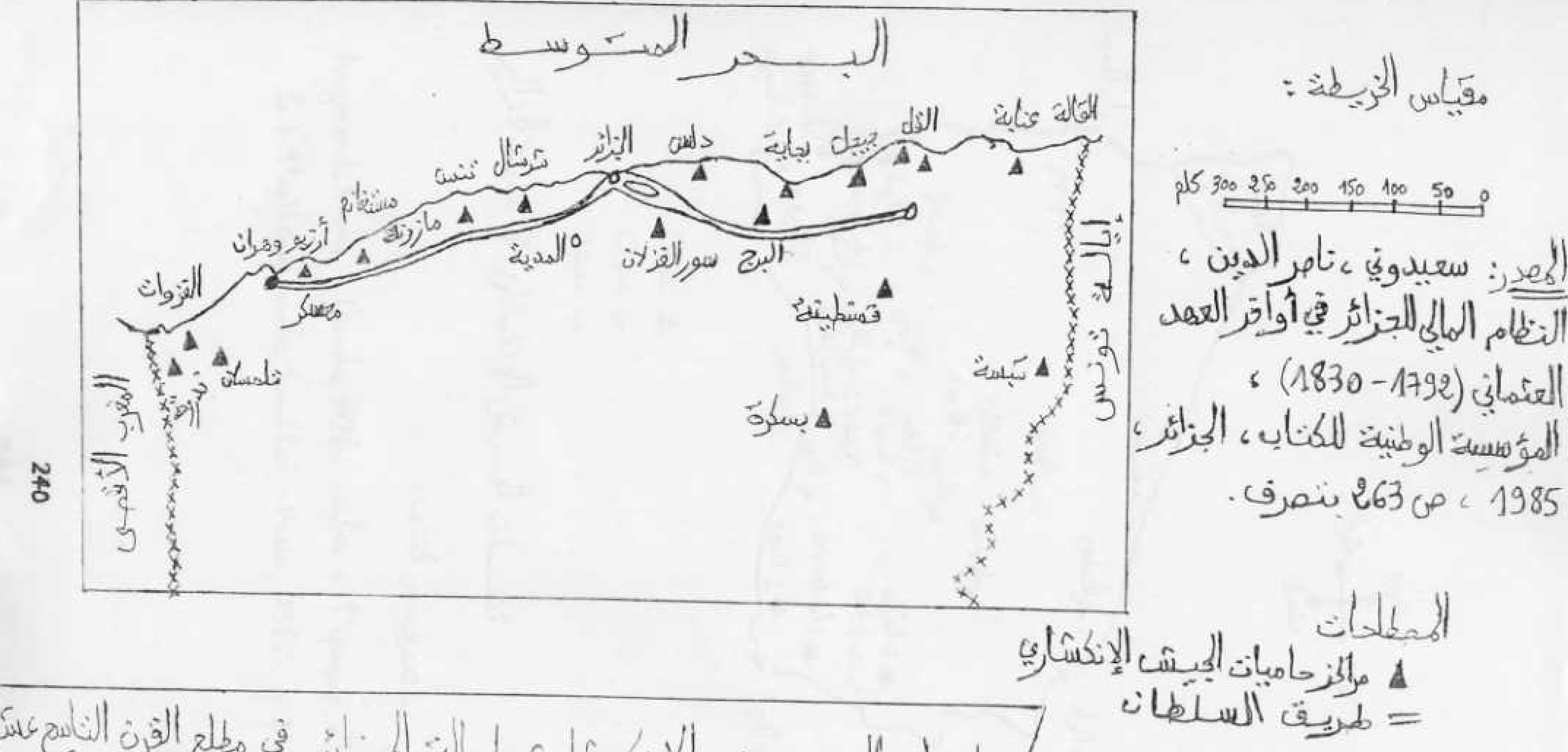
انه تقرير عمر لطفي افندي محتسب ازمير وهو يتضمن التقرير الجواب على الرسائل التي كانت قد وجهت اليه بخصوص العزاب الذين خرجوا من الجزائر بعد سقوطها حسب القدر على يد فرانسة وكيفية التعامل معهم بعد وصولهم الى ازمير وقد تم رفع هذا التقرير الى الحضرة الملوكانية قصد التبليغ والاحاطة كما رفع التقرير الذي ورد ايضا من طرف ناظر مورللو وذلك جوابا على الرسائل التي كانت قد وجهت اليه بخصوص هؤلاء العزاب الى المقام الشاهاني العالي قصد تحقيق النظر الشاهاني والاطلاع الهمايوني لانه لاشك ان الامر والفرمان في هذا الميدان لصاحب القوة والسلطان حضرة البادشاه المعظم .

نص العريضة

انها عريضة عبدكم المتواضعة

ان العزاب الذين كانوا يرابطون في قلعة الجزائر التي سقطت حسب القدر على ايدي الفرنسيين خرجوا من الجزائر بعد سقوط القلعة ووجهوا في ثلاث سفن الى مدن مختلفة وحسب المعلومات التي وصلتنا سابقا من السلطات الفرنسية فان احدى هذه السفن المقلة بهم سوف تتجه نحو سلانيك اما الاخريان فتتجهان الى مدينتي - اورلة - وقوجه .

هؤلاء العزاب بما انهم يعدون من الارذال والاوباش والفوضويين فان الامر يقتضي ان لا يسمح لهم بالتوجه نحو مدينة ازمير .



حاميات الجيش الإنكشاري بإيالة الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر



✶ ثكنة

س. سوق

م. مسجد

ثكنات الجيش الإنكشاري في مدينة الجزائر

المصدر: بتصرف من كتاب:

Raymond, André. Grandes villes arabes à l'époque ottomane. La bibliothèque arabe, Sindbad, Paris, 1985. p 333.

الفهارس

- فهرس الأعلام.
- فهرس الجماعات والقبائل.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الوظائف.
- فهرس المصطلحات.

فهرس الأعلام

أ

ت

ج

ح

ز

س

ف

ق

فهرس الجماعات والقبائل

أ

ب

ع

ف

ق

ك

م

ن

ي

فهرس الأماكن

أ

ب

ت

ج

ل

م

فهرس الوظائف

أ

الأشجي: الطباخ.

الأشجي باشي: رئيس الطباخين.

أصكي يولداش: الجندي القديم.

آغا الانكشارية: القائد الأعلى للقوات الإنكشارية.

آغا النوبة: ضابط من صف البلوكباشيين يقود الحامية لمدة عام كامل.

آغا الهلالين: القائد الأعلى لفرقة الإنكشارية خلال شهرين قمريين.

الأوداباشي: قائد الغرفة.

الآياباشي: عددهم أربعة وعشرون آياباشا، وهم ضباط سامون في الجيش مكلفون بمهام محددة.

ب

الباشا: الحاكم والموظف السامي للإيالة.

الباش دائي: المشرف على المكلفين بجمع المتطوعين من مناطق الدولة العثمانية.

باش طوبجي: قائد فرقة المدفعية.

باش بلوك باشي: أو الكاهية ضابط سامي يتولى بعد شهرين قمريين منصب الآغا.

الباي: لقب شرفي يعني حاكم البايلك.

البيلرباي: الحاكم الإداري والعسكري للإيالة ومعناه حاكم الحكام.

البلوكباشي: قائد فرقة من الجنود.

بيكلر: أربعة جنود قدماء بمثابة الحرس الخاص للداي.

خ

الخازناجي: موظف سامي يشرف على خزينة الدولة.

الخوجة: موظف يشرف على الخدمات العامة.

خوجة الخيل: موظف مكلف بالإشراف على حيوانات الدولة.

د

الداي: لقب عثماني يعني الخال، ثم أصبح يدل على حاكم الإيالة.

الدائيات: الموظفون المكلفون بتجنيد المتطوعين من مناطق الدولة العثمانية.

س

السقا باشي: قائد فرقة من الجنود المكلفين بتوفير الماء للجيش.

ق

القابجي باشي: مبعوث السلطان إلى الإيالة.

القبطان باشا: ضابط سامي في البحرية العثمانية.

م

المزوار: رئيس شرطة الأخلاق العامة.

المعزول آغا: الآغا الذي أحيل على التقاعد بعد شهرين قمريين.

المقاطعة جي: موظف مكلف بالمحافظة على سجلات الجيش.

و

وكيل الخرج: المقتصد المكلف بتوفير الغذاء للجنود.

وكيل الخرج آليّ: مساعد المقتصد.

ي

اليولداش: الجندي ومعناها الصديق أو الرفيق.

يني يولداش: الجندي الجديد.

فهرس المصطلحات

أ

الأعلاج: مسيحيون اعتنقوا الإسلام وانخرطوا في الجيش الإنكشاري.

الإنكشارية: فرقة عسكرية من المشاة، مكونة من كلمتين " يني تشاري " أي الجيش الجديد.

الأوتوراق: الجندي المتقاعد.

الأوجاق: عددها بالجزائر 424 أوجاقا، وهي فرقة مكونة من عدد محدود من الجنود.

الأودة: الغرفة التي يقيم فيها الجنود.

الأوطاق: الخيمة.

الإيالة: مقاطعة أو ولاية عثمانية.

ج

الجرايات الصغرى: الأجور التي تدفع للجنود كل شهرين قمريين، وتخص جنود مدينة الجزائر فقط.

الجرايات الكبرى: الأجور التي تدفع سنويا خلال فصل الربيع ويحضرها كل جنود الإيالة بدون استثناء.

ح

الحازورجي: جندي في عطلة لمدة عام.

الحامية: أو النوبة، فرقة عسكرية تقيم في المدن والمراكز الإستراتيجية لحفظ الأمن، يتناوب الجنود على الإقامة فيها لمدة عام كامل.

خ

الخان: مبنى بمدينه أزمير تابع لإيالة الجزائر، يقيم فيه المكلفون بتجنيد المتطوعين.

د

الدنوش: الرسوم التي كان يحضرها البايات إلى مدينة الجزائر.

الدوشرمة: عملية جمع الأطفال النصارى وضمهم إلى فرقة الإنكشارية.

الزبنطوط: كلمة عثمانية تعني قاطع الطريق أو اللص.

س

السفرة: المائدة التي يتجمع حولها الجنود لتناول الغذاء، وتعني فرقة مكونة من عدد محدود من الجنود في الحامية.

سيسكان: الأجرة المغلقة التي لا زيادة بعدها.

ع

العلوفة: الأجرة التي يتقاضاها الجندي.

ق

القشلة: الثكنة.

م

المحلة: فرقة عسكرية متنقلة.

الموسكيه (بنادق): البندقية ذات الفتيل.

ي

اليطقان: سيف حاد من الجهتين ليكون أكثر فاعلية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أ- الأرشيف:

1. المركز الوطني للأرشيف بالجزائر:

1.1. سجلات البايلك: علبة رقم 35 سجل من رقم 351 إلى 369.

2.1. وثائق خط همايون: هي عبارة عن عرائض ومراسلات بين الباب العالي وإيالة الجزائر.

- 1219/3374هـ
- 1215/14776هـ
- 1210/15031هـ
- 1231/16872هـ
- 1239/17216هـ
- 1234 /22474 هـ
- 1234/22517هـ
- 1242/22548هـ
- 1231/22556هـ
- 1206/56199هـ

2. المكتبة الوطنية -قسم المخطوطات بالحامة- الجزائر:

تتضمن رسائلا وصلت إلى حكام الجزائر من الوكلاء في المدن العثمانية، أو من البايات وقادة الجيوش في أنحاء الإيالة، إلى جانب رخص كما تتضمن قوانينا تتعلق بالنظام الداخلي للجيش أو ما يسمى بعهود الأمان، كما تتطرق إلى كيفية تجنيد المتطوعين.

- مجموعة 3190، الملف الأول والثاني.

- مجموعة 1641.

- مجموعة 1642.

- مجموعة 3204، الملف الثاني.

- مجموعة 3205، الملف الثاني.

ب – المخطوطات:

1. باللغة العربية:

– ابن زرفة، أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، ***الرحلة القمرية في السيرة المحمدية***، الجزء الأول، مخطوط رقم 2597 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

– ابن القاسم، محمد بن أحمد، ***سيرة المجاهد خير الدين***، مخطوط رقم 2603 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

الدرعي، ***رحلة أبو العباس سيد أحمد بن سيدي محمد بن ناصر الدرعي***، مخطوط رقم 2324 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

2. باللغة الأجنبية:

- Barby (G) : ***Essaie sur l'histoire politique de la régence d'Alger et de son territoire depuis 1505 jusqu'aux temps actuels (1795)-***

Manuscrit n° 3178 à la bibliothèque nationale d'Alger.

قائمة المصادر والمراجع

- ***Copie du registre manuscrit des arrêtés du gouvernement général de l'Algérie de 1830 à 1834***. Manuscrit n° 3306 à la bibliothèque nationale d'Alger.

- ***Description abrégée de la ville et état d'Alger, présenté à monseigneur philippeaux secrétaire d'état l'an 1695***. Manuscrit n° 3303/35 à la bibliothèque nationale d'Alger.

ج- المصادر المعاصرة المطبوعة:

1. المصادر باللغة العربية:

- الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن الأزرق، ***بدائع السلك في طبائع الملك***، الجزء الأول، (دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم)، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، بدون تاريخ.

- بفايفر، سيمون، ***مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر*** (تقديم وتعريب دودو أبو العيد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- الجديري، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني، "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، تحقيق سليم بابا عمر، ***مجلة تاريخ وحضارة المغرب***، كلية الآداب الجزائرية، عدد 3، جويلية 1976، ص.ص 2-32.

- الجزائري محمد بن ميمون، ***التحفة المرضية في الدول البكداشية في بلاد الجزائر المحمية***، (تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- خوجة، حمدان بن عثمان، ***المرآة***، (تقديم وتعريب وتحقيق الزبيري العربي)، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

- مجهول، *غزوات عروج وخير الدين* (تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين)، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934.

2. المصادر المترجمة إلى العربية:

- شالر، وليام، *مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)*، (تعريب وتعليق وتقديم العربي إسماعيل)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982

- كاثكارت، لياندر، *مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب* (ترجمة وتعليق وتقديم العربي إسماعيل)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

3. باللغة الأجنبية:

- « ***Ahad –Aman ou règlement politique et militaire*** », texte traduit en arabe par M.Ben Mustapha et reproduit en français par Devoulx. ***R.A***, n° 4, 1859, pp211-219.

-Boutin : ***Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger***, publié par Esquer Gabriel. Librairie de la société de l'histoire de France, Paris, 1927.

- Canard (M). « Une description de la côte barbaresque au XVIIIe siècle par un officier de la marine russe ». ***R.A*** T92, 1951, pp121-186.

-Dubois Thainville: ***Mémoire sur Alger 1809***. publié par Esquer Gabriel, librairie de société de l'histoire de France, Paris, 1927.

- Emirit (M).
  - « Un astronome français à Alger en 1729 ». ***R.A*** T81, 1940 pp249-261.

- « Les aventures de thédénat esclave et ministre d'un bey d'Afrique XVIIIe ». R.A, T89 1948. pp143-184.

- « Le voyage de la condamine à Alger 1731 ». R.A 1954, pp354-381.

- Gramaye, Jean – Baptiste. ***Alger aux XVI^e- XVI^e*** siècle (annoté par Abd-el hadi Ben Mansour). Les éditions du CERF, Paris :, 1998.

- Haedo (fray Diego de).

- « Histoire des rois d'Alger ». Traduit et annotée par H.D de Grammont ». R.A T24-25, pp 37 – 401, 5 – 97.

- « Topographie et histoire d'Alger », traduit de l 'espagnol par Monnereau et Berbrugger. ***R.A*** n° 15 1870 pp490-519.

- Kercy. ***Mémoire sur Alger 1791***, publié par Esquer Gabriel: librairie ancienne honoré champion, Paris, 1927.

-Kuran, Erkument. « La lettre du dernier dey d'Alger au grand vizir de l'empire ottoman ». ***R.A***, T53. 1952. pp188-195.

- Léon l'Africain ***Description de l'Afrique et des choses mémorables qui y sont contenues*** (traduction de jean temporal), imprimé du frais du gouvernement, Paris, Août 1830.

- Laugier de Tassy. ***Histoire du royaume d'Alger (1724)*** . édition Loysel, Paris,1992.

- Paysonnel (J.A). ***Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger***. la découverte, Paris, 1987.

- Renaudot (M). ***Tableau du royaume d'Alger et de ses environs état de son commerce de ses forces de terre et de mer***, 2ème édition , Librairie universelle de p. Mongie Ainé, Paris, 1830.

- Sacerdoti (A). « Les fortifications d'Alger en 1874 décrites par l'amiral Veniton Angelo EMO ». ***R.A***, T92, 1951. pp 187-190.

-Shaw. ***Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy***,2ème édition. Edition Bouslama, Tunis, 1980.

-TACHRIFAT. ***Recueil de notice historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger,*** Publié par Devoulx (A), imprimerie du gouvernement, Alger ,1852.

-Venture de Paradis (Jean-Michel). ***Tunis et Alger au XVIIIe siècle***, mémoires et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq. Edition Sindbad. Paris, 1982.

المراجع:

أ/ الكتب:

1. باللغة العربية:

- ابن أشنهو، عبد الحميد بن أبي زيان، ***دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر***، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.

- بريتان، أندري، نوشي أندري، لاكوست إيف، ***الجزائريين الماضي والحاضر*** (ترجمة أسطنبولي رابح ومنصف عاشور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984

- بلحميسي، مولاي، ***الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني***، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- بوعزيز، يحي، ***علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

- التميمي، عبد الجليل، ***بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

قائمة المصادر والمراجع

- جوليان، شارل أندري، ***تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى 1830***، (تعريب مزالي محمد، بن سلامة البشير)، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، الطبعة السابعة منقحة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

- حاطوم، نور الدين، *تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا*، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

- حسن إبراهيم شحاتة، ***أطوار العلاقات المغربية، العثمانية: قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)***، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981.

- خلاصي، علي، ***العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر***، المتحف المركزي للجيش، وزارة الدفاع الوطني، الجزائر 1985.

- الزبيري، محمد العربي، ***مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة***، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

- سبنسر، وليم، ***الجزائر في عهد رياس البحر*** (تعريب وتعليق زبادية عبد القادر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- د.سعد الله، أبو القاسم:

- *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر*، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- *تاريخ الجزائر الثقافي (10-14هـ/16-20م)*، الجزء الأول والثاني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.

- *محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)*، قسم البحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، 1970.

- **د.**سعيدوني، ناصر الدين:

- *دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

- *النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830*. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- **د.**سعيدوني، ناصر الدين، بوعبدلي المهدي، *الجزائر في التاريخ*، الجزء الرابع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- شريط عبد الله، الميلي محمد، *الجزائر في مرآة التاريخ*، مكتبة البعث، قسنطينة، ماي 1965.

- شنيدر، فرنان، *تاريخ الفنون العسكري* (ترجمة فريد أنطونيوس)، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت، 1970.

قائمة المصادر والمراجع

- شوفالييه، كورين، ***الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541*** (ترجمة جمال حمادنة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

- عبد القادر، نور الدين، ***صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني***، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

- د.فارس، محمد خير، ***تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)***، مطابع ألف باء، الأديب، دمشق، 1969.

- المحامي، محمد فريد بك، ***تاريخ الدولة العلية العثمانية*** (تحقيق حقي إحسان)، الطبعة الخامسة، دار النفائس، بيروت، 1986.

- المدني، أحمد توفيق:

  - ***حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792***، طبعة ثانية منقحة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

  - ***محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791*** (سيرته حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- وولف، جون، ب، ***الجزائر وأوروبا 1500-1830*** (ترجمة وتعليق سعد الله أبو القاسم) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

2. باللغة الأجنبية:

- Aucapitaine (Henrie le Baron) ***Confins militaires de la grande Kabylie sous la domination turque (province d'Alger)***. Moquet, librairie –imprimeur, Paris, 1857.

- Belhamissi, Moulay :
    - ***Alger la ville aux mille canons***, ENAL, Alger, 1990.
    - ***Les captifs algériens et l'Europe chrétienne.*** ENAL,Alger, 1988.

- Bouabba, Yamilé. ***Les turcs au Maghreb central du 16ème au 19ème siècle*** .SNED, Alger, 1972.

- Boyer, Pierre. ***La Vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française***, librairie Hachette, Paris, 1963.

- Brahimi, Denise, ***Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux XVIIème et XVIIIème siècle***, SNED, Alger, 1978.

- Braudel. Fernand. ***Le méditerranée et le monde méditeranien à l'époque de PHILLIPE II***, 2ème édition, Tome 2ème. Librairie Armand colin, Paris ,1966.

- Cat (E) ***Histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc avant 1830***, Tome 1er. Collection Adolphe Joudan, Alger, 1889.

- Esquer, Gabriel, ***Les commencements d'un empire, la prise d'Alger 1830***: l'Afrique latine, , Alger, 1923.

- Fisher, sir Godfrey, ***Légende Barbaresque : guerre, commerce et piraterie en Afrique du nord de 1415 à 1830*** (traduit et annoté par Hellal Farida) O.P.U, Alger , 1991.

- Gaïd, Mouloud. ***l'Algérie sous les turcs***, 2ème édition, Edition Mimouni, Alger, 1991.

- Galibert, Léon. ***L'Algérie ancienne et moderne***. Librairie Furne Jouvet et Cie, éditeurs, Paris, 1884.

- Gauthérot, Gustave. ***La conquête d'Alger 1830***. Bibliothèque Payot, Paris, 1929.

قائمة المصادر والمراجع

- Grammont (H.D de). ***Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830).*** Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1887.

- Kaddache, Mahfoud. ***L'Algérie durant la période ottomane***, OPU, Alger, 1998.

- Marçais, Georges. ***Le costume musulman d'Alger***. librairie plan, Paris, 1930.

- Le Marchand (E), ***l'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents tirés des archives de l'état***. librairie académique Perrin et Cbe, Paris, 1913.

- Montrant, Robert (et autres). ***Histoire de l'empire ottoman***. Librairie Arthène Fayard, Paris, 1989.

-Nettement, Alfred. ***Histoire de la conquête d'Alger***. Jacques le coffre et Cbe librairie, Paris, 1856.

- Plantet, Eugène. ***Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579***, Tome 2ème. Edition Bouslama, Tunis, 1981.

- Raymond, André. ***Grandes villes arabes à l'époque ottomane***. la bibliothèque arabe Sindbad, ~~1985~~. Paris, 1985.

- Weissman, Nahoum. ***Les janissaires (étude de l'organisation militaire des ottomans)***. Librairie orient, Paris ,1964.

ب- المقالات

1. باللغة العربية:

- بلحميسي، مولاي، "المؤرخون الإيطاليون والجزائر في العهد العثماني"، ***مجلة تاريخ وحضارة المغرب***، العدد 10، أكتوبر 1973، ص.ص 11 – 14.

- التميمي، عبد الجليل، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغربية*، العدد 06، تونس، جويلية 1976، ص.ص 116-120.

- سلفاتور، بونو، "*العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي*"، ترجمة أبو القاسم بن التومي، *مجلة الأصالة*، عدد 76، 1972، ص. ص 68-103 و 113-118.

- الصباغ، ليلى، "الوجود العثماني في المشرق المتوسط في العصر الحديث"، *المجلة التاريخية المغربية*، عدد 7 و8، جانفي 1977، ص ص 75 – 78.

- العربي، إسماعيل "دور اليهود في الديبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات"*مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، عدد 12، ديسمبر 1974، ص.ص 37-70.

- حماش، خليفة إبراهيم، ملفات لوثائق من العدد العثماني، *المجلة التاريخية للدراسات العثمانية*، عدد خاص 13 -14، أكتوبر 1996.

2. باللغة الأجنبية:

- Berbrugger (A) Devoulx (A). « Les casernes des janissaires à Alger ». ***R.A*** T3 1858, pp132-150.

- Berbrugger (A) « la mort du fondateur de la régence d'Alger ». ***R.A*** n° 4-5 , 1859 , pp25-33.

- Boyer (p) :

  - « contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger (XVIe – XIXe siècle) ». ***R.O.M.M***, n° 1 1966, p11-49.

  - « Introduction à une histoire intérieure de la régence d'Alger ». ***R.H*** n° 478 1966 pp297-316.

  - « Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger ». ***R.O.M.M*** n° spécial, 1970, p78-94.

- Chabaud. « Attaques des batteries Algériennes par lord Escmouth en 1816 ». ***R.A*** 1875, pp194-202.

- Colombe (M). « Contribution à l'étude du recrutement de l'objaq d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence d'Alger ». ***R.A*** T84 1943, pp165-183.

- Deny (J). « Les registres de soldes des janissaires ». ***R.A*** T61 1920, pp19-96 et 212-260.

- Devoulx (A) :

  - « Alger, étude archéologique et topographique sur cette ville, aux époques romaines (Icosium), arabe (Djazaïr Beni –Maz 'renna) turque (el – Djazaïr) ». ***R.A*** n° 22, 1878, pp 276 – 286.

  - « L'angle sud-est de l'Alger ». ***R.A***, Tome 15 1870, pp.395 – 398.

  - « La première révolte des janissaire à Alger ». ***R.A***, T16 1871 pp.1 – 6.

-Esquer (G). « Le costume Algérois d'après un ouvrage récent ». ***R.A*** T72. 1931. pp91-101.

- FAU (le R.P, de la Mercy). « Description de la ville d'Alger avec l'observation d'une éclipse de lune qui y arrive le 13 février 1729 ». ***R.A***, T81 1940 pp250-256.

- Federmann et Au capitaine. « Beylik de Titterie ». ***R.A***, 1867. pp292-301.

- Feraud (l. ch) « Zebouchi et Osman bey ». ***R.A***.T6 1862. pp120-127.

- Grammont (H.D de). « Quel est le lieu de la mort d'Aroudj Barberousse ? ». ***R.A*** T17 1872. pp388,399 et 432.

- Nouschi, André. « Constantine à la veille de la conquête française ». *C.T*, n° 11 3éme tri, 1955. pp371-387.

-Rinn (L). « Le royaume d'Alger sous le dernier dey », ***R.A***, 1897 à 1899, pp 121 et suite.

-Robin (N) :

  - « Note sur l'organisation militaire et administrative turcs dans la grande Kabylie ». ***R.A***.T17 1873. pp 132-140, 196 - 207.

- « Note sur Yahia agha ». ***R.A***, t18, T874. pp59 - 75.

- Tubert-Delof (G). « Un état récent du royaume d'Alger en 1684 ». ***R.H.C.M*** n° 6-7, 1969. pp 22-61.

-Watbled, Ernest :

- « Etablissement de la domination turque en Algérie ». ***R.A*** ,T17, 1873. pp 287-299, 352-363.

- « Pachas-Pachas deys ». ***R.A***. T17, 1873 pp 438 - 443.

ج- الأطروحات الجامعية:

1. باللغة العربية:

- حماش، خليفة إبراهيم، ***العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830***، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1988.

- داده، محمد، ***اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن الثامن عشر ميلادي حتى 1830***، ماجستير، دمشق، 1985.

- شويتام، أرزقي، ***نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره 1800-1830***،رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1988.

- الغربي، الغالي، ***الانتفاضات الشعبية في الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الاحتلال الفرنسي***، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1985.

2. باللغة الأجنبية:

-Belhamissi, Moulay. ***Marine et Marins d 'Alger à l'époque ottomane (1518-1830)*** (thèse de doctorat d'état). Université de Bordeaux III, Mars 1986.

د- الموسوعات ودوائر المعارف:

- دائرة المعارف الإسلامية:

- شاكر، مصطفى، ***موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها***، الجزء الثالث. الطبعة الأولى، بيروت: دار لعلم للملايين، أكتوبر 1993.